

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم التفسير

"الفضائل التربوية

في القرآن الكريم"

— دراسة تفسيرية موضوعية —

Educational Virtues in The Holy
Quran

— Objectivity Interpretation Study —

الطالب: صالح روبين أندي

المشرف: د. أحمد البشاييرة

تاريخ تقديم المشروع: ٨/١٢/٢٠٠٩م

الإهداء

إلى كل من أحب الله تعالى، وأناب إليه، وتذوق حلاوة الإيمان، وسار على طريق الفضائل والإحسان.

إلى كل من أحب رسولنا وإمامنا ومعلمنا، محمد ﷺ الذي خصه الله تعالى، بعظيم فضله ومنتته، وجعله

في مكانة، سمت عن الخلق العظيم نفسه، فقال جل في علاه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]،
مقروناً بحب آلِه وصحبه، عليهم رضوان الله أجمعين.

إلى من أحبهم القلب فطرة، وانغمر بعطفهم جملة، والذين لم يألوا جهداً في سبيل راحتنا وسعادتنا، أبي
الفاضل، وأمي الحنون، أكرمهم الله كرامة الدارين.

إلى زوجتي الوفية المخلصة، التي ضحّت بكثير من وقتها، ووفرت لي الجو الملائم لإتمام هذه الرسالة،
جزاها الله عني خير الجزاء.

إلى الإخوة والأخوات الأعزاء جميعاً.

إلى العلماء العاملين، والمشايخ المكرّمين، أخص منهم بالذكر، شيخي وقُدوتي، العالم الكبير الفهامة،
الشيخ حازم أبو غزالة، حفظه الله ورعاه.

إلى كل من أحبنا في الله وأحببنا، وإلى جميع المسلمين.

أهدي هذا البحث.

الباحث

شكر وثناء

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم: ٧].

فالشكر لله أولا وآخرا، على كل من أنعم به وتفضل، وخاصة لما أكرمني به، أن أكون من خدام هذا الدين، وما فيه من نفع للمسلمين، سائلا الله تعالى، أن يتقبل جهدي في ميدان العلم والدين.

ثم الشكر لأصحاب الفضل علي، وهم كثر، أبدأ بوالدي الفاضل، الذي وقف معي وقفته الجليلة، التي لا أنساها له أبدا، هو وأمي، التي دعمتني بدعواتها الكريمة، وكان لهما أكبر الأثر لأجل أن أتبوا مكانة مرموقة في العلم.

وإلى أساتذتي ومعلمي في جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الذين وسعوا مداركنا وآفاقنا العلمية، وزادونا علما وأخلاقا وآدابا.

أخص منهم الأستاذ الدكتور أحمد البشاييرة، مشرفي على هذه الرسالة، والأستاذ الدكتور عبد المقصود حامد، الذي وافاني بملاحظاته الكريمة، وخاصة في مواضيع العقيدة الإسلامية، والأستاذ الدكتور أحمد كردي، الذي عالج الرسالة، وصوّبها لترقى في مواضيعها العلمية. بالإضافة إلى الأستاذ الدكتور أحمد نوفل من الجامعة الأردنية، الذي وافق أن يكون مناقشا خارجيا عليها، وأمدني بالمعلومات الدقيقة التي أسعفتني في بحثي هذا وتداركت ما كان فيها من نقص، وعالجت ما احتاجت إليه من تصويب.

وأزيد في التخصيص، شكري وتقديري، لأستاذي المشرف على هذه الرسالة، وعلى هذا الجهد العلمي المبارك، فضيلة الدكتور، على توجيهاته العلمية، وإرشاداته القيّمة.

وشكري إلى كل من يخدم قضايا العلم النافع، ولا سيما من أمدني بالمراجع العلمية، والملاحظات الهامة، التي كانت مسعفا لي في جهدي المتواضع هذا.

الباحث

قائمة المحتويات وخطة البحث:

تشتمل خطة البحث على فصل تمهيدي، وسبعة فصول، مع خاتمة تتضمن أبرز التوصيات والتائج، على النحو التالي:

الفصل التمهيدي: التعريف بعنوان الرسالة.

المبحث الأول: التعريف بالفضائل.

المبحث الثاني: التعريف بالتربية.

المبحث الثالث: مفهوم الفضائل التربوية.

المبحث الرابع: أهمية الفضائل التربوية في القرآن الكريم.

الفصل الأول: الفضائل التربوية العقدية:

المبحث الأول: الإيمان بالله تعالى وأسمائه الحسن، وآثارها التربوية.

المبحث الثاني: الإيمان باليوم الآخر، وآثاره التربوية.

المبحث الثالث: الإيمان بالملائكة، وآثاره التربوية.

المبحث الرابع: الإيمان بالرسول، وآثاره التربوية.

المبحث الخامس: الإيمان بالكتب، وآثاره التربوية.

المبحث السادس: الإيمان بالقدر، وآثاره التربوية.

الفصل الثاني: الفضائل التربوية التعبديّة:

المبحث الأول: إعلان الشهادتين، وآثارها التربوية.

المبحث الثاني: الصلاة، وآثارها التربوية.

المبحث الثالث: الصيام، وآثاره التربوية.

المبحث الرابع: الزكاة، وآثارها التربوية.

المبحث الخامس: الحج، وآثاره التربوية.

الفصل الثالث: الفضائل الاجتماعية، وآثارها التربوية:

المبحث الأول: وصايا الآباء للأبناء.

المبحث الثاني: تربية الأبناء.

المبحث الثالث: بر الوالدين.

المبحث الرابع: صلة الرحم.

المبحث الخامس: الإحسان إلى أصناف العامة.

الفصل الرابع: الفضائل التربوية الأخلاقية:

المبحث الأول: الفضائل التربوية القرآنية في الدعوة إلى الأخلاق الكريمة

المبحث الثاني: الفضائل التربوية القرآنية في النهي عن الأخلاق المذمومة.

الفصل الخامس: الفضائل التربوية بالقدوة الحسنة:

المبحث الأول: القدوة الحسنة في سيد الخلق عليه السلام.

المبحث الثاني: القدوة الحسنة في الأنبياء عليهم السلام.

المبحث الثالث: تطبيقات عملية في القدوة الحسنة.

الفصل السادس: الفضائل التربوية الاقتصادية:

المبحث الأول: الكسب الحلال.

المبحث الثاني: الحث على الإنفاق.

المبحث الثالث: حفظ مال اليتيم.

المبحث الرابع: حرمة الربا.

المبحث الخامس: الاعتدال والتوسط.

المبحث السادس: ضبط الموازين.

المبحث السابع: الموارد والوصايا.

الفصل السابع: الفضائل التربوية في العقوبات:

المبحث الأول: الحدود: آثارها التربوية.

المبحث الثاني: القصاص: آثاره التربوية.

المبحث الثالث: التعزير: آثاره التربوية.

ثم خاتمة، وأبرز التوصيات والنتائج، ثم قائمة المصادر والمراجع.

أ - ملخص المشروع باللغة العربية:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى، وآله الشرفا، وصحابته أهل الوفا.

وبعد:

فيركز بحث الفضائل التربوية في القرآن الكريم، على المزايا الوجدانية والسلوكية والأخلاقية، والتي تظهر على الفرد المسلم من جراء عملية التربية القرآنية، المستمدة من العقيدة الإسلامية، والتي تؤصل الأطر لعلاقة المسلم بربه، وبنفسه، وبالآخرين.

وهو من الأهمية بمكان، للتنبيه على الفضائل التربوية، القائمة في هدايات الآيات، سواء تلك المتعلقة بالعقائد، أو العبادات، أو الأخلاق، أو المعاملات. والتي استطعت أن أخصها بالنقاط الآتية:

أولاً: إن العقيدة الإسلامية، بدءا بالإيمان بالله تعالى، وأسمائه الحسن، وانتقالا إلى الإيمان باليوم الآخر، والملائكة، والرسول، والكتب، والقدر، لها فضائل تربوية هامة في تشكيل شخصية المسلم الوجدانية، والسلوكية، وجعلها متزنة، ذات فعالية، تحفظ الاستقرار للفكر والوجدان، وتحمي العقل من الأوهام، وتربط صلة العبد بخالق الأكوان، وتحقق النفع الإيجابي للمسلم السوي.

ثانياً: إن لأصول العبادات، بدءا بإعلان الشهادتين، ثم الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج. الأثر البالغ في تحقيق الصلة مع المولى عز وجل، إضافة إلى تهذيب النفوس، وتركيتها، ودعوها إلى الخير، والإحسان.

ثالثاً: تحدث القرآن الكريم عن كثير من القضايا الاجتماعية، من مثل وصايا الآباء للأبناء، والتي تحقق التربية الإسلامية المثلى، وتنعكس عنها سلوكيات فاضلة، كبر للوالدين، وصلة للأرحام، ثم الإحسان إلى أصناف متعددة في المجتمع، على رأسها ذوي القربى، والجيران، والموالي والذميين، حتى نصل إلى عامّة المسلمين، بما يشكل قواعد هامة في بناء العلاقات بين الناس.

رابعاً: كثير من القضايا الأخلاقية ركّز عليها القرآن الكريم لبناء العلاقات الاجتماعية على أسس متينة قائمة على التعاون، والإحترام المتبادل، وبذات الوقت، نهى عن كثير من الرذائل، التي تضر بنيان المجتمع، وكلها إنما قصد الإسلام منها تنبيه المجتمع إلى ما يحقق له المصالح الحقيقية، ويبيّن فيه المبادئ والقيم، لا إلى ما يوقعه في الفساد .

خامساً: إنّ للقدوة الحسنة فضائل تربوية هامة، منها حمل الناس على التشبه بها، وتتبع خطاها، وخاصة عند حصول المحبة، وأعظمها الجوانب المتعلقة بسيد الخلق سيدنا محمد ﷺ ، والذي جعله الله تعالى النموذج الأكمل للفضائل، وأمر بالإقتداء به ﷺ، حتى يتحقق التطبيق العملي بالإقتداء، كأسهل الطرق للتخلي بالفضائل، إضافة إلى تلمس آثار النبيين عليهم الصلاة والسلام، في سيرتهم العطرة، وأخلاقهم الفاضلة، والتي هي عين المبادئ والقيم التي نادى بها الإسلام.

سادساً: يقوم النظام الاقتصادي الإسلامي على أسس وثيقة، من الإيمان بالله عز وجل، ودعائم الأخلاق، فيما تدور هذه القضايا حول الكسب الحلال، والحث على الإنفاق، وحفظ مال اليتيم، وحرمة الربا، والاعتدال والتوسط، وعدم التفاخر بالمال، وضبط الموازين، وإعطاء الحقوق المتعلقة بالمواريث والوصايا، والتي تظهر مدى اهتمام الإسلام بإحقاق العدل والإحسان، وتشكل الشخصية الإسلامية السوية، العفيفة الطاهرة، التي لا تميل بما الأهواء والشّهوات، ولا تجرّفها الأطماع، على حساب الدين.

سابعاً: لا يخفى ما في العقوبات، التي أقرها الإسلام، بجميع أنواعها: الحدود، والقصاص، والتعزير، من فضائل تربوية هامة، على رأسها حماية المجتمع من عوامل الشر والفساد، كونها روادع وزواجر تربوية، تربي النفوس على كف الأذى عن الآخرين، وتسعى إلى إصلاح المجتمع، بصورة يسود فيها الأمن والعدل بين الناس، وتحقيق الكرامة الإنسانية.

The Summary of the project in English language:

All praise and thanks are allah and(peace be with him) profet mohammad al mostafa and his companions people of the loyalty: after that.

The reaserch of educational favours focus on the subconscious advantages the behaviours advantages the manners advantages which seem on the muslim people that because of the quraniq educational which came from the islamic creed thats confermed the relation between the muslim and his god the muslim and him self the muslim and the others and thats in the importance to attention on the favours eductional any where and I can find out it from the guideness of the verses either thats which conected in the creed devotion morals which ican summarize it in these points :

First: The islamic creed begin from the faith in Godness and His attributes and transfer to the faith in doomsday , angels , profets , scriptural and destiny has many educational favours in formation the subconscious character for the muslim and the behaviour character and makes it evenly with effectiveness and save the consistency for the thought and the subconscious and save the brain from the fancy and binding the relation between the person with the created of the world (Allah) and ascertain the general useful.

Secound: For the devotion regulations begin from the declaration of witness (there is no God but Allah Mohammad peace be with him massenger) then the pray , Al_Zakat , The fast , and the Pilgrimage the most effictions in binding love with Allah add to this behave the soul and inviteit to the good and to the charity.

Third: The Holey Quraan speak about many social cases such as the will from the parents to their children which ascretain the example of good islamic education and it makes the good behavior parents oldage , blood relation , then the charity to many differnt kind of people in this sociaty specially the kin , nighbours , Al_Mawaly (people that have an agreement with muslims people) , AL_Thmyeen (enjoying muslims protetion) till we reach to the general of muslims thats forms an important rules in formation the relations between people>

Fourth: From the more important behaviour case which the Holy Quraan focus on it in direct way the permission, purity, simple, keep away the hand and the tongue about the prohibition, the responsibility of the five senses and the obtaining means has many educational favours. At the top of these save the Muslims society from the depravity such as lost the civility, Slander, Arrogance, attention the society for what ascertain the true interest for it not which makes it does the deterioration

Fifth: The Holy Quraan shows many important economic cases invited to service the Islamic and economic order which is his base faith in Allah and his supported the behaviour the main subject of these cases about the legal earning, save the money of the orphans, forbidden of the usury, the straightness, and never pride in money, take an example from the people of the Paradise when they stop the charity and subject of exactitude justice and give the rights which connected in wills and legacy which appears that Al-Islam interest in justice and charity and inform the Islamic character it is purity and it does not make any desire or any thing wrong.

Sixth: For the good example many important educational favours some of these make the people liking it and follows it, especially when there is an attachment the greatest one that which connected with Prophet Mohammad (peace be with him) that Allah makes him the perfect example and Allah order to example with him (peace be with him) to ascertain the practical adaptation in example that is the easiest way in adaptation the favours addition to knowing an information about the prophets in their good life and their behaviour which is mean the values that Al-Islam call to it.

Seventh: in the punishment that Al-Islam reported in all its kinds: Limited, penat by punishment and enhance from an important educational favours on the top of it save the society from the evil because it is an educational restrain behave the souls separate offence from the others and its wants to repair the society in way makes it has justice and safely between people and the human honour between people.

المقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العليم الحكيم، والصلاة والسلام على النبي الكريم، سيدنا محمد، الذي أكرمته الله تعالى بأعظم الصفات، وكمّله بأجمل الفضائل، وجعله قدوة للعالمين، فقال عزّ من قائل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقِي عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] ، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغر المحجلين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد:

فقد يعجز الذهن، ويكل القلم، في الكتابة في موضوع فذ، ليس لعلومه حد ينتهي باحث إليه، ولا لأسراره نهاية يصل كاتب إليها، ومهما كتب في الفضائل التربوية شيء فهو غيظ من فيض . ومهما يكن من أمر، فالحديث عن الفضائل التربوية في القرآن الكريم، حديث عن الشخصية الإسلامية السوية التي تصنعها الفضائل المنبثقة عن الإسلام عقيدة وشريعة . والناظر في القرآن الكريم، يجد أنه كتاب هداية، وأعظم سبيل لتزكية النفس، ودعوتها إلى المكارم والفضائل، ذلك أن القرآن الكريم بحدّ ذاته، في روحه العامّة، يهدف إلى إيجاد نموذج إنساني متميّز، فهو يدير في نفسيّة الإنسان، كلّ قيمة مثلى، ومبدأً فاضل، وخلقاً رفيع، لأجل السمو بالإنسان، ورفعة شأنه.

سبب اختياري للموضوع:

هو حي للقرآن الكريم ولغته، كما أني لم أجد — حسب علمي — كتابا يخط لنفسه منهجا في التفسير الموضوعي لدراسة الفضائل التربوية، سوى ما اجتهدت على نفسي في هذا البحث، وتكمن أهمية هذا

البحث، من حيث الحاجة إلى عرض هذه الفضائل التربوية، بطريقة موضوعية علمية، مستنبطة من القرآن الكريم، الذي ينبغي أن يكون هو المنطلق في تناول هذه الفضائل التربوية. إضافة إلى حاجة المسلمين الماسة في هذا العصر، إلى الفضائل التربوية، المنبثقة عن المفاهيم العقديّة، والأحكام الشرعية، ووسائل تهذيب النفوس بالآداب الشرعية، والقيام على الرعاية الحقوقية، حقوق الله العظيم والحقوق البشرية، كأعظم دافع بالنسبة لي للكتابة في هذا البحث.

الدراسات السابقة:

لا أنكر أن كثيرا من العلماء تصدروا الكتابة في الفضائل بشكل عام، ومن أشهر المؤلفات التي وضعت لشرح الفضيلة كتاب "سلوك الملوك في تدبير الممالك" لأحمد بن محمد بن الربيع، وضعه للخليفة المعتصم العباسي، تناول فيه فضائل الإنسان الرئيس الذي يشغل أكمل المراتب الإنسانية، وكتاب "تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق" لابن مسكويه، أوضح فيه الحرص الطبيعي للإنسان على الخيرات طلبا للسعادة بمختلف أنواعها، وكتاب "إحياء علوم الدين" و "ميزان العمل" للغزالي، الذي يصف فيه الفضائل، وكتاب "أدب الدنيا والدين للماوردي" وغيرها من الكتب القديمة، إضافة إلى عشرات الكتب الحديثة، وكتاب "دستور الأخلاق في الإسلام، لمحمد عبد الله دراز، وكتاب "الأخلاق الإسلامية وأسسها"، لعبد الرحمن حسن حبنكة، وغيرها.

إضافة إلى العديد من الكتب التي تطرقت في ثناياها للفضائل التربوية، وبشكل متفرق، أو مقتضب، في الفكر الإسلامي، والعقيدة، والتربية، وهي أشهر من أن تُعرف.

والتي عرضت أحيانا لذكر بعض الفضائل التربوية، بصورة غير مباشرة، إما بالتعبير عنها أحيانا بالفوائد الإيمانية، وأحيانا بالحكم التشريعية، والتي تبرز فيها الفضائل التربوية بعلى الأحكام، فتحتاج إلى تصفية أحيانا، وأحيانا إلى استدراك.

وقد يعبر عن الفضائل التربوية في كتب العقيدة والشريعة، أحيانا بالآثار، أو الفوائد، أو الفضائل، أو الحكم، أو الثمرات، وهذا بصيغ العموم، من مثل قولهم، آثار الإيمان بالله عز وجل في حياة الفرد، أو فوائد الصلاة، أو فضائل الصيام، أو حكم الزكاة، أو ثمرات الحج.

ووقفت في البحث على كتاب: "المنتقى من الفوائد الإيمانية" لمصطفى شيخ إبراهيم حقي، إلا أنه لم يكن إلا سردا عاما للفضائل المتنوعة، تربوية كانت أو غيرها، دون بحث علمي منهجي، ولم يدل على الفضائل، بأية آية أو حديث، إلا أن هذا الكتاب، كان لي بمثابة المذكر بالمواضيع التي كنت قد غفلت عن الحديث عنها، ثم أحصيتها بعد ذلك.

منهجي في البحث:

اعتمدت في هذه الدراسة، منهج التفسير الموضوعي، حيث تتبعت الآيات المتعلقة بالفصول والمباحث المطروحة أولا بأول، حتى يكون لكل فصل ومبحث مادته التفسيرية الموضوعية، الشارحة للآيات القرآنية، من أمهات كتب التفسير، وأخصها، الطبري، والبيضاوي، والزمخشري، والنسفي، والقرطبي، والرازي، والشوكاني، وابن كثير، إضافة لكتب التفسير الحديثة، وعلى رأسها سيد قطب.

ثم قمت بالاستنباط المباشر للفضائل التربوية، من هذه التفاسير، جنبا إلى جنب مع الرجوع إلى الكتب التي لها علاقة مباشرة بموضوع الفضائل التربوية، والتي يدور معظمها حول كتب العقيدة الإسلامية، والفكر الإسلامي، والعبادات، والمعاملات، والتربية، والسيرة، والحديث، والأخلاق.

وكثيرا ما أجد في كتب المتقدمين قيماً ومبادئ وأخلاقا، سطرت بجهد مشكور، ولكن لم تقترن بفضائل تربوية، وجدت نفسي بحاجة حينئذ، إلى استنباط كثير منها، عن طريق الربط والمقارنة والتحليل والموازنة، والقياس المقرون بالدليل الواضح، والحجة المنطقية المعتبرة، للوصول إلى أبرز الفضائل التربوية، وفقا لمنهج علمي واضح الدلالة، متكامل الأطر.

ومن هنا تبدت بعض الصعوبات في المادة، إضافة إلى تشعبها، ومحاولة الوصول إلى طريقة علمية جادة مقبولة لحصرها.

ولكن مع الجهد الجاد، والمواصلة والمثابرة، تغلبت على هذه الصعوبات بفضل الله تعالى، إذ وفقني في المثابرة في العمل، ومشاورة أهل التخصص، جزاهم الله عني خير الجزاء.

أما محددات الرسالة:

فقد دارت حول المحاور المفصلية للدين، في كل من العقيدة والشريعة، كالاتي:

أ — العقيدة الإسلامية، وتعلق البحث في كل من: الإيمان بالله تعالى وأسمائه الحسن، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالملائكة، و الإيمان بالرسول، والإيمان بالكتب، والإيمان بالقدر، وآثارها التربوية.

ب — أما العبادات، فقد تعلق البحث بها في: إعلان الشهادتين، و الصلاة، والصيام، و الزكاة، والحج، وآثارها التربوية.

ج — أما القضايا الاجتماعية، فقد تعلق البحث بها في: وصايا الآباء للأبناء، وتربية الأبناء، وبر الوالدين، وصلة الرحم، والإحسان إلى أصناف متعددة في المجتمع: الأقربين، الجيران، واليتامى، والمساكين، وابن السبيل، والصاحب، والموالي، عامة المسلمين، والذميين، وآثارها التربوية.

د — أما القضايا الأخلاقية، فتعلق البحث بها في جانبين، الأول: الفضائل التربوية القرآنية في الدعوة إلى الأخلاق الكريمة، والثاني: الفضائل التربوية القرآنية في النهي عن الأخلاق المذمومة.

ه — أما القدوة الحسنة، فتعلق البحث بها بـ: القدوة الحسنة في سيد الخلق عليه السلام، والقدوة الحسنة في الأنبياء عليهم السلام، وتطبيقات عملية في القدوة الحسنة، وما في ذلك من آثار تربوية.

و — أما القضايا الاقتصادية، فتعلق البحث بها بـ: الكسب الحلال، والحث على الإنفاق، وحفظ مال اليتيم، وحرمة الربا، والاعتدال والتوسط، وضبط الموازين، والمواريث والوصايا، وآثارها التربوية.

ز— وأما العقوبات فتعلق البحث بما في: الحدود، والقصاص، والتعزير، وآثارها التربوية.

ومن خلال هذه المحددات، حددت أبواب، وفصول، ومباحث، ومطالب الرسالة، وذيلتها بخاتمة، مع

أبرز النتائج، ملحقة بقائمة المصادر والمراجع، والملاحق..

وفي ختام هذه المقدمة، أسأل الله العلي العظيم، أن يكون عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن

ينال رضاه، والقبول لديه، وأن يجعل فيه النفع العام للإسلام والمسلمين.

وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

الفصل

التمهيدي:

الفصل التمهيدي:

ويشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بعنوان الرسالة:

المبحث الثاني: أهمية الفضائل التربوية في القرآن الكريم:

المبحث الأول:

التعريف بعنوان الرسالة:

المطلب الأول: تعريف الفضائل لغة واصطلاحاً:

أولاً: تعريف الفضيلة لغة:

إن لفظة الفضيلة ترجع إلى أصليين لغويين كلٌّ منهما يحمل جملة من المعاني والدلالات:

الأصل الأول: "فَضَلَ يَفْضُلُ، كَدَخَلَ يَدْخُلُ، بمعنى الزيادة، وسواء كان المزيد زاد عن الاقتصار، أو

فاضل غيره، للدلالة على زيادة أحد الشئيين على الآخر"^١.

الأصل الثاني: "فَضَلَ يَفْضُلُ، كَحَدَرَ يَحْدَرُ، بمعنى التميّز، ومنه فضل الإنسان على غيره من الحيوان"^٢.

وكلا هذين الأصلين فيما إذا كان الفعل لازماً، وللأصل الثاني فرع آخر، فيما إذا تعدى الفعل، يُشار

به إلى الإحسان، فيقال: "تفضل الرجل على فلان، وَأَفْضَلَ إذا أناله من فضله وأحسن إليه"^٣.

^١ ينظر إبن منظور، أبي الفضل جمال الدين، محمد بن مكرم، الإفريقي المصري، لسان العرب دار صادر، بيروت، ط ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م، ج ١١، ص ٥٢٤ — ٥٢٦، والأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد، ٥٥٠٢، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، د. ط، تدار المعرفة، بيروت، ص ٣٨١.

^٢ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ١١، ص ٢٦، وينظر قيس، أحمد، المعجم الفيصل، ط ١، ١٩٨٥ م، مطابع الجهاد، دمشق، ص ٥٦٣. والأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص ٣٨١.

^٣ ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ١١، ص ٢٦، وقيس، أحمد، المعجم الفيصل، مرجع سابق، ط ١، ١٩٨٥ م، مطابع الجهاد، دمشق، ص ٥٦٣..

ثانياً: تعريف الفضائل اصطلاحاً:

سبق وظهر من التعريف اللغوي، أن الفضيلة تدور حول معنيين رئيسين، الأول يعني المزية، ويعبر به عن المكانة، أو الدرجة الرفيعة في الفضل، وفي الثاني، يعني الزيادة، أي الزيادة في الشيء، خيره وإحسانه.

وأما في المفهوم الاصطلاحي، فنجد أن مفهوم الفضيلة فيه هو:

"استعداد راسخ لإرادة الخير، أو لإنجاز نوع معين من الأفعال الأخلاقية"^{١٢}.

وهنا تعلق المفهوم الاصطلاحي بالهيئة الباطنة لدى النفس، والتي تدفعه للأعمال الطيبة.

وقد يعبر عن ذات الأعمال الفاضلة، والصفات الطيبة بالفضائل، حيث يشار بالفضيلة، إلى كل

خلق وعمل طيب صادر عن إنسان، توجهت إرادته لعمل الخير واكتسابه، وهذا ما أجده راجحاً.

وفي هذا يقول الدكتور عبد الرحمن بدوي: "تستخدم الفضيلة في المجال الأخلاقي إذا قصد بها

صفات الكمال، وتعني عادة فعل الخير"^{١٣}.

ومما يربط بين المفهوم اللغوي والاصطلاحي للفضائل، التعبير عن الهيئة الصالحة التي عليها النفس

ثم ما تترجمه من أعمال على أرض الواقع يتميز بها المرء، ويصل من خلالها إلى صفات الكمال، ففي كلا

المفهومين: اللغوي والاصطلاحي، "إذا وصفنا إنساناً بأنه فاضل، فمعنى هذا أنه ذو خلق طيب، اعتادت

إرادته العمل حسب ما توصي به الأخلاق"^{١٤}.

^{١٢} مجموعة مؤلفين، المعجم الفلسفي لمجمع اللغة العربية، د. ط، ص ١٣٦.

^{١٣} د بدوي، الأخلاق النظرية، د. ط، ص ١٤٣.

^{١٤} أمين، أحمد، الأخلاق، ط ١٩٦٩، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان. ص ١٩١.

المطلب الثاني: تعريف التربية لغة واصطلاحاً:

أولاً: تعريف التربية لغة:

أما التربية، فلفظة التربية ترجع إلى أصليين لغويين، كلٌ منهما يحمل جملة من المعاني والدلالات:

الأصل الأول: ربا يربو رباء، وربواً ويندرج تحت هذا الأصل المعاني التالية:

أ — الزيادة والتنمية: "ربا ربواً ورباء، زاد ونما . وارتيته وأربيته نميته"^٧

ب — التنشئة: يقال: "رَبَّه ورَبَّاه ورَبَّه، وهو إنشاء الشيء حالاً فحالاً إلى حد التمام"^٨

الأصل الثاني: رب، يرب، ويندرج تحته المعاني التالية:

أ — القيام عليه وتدبير أموره: "الراب هو الذي يقوم على أمر الريب، والله عز وجل، هو رب كل شيء أي مالكة"^٩.

ب — الإصلاح والإتمام: "ربّ الضيعة: أي أصلحها وأتمها، وربّ الرجل ولده، وربّبه، وترّبه، بمعنى

أصلح شأنه"^{١٠} و"الرّب، هو المصلح للشيء، والله جل ثناؤه الرّب، لأنه مصلح خلقه"^{١١}

ج — الحفظ والرعاية: "رب ولده، والصبي يرّبه ربا، وربّبه تربيها وتربه، بمعنى ربّاه، و"لك نعمة

ترّبها" أي تحفظها وتراعيها، كما يربي الرجل ولده..

وقيل: "لأن يربّي رجل من قريش أحبُّ إليّ من أن يربّي رجل من هوازن"^{١٢}.

د — السياسة وتولي الأمر: "رب زيد الأمر ربا إذا ساسه وقام بتدبيره"^{١٣}

^٧ الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، مرجع سابق، ص ٤٠١.

^٨ المرجع السابق، ص ٣٨٥.

^٩ ينظر ابن فارس، أحمد، ٣٩٥ هـ، معجم مقاييس اللغة، ط ١٤٢٢ هـ، ج ٢، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ص ٣٨١.

^{١٠} الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة، ١٩٨٢م، ١٩٩٩م، نقلا عن دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ج ١، ص ١٣٠.

^{١١} المرجع نفسه، ج ٢، ص ٣٨١.

^{١٢} ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ١٢، ص ٤١٩.

^{١٣} لفيومي، أحمد بن محمد الرافعي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ط، ١٩٢١م. المطبعة الأميرية بالقاهرة ص ٢٩١.

ثانياً: تعريف التربية اصطلاحاً:

سبق وظهر كذلك، من التعريف اللغوي للتربية، وفق أصولها، أنها تدور حول عدة معان أيضاً، تشمل الزيادة، والتنشئة، والتغذية، والإصلاح، والحفظ، والرعاية، والسياسة، والقيام بالأمر، والجمع، والتأليف. وأما في المفهوم الاصطلاحي، فنجد أن مفهوم التربية، يدور حول عدة معان، هي:

أ - "عملية إثماء واكتساب للخبرة، وتغيير مرغوب فيه في سلوك الفرد والجماعة، عن طريق تفاعل الفرد مع الكائنات، والأشياء المحيطة به، ومع البيئة العامة التي يعيش فيها"^{١٤}

ب - "استخراج ما لدى الفرد من قدرات كامنة وتنميته خلقياً وعقلياً حتى يصبح حساساً بالنسبة للاختيارات الفردية والاجتماعية، قادراً على العمل والنشاط الحقيقي بمقتضى ما يختاره منها"^{١٥}

ج - "عملية تنمية متكاملة لكافة قوى وملكات الفرد، بمختلف الأساليب والطرق، ليكون سعيداً وعضواً فاعلاً في مجتمعه، وهي بذلك تشمل جميع جوانب شخصيته، الروحية، والعقلية، والخلقية، والاجتماعية، والوجدانية، والجمالية، والبدنية"^{١٦}.

ولا نجد اختلافاً كثيراً بين هذه المفاهيم الاصطلاحية، فكلها تتعلق بالتنمية، وإن كان تركيز المفهوم الأول على التغيير الإيجابي في سلوك الفرد تبعاً للبيئة المحيطة، إلا أن الهدف فيه هي تنمية واكتساب الخبرات، وهي التي عبّر عنها في المفهوم الثاني بالملكات، مع شيء من التوضيح لهذه التنمية، بذكر نوعيتها وهي التنمية الخلقية والعقلية، وبإضافة تتعلق بذكر النتيجة التي يكون عليها الفرد بعد التنمية، من حيث مزيد الفاعلية لديه في المجتمع، وذلك في المفهوم الثالث.

وأجد أن أفضل تعريف اصطلاحاً للتربية، هو ما يجمع بين هذه التعريفات، بخلاصة مفادها:

^{١٤} الشيباني، عمر محمد التوم، فلسفة التربية الإسلامية، ط ١٩٨٣ م، المنشأ العام للنشر والتوزيع والإعلام، ليبيا، طرابلس، ص ٣٩.

^{١٥} القضاة، خالد، المدخل إلى التربية والتعليم ط ١٤١٨ هـ - ١٩٨٨ م، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ص ١٧.

^{١٦} يالجن، مقداد، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، ط ١٩٩٦ م، دار عالم الكتب، د.ت، الرياض، ص ٢٧.

التربية: عملية نمو واكتساب للخبرة، وتغيير مرغوب فيه في سلوك الفرد والجماعة، عن طريق تفاعل الفرد مع الكائنات، والأشياء المحيطة به، ومع البيئة العامة التي يعيش فيها، وبالتالي يصبح حساساً بالنسبة للاختيارات الفردية والاجتماعية، قادراً على العمل والنشاط الحقيقي بمقتضى ما يختاره منها، بفائدة تعود على جميع جوانب شخصيته، الروحية، والعقلية، والخلقية، والاجتماعية، والوجدانية، والجمالية، والبدنية. وهي الوسيلة المثلى المستخدمة في توضيح وإرساء دعائم العقيدة والمثل والقيم في نفوس أبناء المجتمع وفق الإطار الفكري العام للنهج الإسلامي وما يرافقه ذلك من أعداد كافة أبناء المجتمع أفراداً وجماعات لحشد كافة طاقاتهم التربوية والعملية وفق قدراتهم الفردية والجماعية. مما يتناسب مع معطيات العصر الحضارية الذي يعيشونه لتحقيق الأهداف الفردية والجماعية التي ينشدها أفراد المجتمع المسلم وفق تعاليم الإسلام الغراء^{١٧}.

^{١٧} سعد، هاني صلاح حسن، القدوة في التربية الإسلامية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التربية، جامعة اليرموك، ص ١١.

المطلب الثالث: مفهوم الفضائل التربوية:

قبل تحديد مفهوم الفضائل التربوية، لا بد من الإشارة إلى أن الفضائل على إطلاقها، يُشار بها أحياناً إلى المزايا، وتتحدد المزايا بحسب الإضافة، فمثلاً، عند إضافة كلمة "زمان" إلى المصدر "فضائل"، يكون المجموع: "فضائل الزمان" ويصبح هذا المصطلح خاصاً بفضائل الزمان وحسب، فيخرج من هذا القيد فضائل المكان، وغيره.

وبالتالي، إذا أضفنا الفضائل إلى التربية، تصبح: "فضائل التربية" ويدور المعنى حول مزايا التربية، وثمارها، وفوائدها، وحسب، أي دون أن تكون دلالة المزايا محصورة بالأخلاق، وإنما متعلقة بكل جوانب التربية، وجدانية عقائدية، أو سلوكية شرعية، إضافة للأخلاق.

لأن التربية في حقيقة الأمر، عملية رعاية للفضائل بجميع أبعادها، خلقية كانت، أم روحية، أم عقلية، أم وجدانية، أم جمالية (أي كمالية) أم بدنية، ونحوها.

وبعد هذا، أرى من خلال ملاحظة العلاقة بين الفضائل والتربية، أن الفضائل التربوية في القرآن الكريم، هي: (المزايا، أو الفوائد الوجدانية والسلوكية والأخلاقية، التي تظهر على الفرد من جراء عملية التربية القرآنية، المستمدة من العقيدة الإسلامية).

المبحث الثاني:

أهمية الفضائل التربوية في القرآن الكريم:

إنَّ الفضائل التربوية في الإسلام، والمنبثقة عن كل قيمة من قيم الإسلام العقديّة، لها آثارها الوجدانيّة والسلوكية والأخلاقية على الإنسان، والتي تظهر في حسن الصلة الإيمانية بين العبد وربّه، كالتوكل على الله، والرضا بحكمه، وفي حسن المعاملات الشرعية بين الناس، من بر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى أصناف العامة في المجتمع، ثم في أخلاق فاضلة يعينها كصدق الحديث، وأداء الأمانة، وغيرها.

ومن يوم بروز الإسلام" قدمت العقيدة الإسلامية أبرز فضائلها التربوية، كصرف الناس عن الزيغ والانحراف، وحماية عقولهم من الشكوك والشذوذ، وحفظ نفوسهم من تناقض المزايم المائلة، والعقائد الباطلة، التي ليس لها دليل معقول، ولا برهان مقبول، وإنقاذهم من تضارب الأهواء، وتنازع الآراء، وتشنت الجماعة. بما اشتمل عليه منهجها من تحرير العقل البشري من رق التقليد والخرافات عن طريق الإيمان بالله وحده، وتوجيه العقل نحو الدليل والبرهان والتفكير الصحيح، إضافة إلى إصلاح الفرد نفسياً وخلقياً وتوجيهه نحو الخير والإحسان والواجب، وبعد ذلك إصلاح المجتمع بصورة يسود فيها الأمن والعدل بين الناس والكرامة الإنسانية"^{١٨}.

^{١٨} ينظر الزرقا، مصطفى أحمد، المدخل الفقهي العام، د.ط، ص ٢٨ - ٣٠.

ومن هنا، يتبين مدى أهمية الفضائل التربوية في "توجيه المؤمن بالإيمان الكامل برسالة الرسول محمد ﷺ الخالدة، والافتداء به قولاً وعملاً، واعتقاداً وسيرة"^{١٩}. وهي الأساس في تحقيق السعادة للإنسان، متى ما أخذ الدين في جميع أصوله وفروعه على محمل الجد، ووضح الغاية، من منظار قوله تعالى حكاية عن رسولنا الأكرم، معلم البشرية، والقُدوة للعالمين: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

فيعني بقوله "﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾" أي، إن صلاتي، وعبادتي، في كل ما أتقرب به إلى ربي ﷻ ﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾ أي: حياتي ووفاتي ﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فهو الذي يحييني ويميتني، وهي له، فإن محياي بالعمل الصالح ومماتي إذا مت على الإيمان لله رب العالمين،^{٢٠}.

ولا شك أن من تحقق بالفضائل التربوية، ظاهراً وباطناً، فكراً وسلوكاً وعملاً، حصل له تمام النعمة والفضل من الله تعالى، من خلال هذا الدين العظيم، والذي هو في الحقيقة منة الله، ونعمته الكبرى لكل منتسب له.

وهنا يظهر أمامنا ماثلاً قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ

تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

والحمد لله رب العالمين.

^{١٩} الأعظمي، موجز الكلام في أركان الإسلام، مرجع سابق، ص ٤١.

^{٢٠} ينظر القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الأندلسي، ٦٧١ هـ، الجامع لأحكام القرآن، ط ١٩٩٣، ١٩٤٢٣، ٥١٤٢٣، ٢٠٠٣ م.

دار عالم الكتب. ج ٤، ص ١٥٣.

الفصل الأول:

الفضائل التربوية

العقدية:

الفصل الأول: الفضائل التربوية العقدية:

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإيمان بالله تعالى وأسمائه الحسنى، وآثارها

التربوية.

المبحث الثاني: الإيمان باليوم الآخر، وآثاره التربوية.

المبحث الثالث: الإيمان بالملائكة، وآثاره التربوية.

المبحث الرابع: الإيمان بالرسول، وآثاره التربوية.

المبحث الخامس: الإيمان بالكتب، وآثاره التربوية.

المبحث السادس: الإيمان بالقدر، وآثاره التربوية.

الفصل الأول:

الفضائل التربوية العقديّة:

إنّ العقيدة الإسلاميّة، هي المنبع الأساسي لكل فضيلة، ومقوم عظيم لسلوك الإنسان، فهي تغذي النفس البشرية من جميع جوانبها: الفكرية، والنفسية، والسلوكية، بطريقة منسجمة منتظمة، توقفنا على حقيقة مفادها: أنّ العقيدة الإسلاميّة هي الأساس في صناعة جميع القيم التربوية الفاضلة على صعيد الفرد والأسرة والمجتمع.

ومن المسلم به، أنّ "العقيدة الإسلامية هي المعيار الذي توزن عليه الأعمال والأقوال وكافة التصرفات، لحفظ كرامة الإنسان وصيانه وتحقيق سعادته في حياته الدنيا والآخرة"^{٢١}. وإذا ما كانت العقيدة صحيحة، تتحقق الفضائل التربوية الظاهرة والباطنة، في فكر الفرد، وسلوكه، حتى ينعكس إيجاباً على جميع شؤون الحياة العامة والخاصة.

ولاستخلاص أهم الفضائل العقديّة، لا بد من معرفة المجالات التي يبحث فيها علم العقيدة الإسلامية.

أما المجالات التي يبحث فيها علم العقيدة الإسلامية، أو ما اصطلح على تسميته بعلم التوحيد، لكونه

أشرف موضوعاتها، فهي كما يأتي^{٢٢}:

أولاً: في مجال الإيمان بالله تعالى، وتوحيده، وإخلاص العبادة له دون شريك، ومعرفة أسمائه الحسن.

^{٢١} ابن حميد، مبادئ ونماذج في القدوة، الشيخ صالح، بن عبد الله ابن حميد، د. ط، ص ١٩٢ .

^{٢٢} ينظر الزنداني، عبد المجيد عزيز، كتاب التوحيد، ط ١٤٠٨، ١٩٨٨، ص ٨-٩. دار طيبة، المدينة المنورة. والحرثي، المختصر المفيد في

علم التوحيد، د. إبراهيم بن أحمد مسلم، ط ١٤٢٨، ٢٠٠٨ م، دار المقاصد، عمان، الأردن ص ١١ .

ثانيا: في مجال الإيمان برسول الله تعالى، عليهم الصلاة والسلام، وهم حملة الهدى الإلهي، ومعرفة ما يجب لهم، كالصدق والأمانة، وما لا يجوز في حقهم، كالكذب والخيانة، ومعرفة معجزاتهم، وبيّنات رسالتهم، وخاصة معجزات وبيّنات وأدلة رسالة سيّدنا محمد ﷺ .

ثالثا: في مجال الإيمان بالكتب الإلهية، التي أنزلها الله تعالى هداية لعباده.

رابعا: في مجال الإيمان بالملائكة، وما يقومون به من أعمال، وصلتهم بنا في الدنيا والآخرة.

خامسا: في مجال الإيمان باليوم الآخر، وما أعد الله فيه من جزاء للمؤمنين والكافرين، من نعيم في الجنة، وعذاب في النار.

سادسا: في مجال الإيمان بقدر الله الحكيم، الذي يسير عليه كل ما في الكون.

ولقد سئل رسول الله ﷺ عن الإيمان، فقال: "أن تؤمن بالله وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره"^{٢٣}.

ونبدأ بالحديث عن الإيمان بالله تعالى، وأسمائه الحسنى، لتلمس آثارها التربوية.

^{٢٣} النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، مرجع سابق، ج ١، ص ١٧٥، وابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع

سابق، ج ١، ص ٩٦، ٩٧.

المبحث الأول:

الإيمان بالله تعالى وأسمائه الحسنی، وآثارها التربوية:

الإيمان بالله عز وجل معناه: "الاعتقاد الجازم بوجود الله تعالى، ووحدانيته، واستحقاقه للعبادة وحده، فهو رب كل شيء، ومليكه، وخالقه، ولأجل ذلك، يستحق وحده أن يفرد بالعبادة، من صلاة، وصوم، ودعاء، ورجاء، وخوف، وذل، وخضوع، إضافة إلى إيمان العبد باتصاف الرب بصفات الكمال كلها، وتزبيحه عن كل نقص"^{٢٤}.

وللحديث عن الفضائل التربوية التي يحققها الإيمان بالله تعالى، وأسمائه الحسنی، نقسم الموضوع إلى

أربعة أقسام، تسهلاً للبحث، حسب الآتية:

المطلب الأول: الفضائل التربوية للإيمان بوجود الله تعالى:

المطلب الثاني: الفضائل التربوية للإقرار بالوحدانية:

المطلب الثالث: الفضائل التربوية لقصد الله وحده بالطاعة والعبادة:

المطلب الرابع: الفضائل التربوية في الإيمان بأسمائه الحسنی:

^{٢٤} ينظر مجموعة من العلماء شرح العقيدة الطحاوية، ط٤، ٥١٣٩١، المكتب الإسلامي، عمان، بتصرف، ص٧٦.

المطلب الأول: الفضائل التربوية للإيمان بوجود الله تعالى:

إن الإنسان منذ النشأة كان في مركب التفكير والتأمل الفطري، ويدفعه ذلك الشعور إلى التصديق بوجود الخالق العظيم جل شأنه، بقوته المبدعة الخلاقة، التي يستصغر الإنسان كل طاقاته أمامها، وما من مخلوق إلا وتلك البذرة الفطرية موجودة لديه، والذي أنزل القرآن الكريم خاطب بشرا مدركين لهذه الحقيقة غير غافلين عنها، ومن ذلك قوله تعالى بحق المشركين: ﴿وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ لَيَقُولَنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿ [الزخرف: ٩].

ولذلك، فإن " حقيقة وجود الخالق العظيم جل شأنه، من الأمور التي لم يتعرض لها القرآن الكريم، إلا لماما، لارتباطها الوثيق بدوافع الفطرة، ولذا كان التذكير بها عاما وإجمالا، بينما القضايا التكميلية التي تنار ليتوصل إليها الإنسان بعقله، أو يأتي الوحي ليقرّر الالتزام بها، فإن القرآن الكريم يكثر من الاستدلال عليها، وتوجيه الأنظار للحكم الربانية في تقريرها"^{٢٥}.

صحيح أنه ثمة مخالف لهذه الحقيقة، ولكن ذلك الأمر لم يكن إنكارا، وإنما مكابرة، أو معاندة، أو جحودا، وإن أنكر اللسان لطغيان الهوى، أو دوافع المصالح، لكن الحق التي تؤمن به الفطرة صريح وواضح، وذلك ما يشير إليه قوله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ

عَنْقَبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿ [النمل: ١٤].

"إذ علموا أنها حق من عند الله، ولكن جحدوها وعاندوها، وكابروها ظلما من أنفسهم.. واستكبارا

عن الحق"^{٢٦}.

^{٢٥} الحارثي، د. مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ط ٦، ١٤٣٠هـ، ٢٠٠٩م، دار القلم، دمشق ص ١٠٢.

^{٢٦} ينظر ابن كثير، الإمام الحافظ، عماد الدين أبي الفداء، إسماعيل بن عمر القرشي، ٧٧٤ هـ، تفسير القرآن العظيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الأرقم، بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م، و ط ١٤١٩هـ، ٥١، ١٩٩٨ م. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ج ٦، ص ١٧٢.

ومن الفضائل التربوية للإيمان بوجود الله تعالى ما يأتي:

أولاً: تربية القلب على العقيدة الصحيحة، وتحرير الإنسان من العبودية لغير الله تعالى:

فالإيمان بالله تعالى يدفع المؤمن لتطهير فؤاده وتربية قلبه على العقيدة الصحيحة، التي تجعل المؤمن

متوجهاً إلى عبادة رب واحد، لا شريك له، واجب الوجود سبحانه وتعالى.

فـ"المخلوقات لا يخلقون شيئاً، وهم يُخلقون، ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً، ولا يملكون موتاً

ولا حياة ولا نشوراً"^{٢٧}

"والمؤمن يسعى دائماً للمحافظة على قلبه سليماً من كل آفة وعيب، وفساد يناهى ما يجهه الله، فيربي

مثلاً قلبه على الإخلاص لله تعالى، والتوكل عليه، والخوف منه دون سواه"^{٢٨}.

وقد علم المؤمن، أن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، ولا يقبل العبد إن كان قلبه متوجهاً إلى غيره، في

يوم لا ينفع فيه إلا الصدق، والإخلاص، وطهارة الجنان، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾^(٨٨)

إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ [الشعراء: ٨٨ - ٨٩].

ثانياً: تحقيق الطمأنينة القلبية والنفسية:

لأن "التوحيد يملأ نفس صاحبه أمناً وطمأنينة، فلا يخاف غير الله تعالى، وقد سد منافذ الخوف على

الرزق والنفس، والأهل، والخوف من الإنس، والجن، والموت، وغيرها من المخاوف"^{٢٩}، كما قال تعالى:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ هُمُ الْآمَنُونَ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

^{٢٧} حقي، مصطفى شيخ إبراهيم، المنتقى من الفوائد الإيمانية، ط١، دار طويق للنشر والتوزيع، الرياض، ص ٢٥١-٢٥٢.

^{٢٨} العصلاوي، فيصل بن راجح بن رجاء، آراء الشيخ عبد الله بن قعود التربوية، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية المقارنة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، د.ط، ت.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ "أي لم يخلطوه بشرك"^{٢٩}. لما ثبت في الصحيحين

وغيرهما من حديث ابن مسعود قال لما نزلت هذه الآية شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ وقالوا أينا

لم يظلم نفسه فقال رسول الله ﷺ: ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان: ﴿يَبْتَغِي لَا تُشْرِكْ

بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] ^{٣١}.

ويكفي في الشرك ما يجعل الإنسان تائها، متحيرا، يعيش في عمى وضلال، فإذا آمن بالله العظيم "يسير

في هذه الحياة الدنيا على صراط مستقيم، عارفا البداية والنهاية"^{٣٢}.

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ

أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

فقد بين تعالى في قوله: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ أن من وسع قلبه

للإسلام حتى ثبت فيه أو شرحه بفرحه وطمأنينته إليه، فهو على هدى، يأخذ بكتاب الله وينتهي إليه"^{٣٣}

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

[الرعد: ٢٨]

^{٢٩} حقي، المنتقى في الفوائد الإيمانية، مرجع سابق، ص ٢٥٢، وينظر ابن حميد وآخرون، موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول

الكريم ﷺ، مجموعة من المختصين، ط ٢، ٢٠٠٠م. دار الوسيلة، جدة، م ٧، ص ٢٧٨٩.

^{٣٠} الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ط ١٤١٥ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ج ٢، ص ١٣٥.

^{٣١} البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب استتابة المرتدين، باب ما جاء في التأولين، ح ٦٥٣٨، ومسلم، صحيح مسلم،

مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه. ح ١٢٤.

^{٣٢} ينظر الزنداني، كتاب التوحيد، مرجع سابق، ص ٩.

^{٣٣} ابن عبد السلام، الإمام عز الدين بن عبد العزيز السلمي، تفسير القرآن، اختصار النكت للماوردي، تحقيق د. عبد الله الوهبي،

ط ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م، دار ابن حزم، بيروت ج ٣، ص ٩٦.

يقول تعالى: "إن الذين آمنوا وتسكن قلوبهم وتستأنس بذكر الله، وتطيب وتركن إلى جانب الله

أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِينُ الْقُلُوبِ ﴿٣٤﴾ أي هو حقيق بذلك" ^{٣٤}.

ولهذا "فالإيمان يورث القلوب طمأنينة، والنفوس رضى، "والفطرة هي التي تعطي للناس الراحة والطمأنينة، والقناعة الداخلية، وبدونها تحس الإنسانية بالتوتر والقلق حتى تعرف الله، وتؤمن به، وتتوجه إليه" ^{٣٥}.

المطلب الثاني: الفضائل التربوية للإقرار بالوحدانية:

عرض القرآن الكريم قضية التوحيد، ودعا الناس إليها، لتوحيد الله، ونبذ الشركاء والأنداد، مجموعة من الحجج والبراهين العقلية، المتنوعة، على طريقة المحاججة والاستدلال، والتي جاز تفصيلها في ثلاثة أدلة عقلية ^{٣٦}:

الدليل الأول: دليل الخلق والإبداع:

الدليل الثاني: دليل العناية:

الدليل الثالث: دليل الفطرة:

وفيما يأتي تفصيل هذه الدلائل، وآثارها التربوية:

^{٣٤} الطبري، محمد بن جرير ، ٣١٠ هـ .جامع البيان عن تأويل القرآن، ط٣، ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م، دار الكتب العلمية، بيروت، ،

و ط ١، ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م. دارالفكر للطباعة والنشر، بيروت. ج١٣، ص ٦٧٤.

^{٣٥} ينظر مكّي، مجد، البيان في أركان الإيمان، ط١، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٩ م، دار البشائر الإسلامية. ص ٩٥ .

^{٣٦} مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، مرجع سابق، ص١٦٢-١٦٣.

الدليل الأول: دليل الخلق والإبداع، وآثاره التربوية:

بين الله تعالى في كتابه، أنه المتفرد بالخلق، والرزق، والتدبير، دون غيره، فقال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَتْ لَكُمْ

أَنْ تَنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَمْ يَخْلُقْ اللَّهُ مَعَهُ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ [النمل: ٦٠].

وقوله: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ﴾ أي في ارتفاعها، وصفائها، وما جعل فيها من الكواكب النيرة،

والنجوم الزاهرة، والأفلاك الدائرة، ﴿وَالْأَرْضَ﴾ وخلق الأرض في استفالها، وكتافتها، وما جعل فيها

من الجبال الأطواد، والسهول،..والحيوان على اختلاف الأصناف والأشكال والألوان، وغير ذلك ﴿وَأَنْزَلَ

لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي جعله رزقا للعباد، فأحيا به ﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾

أي بساتين ذات منظر حسن وشكل هنيء ﴿بَهْجَةٍ مَّا كَانَتْ لَكُمْ أَنْ تَنْبِتُوا شَجَرَهَا﴾ أي لم

تكونوا قادرين على ذلك، وإنما يقدر على تلك الخالق الرازق، المستقل بذلك، المتفرد به دون ما سواه من

الأصنام والأنداد، كما يعترف به هؤلاء المشركون^{٣٧}، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَلَيْنَ

سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [العنكبوت:

[٦١]

^{٣٧} ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ٥، ص ٤٧٠، و مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، مرجع سابق،

وجاءت فاصلة الآية الكريمة، بقوله تعالى ﴿أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ بِلَّ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ﴾ مقرررة لمضمونها، ومؤيدة لدليل الإبداع، لأن كل عاقل مكلف، يدرك أنه لم يخلق السماوات والأرض أحد، ولم يتزل المطر من السماء إلا الله تعالى^{٣٨}.

وينشق عن هذه الآية فضيلة تربوية عظيمة، ألا وهي: تحرير الإنسان من الخرافات والأوهام والأباطيل، ودعوته إلى منطق العلم:

فقد جاءت العقيدة الإسلامية لتقدم الحقائق، جنباً إلى جنب مع نسف الخيالات، ومحاربة الأوهام، وإزهاق الأباطيل، كل ذلك بمنهج علمي متزن، قائم على الدليل والحجة، بلا تقليد أعمى للموروثات الجاهلية، حيث الاحتكام إلى الموروث والعادة، دون منطق العقل والبرهان، بل دعوة إلى الفكر السليم المنضبط، الذي يتأمل في الموجودات للتعرف على خالقها، وصفاته التي بدت آثارها جلية في صناعته.

قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠]

وقال جل شأنه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ وَفَرْدَى ثُمَّ نَنْفَكُوا﴾

[سبأ: ٤٦]

وقال عز وجل: ﴿سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ

بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣].

^{٣٨} مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، مرجع سابق، ص ١٦٣.

الدليل الثاني: دليل العناية:

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ

الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٦١].

تنصل هذه الآية بالآية السابقة، من حيث أثرها التربوي في توجيه النفوس لحمد الله وشكره على

نعمه، حتى تعود حياة المسلم كلها تسيحا لله تعالى، وحمدا وعبادة آناء الليل وأطراف النهار.

"ففي هذه الآية تقرير لدليل العناية، فهو الذي جعل الأرض بهذه الكيفية، وثبتها بالجبال، وأجرى فيها

الأنهار، وجعل بين البحرين حاجزا، ولولا هذه العناية الربانية، وهذا التقرير المحكم، لما هيئت الأرض

للحياة والاستقرار...^{٣٩}

وفي هذا الدليل، فائدة تربوية، قائمة على توجه المسلم للتسبيح بحمد الله جل شأنه، وشكره على

نعمه..فهو الذي سخّر الكون للإنسان، حتى كان مغمورا بنعم الله تعالى، التي لا تعد ولا تحصى، كما في

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَلَائِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا

رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُمْ فِيهَا مَتَّعِمْ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٧١-٧٣].

الدليل الثالث: دليل الفطرة:

قال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ

مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا نَذْكُرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

ينبه تعالى أنه هو المدعو عند الشدائد، المرجو عند النوازل^{٤٠}، تبيين الآية، أن "الالتجاء إلى الله سبحانه

وتعالى عند الشدة أمر فطري، راسخ في النفس البشرية، إلا أن الناس يغفلون عن ذلك في حالة السراء،

^{٣٩} ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج٦، ص٢٠٣.

فلا يحتاج الأمر إلا إلا تذكّرهم، وإن لم تهيأ الظروف المذكورة لهم بذلك، فإن الشدة تفرض عليهم الذكرى، وتزيل الغشاوة عن الفطرة وصفائها، ولهذا ختمت الآية بـ ﴿ تَذَكَّرُونَ ﴾ وهذا دليل الفطرة، فلا ملجأ ولا ملاذ للمخلوقات عند وقوع الضر بهم، إلا التوجه إلى الواحد الأحد، الفرد الصمد...^{٤١}.

وينشق عن هذا الدليل فضيلة تربوية، لا تقل أثرا عن سابقتها، ألا وهي: "تنمية ملكة المراقبة، لدى الإنسان، فيتذكر الإنسان دائما أن الله معه يراه ويراقبه، ثم يحاسبه يوم القيامة على ما عمل من خير أو شر"^{٤٢}.

وبذلك يشعر المؤمن بعلم الله الشامل الذي لا يغيب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ولا يخفى عليه من عمل الإنسان، حتى السر وما هو أخفى.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ تَخَفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ

وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران: ٢٩].

^{٤٠} المرجع السابق، ج ٦، ص ٢٠٣.

^{٤١} ينظر مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، مرجع سابق، ص ١٦٣.

^{٤٢} ينظر د. الكيلاني وآخرون، د. إبراهيم زيد الكيلاني، و د. همام سعيد، ود. صالح ذياب هندي، دراسات في الفكر العربي الإسلامي، ط ١، ٥١٤٢١، ١٩٩٨ م. دار الشرق الأوسط، ماركا، عمان. ص ١٣٢

المطلب الثالث: الفضائل التربوية لقصد الله وحده بالطاعة والعبادة:

العبادة: " اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة"^{٤٣}.

والإخلاص: "هو قصد الله تعالى بالعبادة وحده؛ بأن لا يريد بطاعته والتقرب إليه شيئاً آخر"^{٤٤}.

وقد حث الإسلام على الإخلاص، وتقويم القصد والإرادة، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا

لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة: ٥]

"وما جعل الله تعالى الإخلاص أساساً في سير العبد إلى الله تعالى، إلا لأن "الإسلام لا يرضى للمسلم

أن يعيش بوجهين: وجه لله، ووجه لشركائه، ولا أن تنقسم حياته إلى شطرين: شطر لله، وشرط

للطاغوت.. ولا يخفى ما في هذا الانشطار من تشتت فكري، وتعب نفسي، وبالمقابل، ما يحققه الإخلاص

من استقرار نفسي، واطمئنان قلبي، بعيداً عن الوسوس والأوهام"^{٤٥}.

ومن هنا، فإن من الفضائل التربوية لإخلاص القصد لله تعالى للمؤمن الموحد، ما يأتي:

أولاً: ترجمة الإيمان إلى عمل:

فمن خلال الإيمان بالله تعالى، وأنه الإله الخالق، المستحق للعبادة بحق، "ينتقل الإنسان من مرحلة

الاقتناع الفكري بوجود الله، إلى مرحلة العمل لما يرضيه تعالى، وتكرار المسلم للعبادات تكرر لاتصاله مع

ربه، وبذلك يظل المسلم موصولاً بعقيدته باستمرار"^{٤٦}.

^{٤٣} المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق عبد الحميد صالح حمدان، ط ١٠٤١٠، القاهرة ص ٢٣٤..

^{٤٤} الجيلاني، الشيخ عبد القادر، الغنية لطالبي طريق الحق عز وجل، د. ط، ت، مكتبة الشرق الجديد، بغداد، ج ٢، ص ٩٨٥.

^{٤٥} ينظر القرضاوي، د. يوسف، النية والإخلاص، ط ١، ١٩٩٦ م، دار الفرقان، عمان. ص ١٤.

^{٤٦} فرحان، د. إسحق أحمد، التربية الإسلامية، أهدافها وسماتها، وتحديات العصر الحاضر لها، ط ١٣٨٨، ١٩٦٨ م، ص ١١، جمعية

عمال المطابع التعاونية، من منشورات وزارة الأوقاف الأردنية.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ

يَغْفِلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٢٣]

فقد خاطب الله تعالى نبيه محمد ﷺ، بقوله: ﴿وَلِلَّهِ﴾ يا محمد ﷺ، ملك كل ما غاب عنك في

السموات والأرض فلم تطلع عليه ولم تعلمه، كل ذلك بيده ويعلمه.. ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾

يقول: وإلى الله معاد كل عامل وعمله، وهو مجاز جميعهم بأعمالهم، ﴿فَاعْبُدْهُ وَمَا رَبُّكَ يَغْفِلُ عَمَّا

تَعْمَلُونَ﴾ يقول: فاعبد ربك، يا محمد، ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾، يقول: وفوض أمرك إليه، وثق به

وبكفائته، فإنه كافي من توكل عليه ﴿وَمَا رَبُّكَ يَغْفِلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^{٤٧}.

ثانياً: شعور المرء بالقوة والعزة:

لأن التوحيد مرجع لقوة النفس وعزتها، لأنه يمنح صاحبه قوة نفسية هائلة، لما تمتليء به نفسه من

طاقة تجعله مستغنيا عن الخلق، محمولا إلى الصبر على البلاء، وصدق الرجاء، فإذا وقع في مصيبة، سأل الله

وحده، لأنه أقرب منه من حبل الوريد.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا

لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

"ففي الآية تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد واقوالهم، واطلاعه على أحوالهم، بحال من قرب مكانه تقرير

للحرب وتحقيق له ووعد للداعي بالإجابة ﴿فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي﴾ فليستجيبوا لي إذا دعوتهم للإيمان والطاعة

^{٤٧} البيضاوي، البيضاوي، الإمام ناصر الدين، أبو الخير، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل،

كما أجيهم إذا دعوني لمهاتم، ﴿وَلْيُؤْمِنُوا بِي﴾ وليؤمنوا بي أمر بالثبات على ما هم عليه ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ راجين إصابة الرشد أي الحق^{٤٨}

المطلب الرابع: الفضائل التربوية في الإيمان بأسماء الله الحسنى:

أسماء الله الحسنى، هي "الأسماء التي أخبرنا بها الله عز وجل في كتابه، والرسول ﷺ في سنته.. وكل اسم من هذه الأسماء يدل على صفة، أو صفات لله سبحانه، وكل اسم منها مشتق من مرجعه، كالعليم، والقدير، والسميع، والبصير، ونحوها، فالعليم مشتق من العلم، وهو يدل على صفة العلم لله تعالى، وكذلك بقية الأسماء..

وسميت "الحسنى" لدلالاتها على أحسن مسمى، وأشرف مدلول^{٤٩}.

وأما عدد أسماء الله جل وعلا، فالذي ورد فيه النص، تسعة وتسعون اسماً، وأغلبها مما ورد في القرآن الكريم، يجمعها قوله ﷺ: "إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة، إنه وتر يجب الوتر"^{٥٠}.

وقد اتفق العلماء على أن قول النبي ﷺ: "تسعة وتسعين اسماً" لا يفيد أنها محصورة في هذا العدد، وإنما غاية ما في هذا الحديث الصحيح، أن لله هذه الأسماء المذكورة، من أحصاها دخل الجنة، وليس فيه نفي غيرها عن الله سبحانه، فالمراد الإخبار عن دخول الجنة بإحصائها، لا الإخبار بحصر الأسماء^{٥١}.

^{٤٨} أبي السعود، إرشاد العقل السليم، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٠٠.

^{٤٩} ياسين، د. محمد نعيم، الإيمان، أركانه، حقيقته، نواقضه، دار الفرقان، ط، ١٩٩١ م. ص ٣٤.

^{٥٠} البخاري، محمد بن إسماعيل، (٥٢٥٦)، الجامع المسند الصحيح المختصر، من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، المعروف بـ(صحيح البخاري)، المحقق محمد زهير بن ناصر الفرج، شرح وتعليق د. مصطفى البغا، ط ١، ٥١٤٢٢، دار طوق النجاة، د. ط.

كتاب الدعوات، باب: "لله مائة اسم غير واحد" ح ٦٠٤٧، و مسلم، أبو الحسن، مسلم بن مسلم، القشيري النيسابوري (ت ٥٢٦) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المعروف بـ(صحيح مسلم) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د. ط. كتاب الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها، ح ٢٦٧٧.

^{٥١} ينظر البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسن بن علي، الأسماء والصفات، د. ط. ت، ص ٦، مطبعة السعادة.

وأما معنى إحصاء أسماء الله الحسنى الوارد في الحديث السابق، فهو: معرفتها، وحفظها، وفهمها، والإيمان بها، وحسن المراعاة لها، والمحافظة على حدودها في معاملة الله بها، ودعاء الله عز وجل بها".^{٥٢}

"وأن تدعو الله بأسمائه الحسنى، معناه؛ "أنك تعتقد بحضور من تدعوه أينما كنت، وقدرته على التصرف في الملكوت، بقوانين قد لا تشاهدها أو تعرفها"^{٥٣}.

وهذه الأسماء الحسنى، تنقسم إلى عدة أقسام:

أولها: الأسماء المتعلقة بذاته سبحانه:

وهي: الواحد، الأحد، القدوس^{٥٤}، الصمد^{٥٥}، الغني، الأول، القيوم^{٥٦}.

ثانيها: أسماء متعلقة بالتكوين:

وهي: الخالق، الباري^{٥٧}، المصور، البديع^{٥٨}.

ثالثها: أسماء متعلقة بالرحمة:

وهي: الرب، الرحمن، الرحيم، الرؤوف، الودود، اللطيف، الحليم، العفو^{٥٩}، الشكور^{٦٠}، المؤمن^{٦١}، البر^{٦٢}، الرزاق، الوهاب، الواسع^{٦٣}.

^{٥٢} ابن حجر، فتح الباري، مرجع سابق، ج ١٣، ص ٣٢٢.

^{٥٣} الزنداني، التوحيد، مرجع سابق، ص ٢٤٣.

^{٥٤} القدوس: المطهر من العيوب والنقائص.

^{٥٥} الصمد، الغني الي يقصد في الحوائج ولا يحتاج إلى أحد.

^{٥٦} القيوم: القائم بنفسه، المقيم لغيره.

^{٥٧} الباري: الخالق لما فيه الروح، والموجد لما له أصل.

^{٥٨} البديع: الذي لا نظير له.

^{٥٩} العفو: الماحي لسيئات من أناب إليه.

^{٦٠} الشكور: الذي يعطي الكثير على العمل القليل.

رابعها: أسماء متعلقة بعظمة الله وجلاله:

وهي: العظيم، العزيز، العلي، المتعالي^{٦٤}، القوي، القهار، الجبار، المتكبر^{٦٥}، الكبير، الكريم، المجيد، الحميد، المتين^{٦٦}، الظاهر، ذو الجلال والإكرام، رفيع الدرجات.

خامسها: أسماء متعلقة بعلمه تعالى:

وهي: الحكيم، السميع، الخبير، البصير، الشهيد^{٦٧}، الرقيب، الباطن^{٦٨}، المهيمن^{٦٩}.

سادسها: أسماء متعلقة بقدرته تعالى، وتدبيره للأمر:

وهي: القادر، الولي^{٧٠}، الوكيل^{٧١}، الحافظ، الملك، المالك، الفتاح^{٧٢}، الحسيب^{٧٣}، المنتقم^{٧٤}، المقيت.

^{٦١} المؤمن: المؤمن خلقه من العذاب، والمصدق وعده لهم.

^{٦٢} البر: كثير البر، عظيم الإحسان.

^{٦٣} الواسع: الذي عمّت رحمته، ووسع علمه كل شيء.

^{٦٤} المتعالي: المتره عن القائنص.

^{٦٥} المتكبر: المنفرد بصفات العظمة.

^{٦٦} المتين: الذي بلغ التّهاية في الشّدّة.

^{٦٧} الشهيد: العالم بكل مخلوق.

^{٦٨} الباطن: الخفي بذاته، فلا يعلم ذاته أحد.

^{٦٩} المهيمن: المسيطر.

^{٧٠} الولي: المتولي أمر خلقه، لحبه لهم، ونصره إياهم.

^{٧١} الوكيل: القائم بأمر عباده، وسائر ما يحتاجون إليه.

^{٧٢} الفتاح: الذي يفتح خزائن رحمته لعباده.

^{٧٣} الحسيب: الذي يكفي عباده، أو يحاسبهم يوم القيامة.

^{٧٤} المنتقم: المعاقب لمن يستحق العقوبة.

سابعا: أسماء مستمدة من صفاته وأفعاله:

وهي: القابض^{٧٥}، الباسط، الرافع، المعز، المذل، المحيب، الباعث، المحصي، المبدي، المعيد^{٧٦}، المحي، المميت، مالك الملك، الجامع، المعطي، الغني، المغني، المانع، الهادي، الباقي^{٧٧}، الوارث^{٧٨}.

ثامنها: أسماء مستمدة من المعاني الواردة في القرآن:

وهي: النور، الصبور^{٧٩}، الرشيد^{٨٠}، المقسط، الوالي، الجليل، العدل، الخافض، الواحد^{٨١}، المقدم^{٨٢}، المؤخر، الضار^{٨٣}، النافع^{٨٤}.

ومن أمهات الأسماء الحسنى، التي وردت في كتاب ربنا جل وعلا، ما ورد في كل من سورة الإخلاص، وآية الكرسي،، و تنتقل إلى هذين الموضوعين من كتاب ربنا جل وعلا، لنذكر ما فيهما من فضائل تربوية، ثم نستخلص عموما أبرز الفضائل التربوية في موضوع الأسماء الحسنى.

أولا: الأسماء الحسنى الواردة في سورة الإخلاص، وآثارها التربوية:

الأسماء الحسنى التي وردت في سورة الإخلاص، هي في قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ اللَّهُ

الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الصمد: ١-٤].

^{٧٥} القابض: قابض الأرواح، أو مضيق الرزق على من يشاء من عباده.

^{٧٦} المعيد: المعيد للأشياء بعد عدمها.

^{٧٧} الباقي: الدائم الوجود.

^{٧٨} الوارث: الباقي بعد فناء الموجودات.

^{٧٩} النور: الظاهر في آياته ومخلوقاته، المظهر غيره.

^{٨٠} الرشيد: المرشد لعباده، والذي تجري تصاريفه لغايتها، بمنتهى الحكمة والسداد..

^{٨١} الواحد: الذي يجد كل ما أراده، لغناه المطلق.

^{٨٢} المقدم: الذي يقدم الأشياء بعضها على بعض في الوجود، في الشرف، أو في الزمان، أو في المكان.

^{٨٣} الضار: الذي يتزل عقابه بأعدائه.

^{٨٤} النافع: الذي عمّ خيرته البلاد والعباد.

وتمهيدا، هذه السورة العظيمة، تضمنت إثبات كل كمال لله عز وجل، ونفي كل نقص عنه، فقد أخبر سبحانه فيها، أنه هو الله الأحد الصمد، وأنه لم يلد ولم يولد، وليس له كفوا أحد.
ومعنى الأحد: "الذي لا شبيه له ولا نظير"^{٨٥}، فيدل هذا الاسم الكريم على أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثل شيء في صفات الكمال الثابتة له..

ومعنى الصمد: "السيد الذي يُصمد إليه في كل الأمور، ويقصد في الحوائج والنوازل"^{٨٦}،
ومن الفضائل التربوية التي توقفنا عليها سورة الإخلاص، صدق الالتجاء إلى الله تعالى في الحوائج والنوازل، فالله سبحانه وتعالى هو وحده المستحق لأن يقصد بالحوائج والمسائل، "إذ لا خالق غيره، ولا مدبر سواه، فالإعراض عن قصده سبحانه، جهل وحمق، لأن الأمر كله بيده"^{٨٧}.

ثانيا: الأسماء الحسنى الواردة في آية الكرسي، وآثارها التربوية:

وأما آية الكرسي، والتي هي أعظم آية في القرآن الكريم، فقد اشتملت على صفات وأسماء، كل منها يمثل قاعدة من قواعد العقيدة الإسلامية، ونطلع من خلالها على أبرز ما تضمنته من آثار وفضائل تربوية.

قال تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي

الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ

عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿

[البقرة: ٢٥٥].

^{٨٥} البيهقي، الأسماء والصفات، مرجع سابق، ص ٢١.

^{٨٦} المرجع السابق، ص ٥٨.

^{٨٧} نفس المرجع، ص ٥٨.

فقد ابتدأت الآية بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ بتقرير قاعدة الإلوهية، التي هي أساس التوحيد، والتي ينبثق عنها منهج الإسلام للحياة كلها، وهي تستلزم الاتجاه إلى الله وحده بالعبودية .

وأما قوله تعالى: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ فقد أثبت الله تعالى لذاته العلية اسمين عظيمين:

١- الحي: وهو الذي له الحياة الدائمة، والبقاء الذي لا أول له ولا آخر^{٨٨}، فالحياة التي يوصف بها الله تعالى هي الحياة الذاتية التي لم تأت من مرجع آخر، كحياة الخلائق المكسوبة الموهوبة لها من الخالق، كذلك هي الحياة الأزلية الأبدية، التي لا تبدأ من مبدأ، ولا تنتهي إلى نهاية^{٨٩}.
والقيوم: هو القائم بأمر الخلق، ومدبّر العالم في جميع أحواله، فهو القيّم على كل شيء،: يرزقه، ويحفظه، ويرعاه، ويدبّره بما يريد جلّ وعلا^{٩٠}.

وهذان الاسمان: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ من أعظم أسماء الله الحسنى، إذ عليهما مدار الأسماء الحسنى كلها، وإليهما ترجع معانيها.

فإن الحياة مستلزمة لجميع صفات الكمال، فلا يتخلف عنها صفة منها، إلا بضعف الحياة، فإذا كان لله تعالى الحياة الكاملة، فله كل كمال.

وصفة القيومية تتضمن كمال غناه سبحانه، وكمال قدرته، فهو القائم بنفسه، فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه، وهو المقيم لغيره، فكل موجود مرتكن إلى وجود الله وتدييره^{٩١}.

ولهذين الاسمين أثر عظيم في حياة المسلم، الذي يؤمن بهما، ويستحضر ما فيهما من معان عظيمة، بأن يظل ضميره مرتبطا بالله تعالى، حبا وعبادة وطاعة، لأنه يعلم أنّ ربه هو الذي يُصرف أمره، وأمر كل

^{٨٨} الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج ٥، ص ٣٨٨، والبيهقي، الأسماء والصفات، مرجع سابق، ص ٢٠.

^{٨٩} قطب، سيد، في ظلال القرآن، ط ١٩٩٤م. دار الشروق، ج ١، ص ٤١٨.

^{٩٠} ينظر الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج ٥، ص ٣٨٨، والبيهقي، الأسماء والصفات، مرجع سابق، ص ٤٨.

^{٩١} مجموعة من العلماء، شرح العقيدة الطحاوية، مرجع سابق، ص ١٢٤-١٢٥.

شيء حوله، وفق حكمة وتدبير، فيلتزم في حياته بالمنهج المرسوم، القائم على الحكمة والتدبير، ويستمد منه قيمه وموازينه، ويرقبه في جميع أحواله^{٩٢}.

وقوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾: تؤكد لقيامه سبحانه على كل شيء، وقيام كل شيء،

لأن السنة — وهي النعاس — والنوم، ينافيان الحياة الكاملة، والقيومية الكاملة^{٩٣}.

وقوله تعالى ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ يقرر ملكيته سبحانه الشاملة لكل شيء، المطلقة

من أي قيد، المترهة عن أية شركة.

"وهذا ما يجعل إحساس المسلم أن ما في يده عارية لأمد محدود، ثم يستردها صاحبها الذي أعارها له في الأجل المرسوم.. وهذا ما يقلص أيضا من حدة الشره والطمع، وحدة الشح والحرص، ويسكب في النفس القناعة والرضى بما يحصل من الرزق، والسماحة والجود بالموجود، وأن يفيض على القلب الطمأنينة والقرار في الوجدان والحرمان على السواء، فلا تذهب النفس حسرات، على فائت أو ضائع، ولا يتحرق القلب سعارا على المرموق المطلوب..

وقوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ توضيح لمقام الإلهية، ومقام العبودية، فكل

مخلوق عبد لله، لا يتجاوز حد العبودية، ولا يتعداه، فليس له الشفاعة عند الله إلا بإذنه، وبهذا تضع هذه العقيدة فاصلا واضحا بين حقيقة العبودية وحقيقة الربوبية، فلا يختلطان، ولا يتشركان في شيء من الصفات أو الخصائص^{٩٤}.

^{٩٢} قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج ١، ص ٤١٩.

^{٩٣} المرجع السابق، ج ١، ص ٤٢٠.

^{٩٤} قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق ج ١، ص ٤٢٠-٤٢١.

وقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾

إثبات لإحاطة علمه سبحانه وتعالى، وشموله للزمان والمكان والأشياء، وبيان لعجز المخلوقات ونقص علمهم إلا ما شاء الله أن يعلمهم^{٩٥}.

وإيمان المسلم بهذه الصفة لله عز وجل، واستحضارها في قلبه، يجعله مراقبا لربه دائما، مراعيًا لحدوده، سريع التوبة إليه إن أساء.

وإدراكه لحقيقة نفسه، ونعمة الله عليه فيما يعلمه إياه من الحقائق، يجعله دائما كثير الشكر لله، وبعيدا عن البطر والكبر والتبجح.

وقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾ دليل على كمال قدرته سبحانه وتتمامها.

ثم ختم سبحانه هذه الآية العظيمة بذكر اسمين من أسمائه الحسنى، فقال: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾.

والعلي الذي يبلغ أعلى المراتب، التي يعجز التصور عن إدراكها، أو الإحاطة بها.

والعظيم: ذو العظمة، الذي كل شيء دونه، فلا شيء أعظم منه سبحانه^{٩٦}.

وعندما تستقر هذه الصفة في نفس الإنسان، يعرف قدر نفسه، ويثوب لإلى مقام العبودية لله عز

وجل، فلا يتكبر ولا يطغى، وإنما يخاف الله ويهابه، ويتأدب معه، ومع خلقه سبحانه^{٩٧}.

وعموما، فإن من فوائد معرفة الأسماء الحسنى ومعانيها، ما يأتي^{٩٨}:

^{٩٥} الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج ٥، ص ٣٩٦-٣٩٧.

^{٩٦} الطبري، جامع البيان، مرجع سابق ج ٥، ص ٣٩٦-٣٩٧.

^{٩٧} قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق ج ١، ص ٤٢٤.

^{٩٨} الزنداني، عبد المجيد، التوحيد، مطبعة طيبة، ط ١٩٨٨، المدينة المنورة، ص ١٠.

أولاً: معرفة عظمة الخالق سبحانه، والتوجه بالعبادة إليه وحده:

إذ "إن الإيمان بالله تعالى، والإقرار بوحديته، ومعرفة كماله سبحانه، تعرف الإنسان بعظيم كماله الحق وأسمائه الحسنى، ليكون عبداً خالصاً لله، لا لأحد سواه، ولا يتوجه بالدعاء لأحد غير الله تعالى .

قال تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ** ﴾ [الأعراف:

. [١٨٠]

"فقوله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ** ﴾ لأنها دالة على معان هي أحسن المعاني، والمراد بها الألفاظ،

وقيل الصفات ﴿ **فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ أي فسموه بتلك الأسماء ﴿ **وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ** ﴾

سَيَجْرُونَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ أي واتركوا تسمية الزائعين فيها، الذين يسمونه بلا توقيف فيه" ^{٩٩}.

وإنه، وبالربط بين قوله تعالى: ﴿ **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** ﴾ [الذاريات: ٥٦]

وقوله تعالى: ﴿ **وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ** ﴾ سَيَجْرُونَ مَا

كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠] نجد أن من أشرف وسائل العبادة، تعبد الله تعالى بأسمائه الحسنى،

وهذا ما يجعل للمسلم منهجا سويا بينا، يعرف فيه لمن يلتجأ، ومن يسأل، ومن من يطلب، "فلا يعيش في

عماية، أو يمشي إلى غير غاية" ^{١٠٠}، كالذين جحدوا الله، أو شكوا فيه، وفي أسمائه الحسنى، أو ألدوا

فيها، من الذين حذر الله تعالى من شاكرتهم، بل، يقف على الغاية التي لأجلها خلق، وعلى ضوئها ينبغي

أن يسلك ويسير ، موحداً غير مشرك، صادقا قانتا مؤمنا موقنا بالله العظيم.

ثانياً: معرفة عظم نعم الله تعالى على عبده.

^{٩٩} البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مرجع سابق، ج٣، ص٧٧.

^{١٠٠} العجوز، أحمد محيي الدين، مناهج الشريعة الإسلامية، ط١، ٥١٤٠٤، ١٩٨١م. مكتبة المعارف، لبنان. ص٩٥.

لا يخفى على عاقل، مدى ضعف و فقر المخلوقات و حاجتها لربها ، وبالمقابل عظيم نعمته عليهم، بما يولد في النفس حب الخالق العظيم، وشكره، والتدلل له، والاستكانة بين يديه .
وقد ضرب الله تعالى لعباده مثلا في القرآن الكريم على ما ينبغي أن يكون عليه حال المؤمن الصادق مع ربه، بقوله سبحانه:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ مَئْتَصِدًا عَا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ

لَعَلَّهُمْ يَنْفَكُرُونَ ﴿ [الحشر: ٢١]

يقول تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ﴾ وهو حجر ﴿لَرَأَيْتَهُ﴾ يا محمد ﷺ ﴿خَشِعًا مَّئْتَصِدًا عَا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ أي متدلا حذرا من أن لا يؤدي حق الله المفترض عليه، في تعظيم القرآن — وهو الذي عرف بالله تعالى وبأسمائه الحسنی — وقد أنزل على ابن آدم، وهو بحقه مستخف، وعنه عما فيه من العبر والذكر معرض، وكان لم يسمعها، كأن في أذنيه وقرا^{١١١}.

ثالثا: تقوية الإيمان و اليقين بالله .

إن المؤمن الذي ارتبط قلبه بالإيمان بالله تعالى، وبأسمائه الحسنی، صاحب قلب يقظ، وشعور حي، لعلمه باطلاع الله عليه في الحركات والسكنات، وهذا ما يجعله أيضا مندفعاً للسير في الطريق الذي رسمه الله تعالى، والاستقامة عليه، وعلى أمر الله تعالى لنبيه المصطفى ﷺ وأمتة من بعده بقوله: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا

أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا^{١١٢} إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿ [هود: ١١٢].

^{١١١} الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج ١٠، ص ٣٠٠.

فقوله تعالى: ﴿فَأَسْتَقِمَّ كَمَا أُمِرْتَ﴾ أي فاستقم يا رسولي محمد، ﷺ، على أمر ربك والدين الذي ابتعثك به، والدعاء إليه كما أمرك ربك، ﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ يقول: ومن رجع معك إلى طاعة الله تعالى والعمل بما أمره به ربه، من بعد كفره، ﴿وَلَا تَطْغَوْا﴾ أي : ولا تعدوا أمره إلى ما نهاكم عنه، ﴿إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ أي: إن ربكم أيها الناس بما تعملون من الأعمال كلها طاعتها ومعصيتها بصير ذو علم بها، لا يخفى عليه منها شيء، وهو لجميعها مبصر مطلع، فاتقوا الله أيها الناس أن يطلع عليكم ربكم وأنتم عاملون بخلاف أمره، فإنه ذو علم بما تعملون، وهو لكم بالمرصاد"١٠٢.

١٠٢ الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج ١٢، ص ١٥٠.

المبحث الثاني:

الإيمان باليوم الآخر، وآثاره التربوية:

الإيمان باليوم الآخر، يعني: "التصديق باليوم الذي يبعث الله فيه الناس من القبور وما يجري فيه من ثواب وعقاب، بعد فناء الخلائق، فيحاسبهم الله على أعمالهم، فيجزى المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته، فيدخل الطائعين الجنة برحمته، ويدخل العاصين جهنم بعدله"^{١٠٣}.

"والإيمان باليوم الآخر هو الركن الذي يلي الإيمان بالله مباشرة، لأن الإيمان بالله يحقق المعرفة بخالق الكون والإيمان باليوم الآخر يحقق المعرفة بالمصير الذي ينتهي إليه الوجود"^{١٠٤}.

ومن هذا المنطلق يبدي القرآن اهتماماً كبيراً، باليوم الآخر، ويربطه بالإيمان بالله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَمَلَتْ يَدَهُ وَالْكَفَىٰ وَالنَّبِيَّ﴾ [البقرة:

١٧٧].

وقد تعرض القرآن الكريم لكثير من أحوال اليوم الآخر ومراتبه، واندرج تحتها كثير من الفضائل

التربوية، والتي يمكن معرفتها ضمن التفصيل الآتي، في المطالب الآتية^{١٠٥}:

المطلب الأول: الإيمان بعذاب القبر، وآثاره التربوية.

المطلب الثاني: الإيمان بالحشر والبعث، وآثاره التربوية.

المطلب الثالث: الإيمان بالحساب يوم القيامة، وآثاره التربوية.

^{١٠٣} العجوز، منهاج الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٣٣.

^{١٠٤} الكيلاني وآخرون، دراسات في الفكر العربي الإسلامي، مرجع سابق: ١٢١.

^{١٠٥} ينظر الحارثي، المختصر المفيد في علم التوحيد، مرجع سابق، دار المقاصد، عمان الأردن ص ٩٧-١٠٠..

المطلب الرابع: الإيمان بصحائف الأعمال، وآثاره التربوية.

المطلب الخامس: الإيمان بالميزان، الذي توزن فيه الأعمال، وآثاره التربوية.

المطلب السادس: الإيمان بالصراط، وآثاره التربوية.

المطلب السابع: الإيمان بالجنة والنار، وآثاره التربوية.

المطلب الأول: الإيمان بعذاب القبر، وآثاره التربوية:

القبر أول منازل الآخرة، وقد ورد الحديث عنه في كتاب الله، في قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ

عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ [غافر: ٤٦].

"وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم ، ويأتي أجسادهم في قبورها من حرها وسمومها ، فإذا

كان يوم القيامة سلكت أرواحهم في أجسادهم ، وخلدت في نار جهنم" ^{١٠٦}

وقول النبي ﷺ: "إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا، لدعوت الله يسمعكم من عذاب

القبر الذي أسمع منه، تعوذوا بالله من عذاب النار، تعوذوا بالله من عذاب القبر، تعوذوا بالله من الفتن ما

ظهر منها وما بطن، تعوذوا بالله من فتنة الدجال" ^{١٠٧}.

ولهذه المرحلة التي يمر بها الإنسان بعد موته، فضائل تربوية متعددة، نبرزها في الآتية:

أولاً: تعريف الإنسان بمبدأ الوجود:

إن الإيمان باليوم الآخر، في جميع مراحلها، بدءاً بأول مرحلة فيه، وهي الانتقال إلى عالم البرزخ في

القبر، حيث يؤول جميع الناس صالحهم وطالحهم إليه، بعد فناء طاقاتهم في هذه الحياة الدنيا يعرف الإنسان

^{١٠٦} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٤، ص٥٦٧.

^{١٠٧} مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، ح٢٨٦٧ عن زيد بن ثابت رضي الله عنه.

مبدأ الوجود كله، ومنتهاه، معرفة يقينية، حتى تنحل عقدة الشك من نفسه، وتزول علامات الاستفهام من حياته.

ولهذا لا نستغرب استفاضة القرآن الكريم في الحديث عن اليوم الآخر، في كل جزئية فيه، بما يبلغ من الآيات الستمائة وستة وسبعين آية، إضافة إلى التنوع في أسمائه، كما في قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ ۝١﴾

﴿الْحَاقَّةُ ۝٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ [الحاقة: ١ - ٣]

وقوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ ۝١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ [القارعة: ١ - ٣].

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ [النازعات: ٣٤]

وقوله تعالى: ﴿وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ [البروج: ٢].

..فما ذاك إلا "تذكير للناس بحقيقة ذلك اليوم، لتثبيت قلوب المؤمنين على الإيمان به، حتى ينتبهوا لأمره، ويستيقنوا بحقيقته، لأن الناس ربما شغلوا بالعاجلة المشاهدة عن الآخرة الغائبة، ومن ثم لإقامة الحججة على الكافرين" ^{١٠٨}

ثانيا: توجيه الإنسان لإدراك الغاية التي خلق لأجلها:

إن الإيمان باليوم الآخر، يجعل لحياة الإنسان هدفاً، ولوجوده غاية، فالله سبحانه لم يخلق الإنسان عبثاً، ولم يتركه سدى، وإنما خلقه لهدف وغاية ^{١٠٩} وهو تحسين مسعاه للتزود بالعمل الصالح، وخصوصاً ما يبثه اليوم الآخر في النفس، بدءاً بالقبر، من مشاعر الخوف والرجاء، والتي تبلغ بالمسلم أقصى طاقاته ونشاطاته،

^{١٠٨} ينظر البليهي، صالح، عقيدة المسلمين والرد على الملحدين، ط٢، ٥١٤٠٤، المطابع الأهلية، الرياض، ج١، ص٩٩، وقطب، محمد

قطب، دراسات قرآنية، ط٤، ٥١٤٠٣، ١٩٨٣م، دار الشروق، بيروت، ص٦٤.

^{١٠٩} مكّي، البيان في أركان الإيمان، مرجع سابق: ٣٠٣.

فيعمل العمل الصالح حبا لله تعالى، وطاعة له وانقيادا، ويتجنب طالح العمل خوفا من الله وحياء من ملاقاته يوم الحساب من :

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الملك: ٢]

يقول تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ قدرهما أو أوجد الحياة وأزالها حسبما قدره، وقدم الموت

لقوله : ﴿وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨] ولأنه أدعى إلى حسن العمل ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾

ليختبركم، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ أصوبه وأخلصه، أو: أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في

طاعته ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ الغالب الذي لا يعجزه من أساء العمل . ﴿الْعَفْوُورُ﴾ لمن تاب منهم^{١١٠}

وأما إنكار هذا اليوم وجحوده، والاعتقاد بأن حياة الإنسان على الأرض لا يعقبها حياة أخرى، فهو يجعل حياة الإنسان أشبه بحياة الأنعام، فيعيش بلا هدف، ولا يدرك سر وجوده.

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]

ومعنى الآية: "أیظن هذا الإنسان الكافر بالله أن يترك هملًا، أن لا يؤمر ولا ينهى، ولا يتعبد بعبادة"^{١١١}.

المطلب الثاني: الإيمان بالبعث والحشر، وآثارهما التربوية:

الإيمان بالبعث: "هو إحياء المخلوقين في الآخرة، وذلك بجمع أجزائهم، ورد أرواحهم

إليها"^{١١٢}. والحشر معناه "الإعادة بعد الإفناء"^{١١٣}،

^{١١٠} ينظر البيضاوي، أنوار التنزيل، مرجع سابق، ج ١٩، ص ١٧٧.

^{١١١} الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج ١٤، ص ٢١٤.

وقد ارتبط ذكرهما في القرآن الكريم بأدلتها الدالة عليهما، ومنه قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي

أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩].

مبيناً أن القادر على الابتداء الأول، قادر على الإعادة، التي هي ابتداء ثان^{١١٤}.

وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْنَى اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٦]

يقول تعالى: ﴿ذَلِكَ يَأْنَى اللَّهُ هُوَ الْحَقُّ﴾ أي أنه المتفرد بإحياء الموتى، وأنه قادر على كل شيء من

الأشياء، وأنها من شأنه لا يدعي غيره أنه يقدر على شيء منها..^{١١٥}.

﴿وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى﴾ وأنه يقدر على إحيائها وإلا لما أحيى النطفة والأرض الميتة ﴿وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ

قَدِيرٌ﴾ لأن قدرته لذاته الذي نسبته إلى الكل على سواء، فلما دلت المشاهدة على قدرته على إحياء

بعض الأموات لزم اقتداره على إحياء كلها^{١١٦}.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ﴾ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ

حَيْرًا يَرَهُ: ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ: ﴿٨﴾ [الزلزلة: ٦ - ٨].

وعن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن الأرض لتخبر يوم القيامة بكل ما

عمل على ظهرها وقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ حتى بلغ...

^{١١٢} السعدي، د. عبد الملك عبد الرحمن السعدي، شرح النسفية في العقيدة الإسلامية، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، دار الأنبار للطباعة والنشر والتوزيع،

العراق، ص ١١٧.

^{١١٣} الحارثي، المختصر المفيد في علم التوحيد، مرجع سابق، ص ٩٧.

^{١١٤} المرجع السابق، ص ٩٧.

^{١١٥} الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ط ٥، ١٤١٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج ٣، ص ٥٩٢.

^{١١٦} البيضاوي، أنوار التنزيل، مرجع سابق، ج ١٣، ص ١٩.

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال : أتدرون ما أخبارها جاءني جبريل قال : خبرها إذا كان يوم

القيامة أخبرت بكل عمل عمل على ظهرها^{١١٧}

ومن الفضائل التربوية للإيمان بالبعث، كما هو ظاهر من آية الزلزلة، ما يأتي:

أولاً: زرع الخشية من الله عز وجل:

من أعظم ثمرات الإيمان باليوم الآخر، والتي تظهر جلية في شخصية المسلم هي الخشية كما قال تعالى:

﴿وَأَزَلَّتْ أَلْجَنَّةُ لِلْمُنْفِقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ

بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ [ق: ٣١].

"فالخشية من الله إذا سكنت في قلب صاحبها، أثرت على سلوك صاحبها، من خلال تألم القلب،

وخوفه من توقع مكروه في المستقبل، فيقوده ذلك إلى طاعة الله، والإجتهاد في ذلك، مع الخوف من عدم

القبول.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾

وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ [

المؤمنون: ٥٧ - ٦٠].

ثانياً: الحذر من الدنيا، وعدم الاغترار بها:

الإيمان باليوم الآخر، وفي كل مرحلة فيه " يربي النفس على الحذر من الدنيا، ويوجهه إلى الزهد فيها"

ولا يخفى دور الشهوات التي جبلت بها الحياة الدنيا، في صرف الإنسان عن منهج الله تعالى، لها دور كبير

^{١١٧} الترمذي، الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، (ت ٢٧٩هـ -)، الجامع الكبير، تحقيق بشار عواد

معروف، ط ١٩٩٨م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان. أبواب صفة القيامة، ح ٦٥٤٦.

في زيادة تعلقه بمتاع الدنيا الزائل، وليس جاذب يعادل هذه الجاذبية العنيفة التي تثقل الإنسان إلى الأرض إلا جاذب الإيمان باليوم الآخر. ^{١١٨}.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾
 [فاطر: ٥]. يقول تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ أي وعده بالبعث والنشور والحساب والعقاب
 والجنة والنار، ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ بزخرفها ونعيمها ولذاها عن عمل الآخرة، ﴿وَلَا
 يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ أي المبالغ في الغرور، وهو الشيطان ^{١١٩}.

ومع هذا، لا يقطع الإيمان باليوم الآخر على الإنسان نظرته إلى الدنيا لأجل عمارتها، والاستفادة بما سخره
 الله تعالى لأجله فيها، بل إن "الإسلام يوجه الإنسان إلى الجمع بين النظرة إلى الحياة الدنيا ومنافعها
 وملذاتها المشروعة المحللة، والنظرة إلى الحياة الآخرة والمصير النهائي في آن واحد" ^{١٢٠}.

قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا
 أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧]

وبهذا تستقيم الحياة تسير على منهج الله تعالى، لتتحقق العبودية له في الأرض.

ثالثاً: تخير الصحبة الصالحة:

^{١١٨} ينظر الخالدي، د. محمود، الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية، ط ٤٠٤، ١٤٠٤، ٥١، ١٩٨٤ م. دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان.
 ص ٤٠٤.

^{١١٩} الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ج ٤، ص ٤٤٧.

^{١٢٠} المبارك، محمد، نظام الإسلام، د. ط، ص ١٨٥.

ومن الفضائل التربوية للإيمان بالحشر، تخير الصحبة الصالحة، لأن المرء يحشر مع من أحب، ويساقوا

إلى جهنم على ذلك، كما ورد في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفَدًا ۝٨٥﴾ وَسَوْقُ

الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِدًا ۝٨٦﴾ [مريم: ٨٥ - ٨٦]

ومصدقا لقوله ﷺ: لرجل وقد سأله "يا رسول الله، متى الساعة؟ فقال: ما أعددت لها.. قال: يا رسول

الله، ما أعددت لها كبير صيام ولا صلاة ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله، قال: أنت مع من

أحببت." ١٢١

المطلب الثالث: الإيمان بالحساب يوم القيامة، وآثاره التربوية:

المراد بالحساب: "هو سؤال الله تعالى عبادته، ومحاسبتهم في المحشر" ١٢٢، وقد وردت آيات كثيرة تدل

على وقوعه، ومنه قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ

الْحِسَابِ ۝﴾ [غافر: ١٧].

ومن السنة قوله ﷺ: "لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيم أفناه، وعن

عمله ماذا عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه" ١٢٣.

١٢١ البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الأحكام، باب القضاء والفتيا، ح ٢٦٣٤.

١٢٢ السعدي، شرح النسفية في العقيدة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٢٤.

١٢٣ ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواسي العبسي، (ت ٢٣٥هـ) الكتاب المصنف

في الأحاديث والآثار، المعروف بـ(مصنف ابن أبي شيبة) المحقق كمال يوسف الحوت، ط ١، ١٤٠٩هـ، مكتبة الرشد،

الرياض.

كتاب الزهد، ح ٢٠٩.

ومن الفضائل التربوية للإيمان بالحساب يوم القيامة "أنه يحدُّ كثيراً من شرور الإنسان، ويمنعه من الاسترسال في ظلمه"^{١٢٤}، لأنه يعتقد أنه محاسب على عمله، مجزي عنه، كما قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ

أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

المطلب الرابع: الإيمان بصحائف الأعمال، وآثاره التربوية:

وهي "الصحائف التي دونت فيها الملائكة أعمال الإنسان في الدنيا من خير أو شر وتوزعها على العباد

يوم القيامة"^{١٢٥}. ودليله من الكتاب قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أقرءوا كِتَابِيَةَ﴾

[الحاقة: ١٩].

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ، فَيَقُولُ يَلَيِّنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَةَ﴾ [الحاقة: ٢٥ - ٢٦]

ومن الفضائل التربوية للإيمان بصحائف الأعمال، انتباه المسلم لعمله، حتى لا يقع في السيء من

الأعمال التي تملأ صحيفته بالسيئات، بل يكون حريصاً على كل عمل يقربه من الله تعالى، ويشيره بفضل الله ومنته ورحمته.

المطلب الخامس: الإيمان بالميزان، الذي توزن فيه الأعمال، وآثاره التربوية.

"وهو ما ينصبه الله تعالى، بما توزن به صحائف أعمال العباد، حسب درجات أعمالهم عند الله تعالى،

فتصير مقادير العباد معلومة، ويظهر لهم العدل الإلهي في العقاب، أو الفضل في العفو والثواب"^{١٢٦}، ودليله

^{١٢٤} مكّي، البيان في أركان الإيمان، مرجع سابق: ٣٠٣

^{١٢٥} ينظر السعدي، شرح النسفية، مرجع سابق، ص ١٢٣، و الحارثي، المختصر المفيد في علم التوحيد، مرجع سابق، ص ١٠٠

^{١٢٦} الحارثي، المختصر المفيد في علم التوحيد، مرجع سابق، ص ٩٨، وينظر السعدي، شرح النسفية، ص ١٢٠.

من القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ

كَانَتْ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ومن الفضائل التربوية للإيمان بالميزان، الذي توزن فيه الأعمال، أن يكون المرء قصير الأمل، حافظاً وقته، مدركاً فناء الدنيا، وسرعة انقضائها، وبالتالي يحرص على صدق جهده في الدين، وحفظ وقته ليكون في مرضاة الله رب العالمين^{١٢٧}.

إضافة إلى تقديم النفع للإسلام والمسلمين. " فإن من أفضل صفات المؤمن باليوم الآخر، والذي يعرف قدر الأعمال الخيرة عند الله، منافسته في بذل الخير وسعيه في خدمة غيره، فكلما دعي إلى باب خير أجاب، يمنح المال للسائل والعلم للجاهل.. لا يتردد أبداً في خدمة كل محتاج، ما دام يطبق تلك الخدمة"^{١٢٨}.

المطلب السادس: الإيمان بالصراط، وآثاره التربوية:

الصراط: "هو الجسر الممدود على متن جهنم، أرق من الشعرة، وأحد من السيف"^{١٢٩} ودليله قوله

تعالى: ﴿ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ [الصفات: ٢٣].

وقوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الفاتحة: ٥].

وإن الذي يجتاز الصراط المستقيم في الآخرة، هو الذي يلتزم بالسَّير على الصراط المستقيم في الدنيا،

ألا وهو الإسلام.

^{١٢٧} ينظر الألويسي، روح المعاني، ط ٤، ١٩٨٥، دار التراث، بيروت، ج ١، ص ٩٣.

^{١٢٨} العصلاي، آراء الشيخ عبد الله بن قعود التربوية، مرجع سابق، ص ١١٥.

^{١٢٩} الحارثي، المختصر المفيد في علم التوحيد، مرجع سابق، ص ٩٨.

وإنَّ الله سبحانه شاء أن تكون هذه الحياة الدنيا ممراً وجسراً إلى الحياة الآخرة، لذلك من ثمار الإيمان باليوم الآخر، وخاصة في القسم المتعلق بالإيمان بالصراف يوم الدين، تحقيق الاستقامة النفسية والفكرية والسلوكية، وضبط الشهوات:

فالمؤمن يدفعه إيمانه باليوم الآخر إلى سلامة التفكير، وانضباط الموازين، وسمو الأخلاق، مرتفعاً عن الدنيا والشهوات.

إذ "إن في النفس البشرية كما خلقها الله دوافع فطرية قوية متأصلة، قد تدفعه للميل إلى الهوى والشهوات، كما قال تعالى: ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَابْنِينَ وَاقْنَطِرَ الْمَقْنَطَرِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالحَرْثِ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾ [آل عمران: ١٤].

يقول تعالى: ﴿ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ ﴾ أي المشتيات.. ﴿ مِنَ النِّسَاءِ وَابْنِينَ وَاقْنَطِرَ الْمَقْنَطَرِ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَالخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالحَرْثِ ﴾ بيان للشهوات، والقنطار المال الكثير. ﴿ الْمُسَوَّمَةِ ﴾ المعلمة من السومة وهي العلامة، أو المرعية من أسام الدابة وسومها، أو المطهمة. ﴿ وَالأَنْعَامِ ﴾ الإبل والبقر والغنم ﴿ وَالحَرْثِ ﴾ الزرع، ﴿ ذَلِكَ مَتَعُ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ﴾ إشارة إلى ما ذكر. ﴿ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَتَابِ ﴾ أي المرجع، وهو تحريض على استبدال ما عنده من اللذات الحقيقية الأبدية بالشهوات الفانية^{١٣٠}.

فقد كان لا بد — في تقدير الله وعمله — أن تكون الدوافع إلى الدين — في المقابل قوية ومتأصلة، حتى لا تنقلب الدوافع، إذا تركت وشأنها بغير ضابط إلى "شهوات"، فتصيب الإنسان بالعطب أو الهلاك،

^{١٣٠} ينظر البيضاوي، أنوار التنزيل، مرجع سابق، ج ٦، ص ٤٨.

وبدلاً من أن تكون عوناً له على عمارة الأرض والقيام بمهمة الخلافة الراشدة فيها، فإنها تصبح قيلاً يعوّق عن الانطلاق، وشاغلاً يشغل عن مهامها..

لذلك جاء الإيمان بالله واليوم الآخر يضبط هذه الشهوات، ويردها من "شهوة" طاغية لا يملك الإنسان نفسه إزاءها، إلى "رغبة" منضبطة ممكنة القيادة^{١٣١} حتى يكون الاستحقاق سهولة المرور على الصراط، للذين خففوا من ثقل أوزارهم التي تنقل مرورهم على الصراط، لأنّ الجزء من جنس العمل.

المطلب السابع: الإيمان بالجنة والنار، وآثارهما التربوية:

المسلم يؤمن بالجنة دار النعيم، وبالنار دار العذاب، وأنهما مخلوقتان، ودليلهما من الكتاب، قوله تعالى:

﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل

عمران: ١٣٣].

وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩]

وقد ذكر القرآن الكريم كثيراً من أوصاف الجنة والنار، وما يتعلق ببقائها وخلود أهلها فيها، بما له الأثر المباشر على العبد المؤمن، والاستفادة من الكثير من الفضائل التربوية من جراء ذكرهما، والتي أبرزها هو " البعد عن معصية الله تعالى، خوفاً من عقاب ذلك اليوم، وفعل الخير والإكثار منه والمسابقة فيه، ولو كلف العبد نفسه وولده وماله، لأنه ينتظر الجزاء والثوبة من الله سبحانه^{١٣٢} .

^{١٣١} ينظر الخالدي، الأصول الفكرية في العقيدة الإسلامية: ٤٠٣ .

^{١٣٢} مكّي، البيان في أركان الإيمان، مرجع سابق: ٣٠٤ .

المبحث الثالث:

الإيمان بالملائكة عليهم الصلاة والسلام، وآثاره التربوية:

الإيمان بالملائكة ركن من أركان الإيمان، وهو من البر، ومن دلائل الصدق والتقوى.

قال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَمَلَتْكَ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّنَ﴾ [البقرة:

[١٧٧

والإيمان بالملائكة معناه: "الاعتقاد الجازم بأن الله عبادة مخلوقين من نور، لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون"^{١٣٣}، أي قائمون بوظائفهم التي أمرهم الله تعالى القيام بها. والملائكة جمع ملك. والملك مأخوذ من الألوكة، وهي الرسالة، وقد سموا بذلك لأنهم وسائط بين الله وبين الناس، وهم رسل الله إليهم، أو كالرسل"^{١٣٤}.

"والملائكة ليسوا كالبشر في طبائعهم من حيث الأكل والشرب والنوم، والاتصاف بالذكورة والأنوثة، وقد أودع الله فيهم القدرة على التمثل في صور بشرية أو غيرها من صور حسية"^{١٣٥}.

"وإنّ لهم عملاً في تدبير أمور الكون من إرسال الرياح والهواء، ومن سوق السحب وإنزال المطر، ومن إنبات النبات، ونحو ذلك من الأعمال الخافية عن الأنظار التي لا تقع تحت الحواس، وخاصة ما يتعلق منها

^{١٣٣} ياسين، الإيمان، مرجع سابق، ص ٤٧.

^{١٣٤} السعدي، شرح النسفية، مرجع سابق، ص ١٦٨. وينظر شرح رمضان على شرح التفتازاني، ط ١٢٩٣هـ، مطبعة الحاج محرم أفندي، ص ٢٨٥.

^{١٣٥} ياسين، الإيمان، مرجع سابق ص ٤٩-٥٠.

بالبشر من إلهامهم بالحق والخير، وهدايتهم، وتشجيعهم لهم على الطاعات، وتشبثهم على الإيمان والعمل الصالح، وهم موكلون بقبض الأرواح^{١٣٦}.

وقد وردت هذه المعاني في عدة آيات، كما في:

— قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١١٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [الشعراء: ١٩٣ -

. [١٩٤].

— وقوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِبُوا نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ

غُلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴾ [التحریم: ٦].

— وقوله تعالى: ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْاقًا ﴿١﴾ وَالنَّشِيطَاتِ تَشَاطًا ﴿٢﴾ وَالسَّيِّحَاتِ سَبَّحًا ﴿٣﴾ فَالسَّيِّقَاتِ سَبَقًا

﴿٤﴾ فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ ﴾ [النازعات: ١ - ٥].

يقول تعالى: ﴿ وَالنَّازِعَاتِ ﴾ الملائكة، تترع أرواح الكفار ﴿ غَرْاقًا ﴾ نزعا بشدة، ﴿ وَالنَّشِيطَاتِ

تَشَاطًا ﴾ وهي الملائكة تنشط أرواح المؤمنين أي تسهلها برفق، ﴿ وَالسَّيِّحَاتِ سَبَّحًا ﴾ الملائكة تسبح من

السماء بأمره تعالى أي تتزل، ﴿ فَالسَّيِّقَاتِ سَبَقًا ﴾ الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة ﴿ فَالْمُدَبِّرَاتِ

أَمْرًا ﴾ الملائكة تدبر أمر الدنيا أي تتزل بتدبيره^{١٣٧}

— وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتُوقَفُكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي نُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴾ [السجدة:

. [١١].

^{١٣٦} ينظر ياسين، الإيمان، مرجع سابق، ص ٥٥-٥٨.

^{١٣٧} الجلالين، جلال الدين السيوطي، وجمال الدين المحلي، تفسير الجلالين، بما مشه أسباب النزول للسيوطي، ط ١، ٢٠٠٤ م.. دار الآفاق العربية ص ٦٣٥.

وللإيمان بالملائكة عليهم السلام، فضائل تربوية متعددة، نوجزها في الآتية:

أولاً: الإيمان بالملائكة عليهم السلام، يدعو إلى التشبه بهم في العبودية الصادقة المقترنة

بكمال الخضوع والذل، والإخلاص^{١٣٨}:

فإن من يدرك حقيقة الملائكة، في تعظيمها لله تعالى، وتسيحها بحمده، وأهم لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، كما قال تعالى عنهم ذلك: ﴿لَا يَعْبُودُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]. حيث لا يمتنعون عن قبول الأوامر والتزامها ويؤدون ما يؤمرون به^{١٣٩}. فهذا يدفع إلى التشبه بهم، والتخلق بأخلاقهم، كما قال أحدهم في وصف العبودية الصادقة الصادرة من المحسنين: "المحسن يعبد الله تعالى عبادة من يشهد الله تعالى ويراه الله تعالى؛ فإنه لا يستبقى شيئاً من الخضوع والإخلاص وحفظ القلب والجوارح من آفات الأعمال، ومراعاة الأدب مادام في عبادته"^{١٤٠}.

ولقد كان الأقرب من الناس إلى التشبه بالملائكة، هم حملة الرسل عليهم الصلاة والسلام، "كما شبه الله تعالى نبيه يوسف عليه الصلاة والسلام بقوله: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

ثانياً: الإيمان بهم، يدعو إلى الإيمان القائم على اليقين، الذي لا يلتبس بشك، كما شهد الله

تعالى لهم بذلك، مع التسبيح بحمد الله وتعظيمه:

إن الناظر إلى قوله تعالى ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ

إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]

^{١٣٨} القصري، محمد، شعب الإيمان: دار الكتب العلمية، د.ط، ص ٣١٢.

^{١٣٩} البيضاوي، أنوار التنزيل، مرجع سابق، ج ١٩، ص ١٦٢.

^{١٤٠} العيني، بدر الدين، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، د.ط، دار الفكر، بيروت، ج ١، ص ٢٨٨.

يجد أن الملائكة في محضر شهود وعيان، ومعرفتهم بالله عز وجل ، معرفة لا تحتاج إلى دليل وبرهان، ولهذا استخدم لفظة ﴿ شَهِدَ ﴾ بدل (علم) في الآية، ولهذا قرن الله تبارك وتعالى شهادته بشهادتهم أولاً، ثم بأولي العلم، كما في قوله تعالى ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ ﴾ فقوله تعالى: ﴿ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾ تأكيد لما سبق، ثم ذلل على عظيم قدرته وشأنه في خلقه بقوله: ﴿ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ والعزيز الذي لا يرام جنباه عظمة وكبرياء، والحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره^{١٤١}.

ولهذا، فإن الذي يتدبر في خلق الملائكة عليهم الصلاة والسلام، بلطافة أرواحهم، وقدرتها على التشكل والتمثل والطيران، وعظيم الوظائف المنوطة بهم في الكون، وخاصة ما وكل إليهم من تدبير شؤون الخلق، حتى غدا هذا الكون بهذه الدقة المتناهية، والانسجام البديع، يقوده ذلك إلى تعظيم الله جل شأنه، والتسبيح بحمده، وشكره، والثناء عليه عز وجل.

ثالثاً: ضبط النفس عند ميلها للشهوات:

"إن الإيمان بالملائكة عليهم الصلاة والسلام، له الأثر العظيم في تهذيب السلوك بالنسبة للأفراد، فالفرد عندما يؤمن بأن عليه ملائكة موكلين من قبل الله تعالى، يراقبون أعماله صغيرها وكبيرها، ويحسونها أينما حلّ وأينما ارتحل، فيبتعد عما يغضب الله، وبذلك تستقيم حياته"^{١٤٢}.

قال تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ [ق: ١٨]

قوله تعالى: ﴿ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ ﴾ ما يرمى به من فيه. ﴿ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ ﴾ ملك يرقب عمله

^{١٤١} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٩.

^{١٤٢} أبو عجوة، المجتمع الإسلامي وآدابه، في ضوء القرآن الكريم، د. محمد نجيب أحمد، د. ط، ت، مكتبة مدبولي. مصر. ص ٥١، وينظر المشوخي، مجتمعنا المعاصر، د. ط، ت، ص ٤٢.

﴿عَتِيدٌ﴾ معد حاضر ، ولعله يكتب عليه ما فيه ثواب أو عقاب ^{١٤٣}

فهذا "الإيمان ينمي الشعور بالمسئولية، والاستمرار على مراقبة الله عز وجل، والاستقامة على أمره، .. واليقظة التامة، فلا يصدر من الإنسان إلا ما هو خير، ولا يتصرف إلا لهدف أسمى" ^{١٤٤}.

رابعا:مراعاة حق الصحبة، والتمثل بالحبّة:

والمؤمن حيث علم أنه " يصاحب عبادا مكرّمين عليهم السّلام، هم معقبات من من بين يديه ومن خلفه ، كما قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] وهذا من جملة ما وكلهم الله تعالى به من أعمال بحق بني آدم، ومن ذلك أيضا استغفارهم للمؤمنين، والدعاء لهم، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا

فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ

وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمْ

السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ [غافر: ٧ -

٩] وكذا تشبيتهم للمؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ

ءَامَنُوا﴾ [الأنفال: ١٢]

..فهذا يورث محبتهم، وتقديرهم، ويستلزم مراعاة حق الصحبة معهم، والأدب لاستشعار .

^{١٤٣} ينظر البيضاوي، أنوار التنزيل، مرجع سابق، ج١٨، ص١٧٣.

^{١٤٤} أبو عجوة، المجتمع الإسلامي وآدابه، مرجع سابق، ص٥١.

المبحث الرابع:

الإيمان بالرسول، وآثاره التربوية:

ومن أركان الإيمان، التي لا يصح إيمان عبد إلا بها، الإيمان بالرسول.

"والرسول عليهم الصلاة والسلام، رجال، أوحى الله تعالى إليهم بشرع، وأرسلهم إلى الخلق ليبلغوهم

الأحكام" ١٤٥.

وهم يتصفون بأرفع الكمالات الإنسانية، ويتحلون بأسمى الأخلاق الفاضلة: كالكرم، والعدل، والشجاعة، والصبر، والعفة، والحلم، والحياء، ومنها ما هو واجب بحقهم، كالصدق، والأمانة، والفتانة، وسائر مكارم الأخلاق، والتي بلغ إلى قمتها، وزاد على ذلك، رسولنا الأكرم ﷺ، والذي وصفه ربه

تبارك وتعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] .

حيث يخاطب الله تعالى نبيه محمدا ﷺ: "وإنك يا محمد لعلی أدب عظیم، وذلك أدب القرآن الذي

أدبه الله به" ١٤٦ كما روي عن السيدة عائشة رضي الله عنها في وصفها لخلق النبي ﷺ، قالت: "كان خلقه

القرآن" ١٤٧.

١٤٥ السعدي، شرح النسفية، مرجع سابق، ص ٢٣.

١٤٦ ينظر أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، ٧٥٤ هـ، البحر المحيط، ط ١٩٨٣، دار الفكر، بيروت. ج ٨، ص ٣٠٢.

١٤٧ ينظر البخاري، الأدب المفرد، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط ٣، ٥١٤٠٩، ١٩٨٩م، باب من دعا الله أن يحسن خلقه، ح ٣٠٨، ج ١، ص ١١٥، وأحمد، الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، (ت ٢٤١هـ) مسند الإمام أحمد، المحقق شعيب الأرنؤوط، وآخرون، ط ١، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة، بيروت. مسند الصديقة عائشة رضي الله عنها، ح ٢٥٣٠٢، ج ٤٢، ص ١٨٣، دار البشائر الإسلامية، بيروت، والطبراني، الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت ٣٦٠ هـ) الروض الداني، المعروف بـ(المعجم الصغير) المحقق محمد شكور محمود الحاج امري، ط ١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م، المكتب الإسلامي، بيروت. ح ٧٢، ج ١، ص ٣٠، والبغوي، أبو محمد الحسين بن

ونعلم أن الرسل عليهم الصلاة والسلام إضافة إلى وظيفتهم الرئيسة في التبليغ، هم القدوة، لأنهم بلغوا أعلى المراتب الإنسانية، ومن هنا فالإيمان بهم يثمر كثيرا من الفضائل التربوية، والتي أبرزها ما يأتي:

أولاً: التعريف بالله تعالى، وبيان حقائق الإيمان:

إن من أوجب مهمات الرسل عليهم الصلاة والسلام، إرشاد الناس، وبيان طريق الشرع القويم، وصراطه المستقيم، وعلى رأس المعارف، معرفة الله تعالى، "فالأنبياء يعرفون الناس بالله جل جلاله، ويذكروهم بعظمته، وصفات كماله، وحقه على عباده، ليعبده وحده، ويتحرروا من كل عبودية لغيره" ^{١٤٨}.

قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النحل: ٣٥]

أي "البلاغ الذي يبين عن معناه لمن أبلغه، ويفهمه من أرسل إليه" ^{١٤٩}.

وعلى رأس هذا البلاغ، قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ

إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وهكذا كانت وظيفة الرسل عليهم الصلاة والسلام، في دعوة الناس إلى التوحيد المطلق لله جل شأنه،

كما يجب ان يكون عليه هذا التوحيد، من نفي الشريك، والند، والولد، والصاحبة.. الخ.

قال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [النحل: ٣٥].

مسعود بن محمد بن العزاء، (ت البغوي)، شرح السنة، تحقيق شعيب الأناؤوط وآخرون، د. ط، ت، المكتب الإسلامي، دمشق
باب حسن الخلق، ح ٣٤٩٤، ج ١٣، ص ٧٦.

^{١٤٨} ينظر مجموعة من المؤلفين كتاب وزارة التربية والتعليم، التوحيد والفقهاء، للصف الثالث الإعدادي: ٢٣، قطر، د. ط، ت.

^{١٤٩} ينظر الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج ٨، ص ٣٩.

وإذا كانت هذه المهمة مهمة الرسل فإنها بلا شك هي مهمة أتباعهم وخاصة أتباع سيدنا محمد حيث إنه خاتم الأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسَبَّحَنَّا اللَّهَ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وهكذا في جميع ما ورد في كتاب ربنا، على لسان رسوله المصطفى ﷺ وكذا الأنبياء من قبله عليهم الصلاة والسلام، في كتبهم الأصيلة، حتى يعلم الناس صفات معبودهم الحق الذي يلتجئون إليه، وهو الله تبارك وتعالى، وتزول حيرتهم، وتنقضي متاهتهم، ويفصل بينهم فيما كانوا فيه يختلفون، وتستقر نفوسهم على الإيمان الصحيح. وهذه من أعظم الفضائل التي من الله تعالى بها على عباده، ويدرك هذه الفضيلة، من يقارن بين الوضع الذي كان عليه أهل الجاهلية قبل الإسلام، من التخبط في الظلمات عموماً، إلى ما من الله تعالى به عليهم بعد ذلك.

كما قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢]

يقول تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ ﴾ أي في العرب لأن أكثرهم لا يكتبون ولا يقرؤون ﴿ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴾ أي من جملتهم أمياً مثلهم، لم يعهد منه قراءة ولا تعلم ﴿ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ ﴾ ووما فيها من حقائق وبيانات ﴿ وَيُزَكِّيهِمْ ﴾ من خبائث العقائد والأعمال ﴿ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ القرآن والشريعة، أو معالم الدين من المنقول والمعقول، ولو لم يكن له سواه معجزة لكفاه ﴿ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ من الشرك وخبث الجاهلية، وهو بيان لشدة احتياجهم إلى نبي يرشدهم، وإزاحة لما يتوهم أن الرسول تعلم ذلك من معلم^{١٥٠}.

^{١٥٠} البيضاوي، أنوار التنزيل، مرجع سابق، ج ١٩، ص ٨١.

ثانياً: إخراج الناس من الظلمات إلى النور:

" وهذه هي مهمة الرسل وأتباعهم، حيث يخرجون الناس من ظلمات الكفر والجهل بخالقهم وما ينبغي عليهم فعله من عبوديتهم لله عز وجل حتى يسعدوا بالإيمان بالله وعبوديتهم له سبحانه وتعالى^{١٥١}، كما أراد في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وإن الإيمان بالله عز وجل وتوحيده، ومعرفة كمالاته سبحانه، تعرف الإنسان بغايته وهدفه، ليكون عبداً خالصاً لله، لا لأحد سواه.

" فالؤمن لا يعيش في عماية، أو يمشي إلى غير غاية، كالذين جحدوا الله، أو شكوا فيه، فلم يعرفوا لماذا وجدوا، ولماذا يعيشون، ولماذا يموتون"^{١٥٢}.

قال تعالى: ﴿ أَوْ مَن كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

ثالثاً: التمثل بالأحكام الشرعية، وتطبيقها في حياة الناس:

إنّ من أبرز الفضائل التربويّة لإرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام، تنظيم حياة الفرد، في كل ماله صلة بربه، وأسرته، ومجتمعه، وذلك من خلال التوجيهات العقائدية، والأحكام الشرعية، والأسرة، والمجتمع، بتطبيق الأحكام الشرعيّة، للقيام بالأعمال الصالحة التي ترضي وجه الله تعالى، وفق منهج الله.

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الجاثية: ١٨].

^{١٥١} ينظر الأهدل، الأستاذ الدكتور عبد الله، غايات البناء والهدم، ط ١، ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م. دار ابن حزم، ص ٥٣.

^{١٥٢} العجور، مناهج الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٩٥.

يقول تعالى ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ ﴾ أي جعلناك يا محمد على منهاج واضح من

أمر الدين، يوصلك إلى الحق ﴿ فَأَتَبَعَهَا ﴾ فاعمل بأحكامها في أمتك ﴿ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا

يَعْلَمُونَ ﴾ توحيد الله وشرائعه لعباده، وهم كفار قريش ومن وافقهم^{١٥٣}، وهذا عين الرحمة الإلهية، التي

بعث بها رسول الله ﷺ، في قوله تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

مبيننا تعالى لرسوله ﷺ: " أن ما بعثت به سبب لإسعادهم، وموجب لصلاح معاشهم ومعادهم"^{١٥٤}.

والإنسان الذي ارتضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً ونبياً، ينبغي عليه أن يحكم شرع الله في

كل جزئية من جزئيات الحياة، وذلك لقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا

شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

رابعاً: تربية النفس وتزكيها، وتوجيهها نحو السلوك الصحيح:

لا يخفى على المؤمن، ما للرسول من دور في تعبيد الناس لخالقهم، ومن ثم ما لهم من أثر وفضل تربوي

من خلال ذلك على النفس، بما يصحح مسارها، ويجعلها أقدر على مقاومة ما فيها من ضعف، والتغلب

على ما فيها من شهوات.

قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ

وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢].

وهذه التزكية هي الواردة في قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى ﴾^{١٤} و﴿ ذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴾^{١٥} [

الأعلى: ١٤ — ١٥]

^{١٥٣} الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ج ٥، ص ١٢.

^{١٥٤} البيضاوي، أنوار التنزيل، مرجع سابق، ج ١٢، ص ٦٠٢.

ومن هنا، فالرسل عليهم الصلاة والسلام الدور الأعظم في تربية النفس على الفضيلة والكمال، وتزكيتها وتنميتها على الخير والإحسان، وصونها عن النقائص^{١٥٥}.

خامسا: التذكير باليوم الآخر، وغرس الإيمان بالغيب في النفوس:

إن مما أجمعت الرسل والرسالات على تأكيده، وتبيين حقيقته، التذكير اليوم الآخر، حتى يشعر الإنسان بالمسؤولية الدائمة في كل شيء، ويعلم أن كل ما يفعله في حياته الدنيا سوف يلقاه في الآخرة، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

ولعل هذا الأمر هو ما يفسر أن الرسل عليهم الصلاة والسلام قدموا التخويف والتحذير في دعوتهم، وذكر وهما قبل أي شيء آخر، وأعظم التخويف هو بالبعث ويوم القيامة، وإنما قدم الرسل عليهم السلام ذلك، لأن غالبية القوم كانوا مقلدين، والمقلد لا ينظر في الدليل، ولا يعتبر بالآيات إلا إذا خاف.

يقول الإمام الرازي: "إن المقلد إذا خوَّف خاف، وما لم يحصل الخوف في قلبه لا يشتغل بالاستدلال، ولهذا السبب قدّم الرسل التخويف دائما"^{١٥٦} كما أشار لذلك سيدنا نوح عليه السلام في سورة الأعراف، قوله: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ

عَظِيمٍ ﴿ [الأعراف: ٥٩].

^{١٥٥} العجوز، مناهج الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٦٨.

^{١٥٦} الرازي، التفسير الكبير (مفتاح الغيب)، مرجع سابق، ج ٦، ص ٥٣٣.

سادسا: تعزيز الأخلاق الإسلامية وحماية النفوس من الانحراف والجريمة:

"إنّ مهمة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم هي الدعوة إلى مكارم الأخلاق، وتحويل هذه الدعوة إلى عمل وسلوك وتطبيق ليقبليهم بهم الناس" ^{١٥٧}.

وسواء تلك الأخلاق المرتبطة بصلة العبد بربه كالإخلاص له والصدق معه، والتوكل عليه، أو بالتي هي صلة بين العبد وإخوانه المسلمين، كالرحمة، ولأمانة، والعفة، والصدق، والعدل.

ومن الأولى قوله تعالى: ﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ [النمل: ٧٩].

يخاطب الله تعالى رسوله محمد ﷺ: "ففوض على الله يا محمد أمورك، وثق به فيها، فإنه كافيك،

﴿ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾ لمن تأمله، وفكر ما فيه بعقل، وتدبره بفهم" ^{١٥٨}

ومن الثانية قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ

حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ولقد أحسن المسلمون الأولون، إتباع الرسول ﷺ في أخلاقه الحميدة، واتخذوه أسوتهم، وعملوا في حياتهم على أن يطبقوا سائر تعاليم الإسلام، فظهرت أمانتهم في القول والعمل والمال، ولم تبدل في حال، وكانت عفتهم عن سائر المحارم، وكان صدقهم التام، وكان العدل يملأ حياتهم، وبذلك كان كمالهم الذاتي مع أنفسهم، ومع الناس، بعد كمال إيمانهم بالله العظيم، لقد آمنوا بأنه لا إيمان لمن لا أمانة له، وأن الصدق يهدي إلى الجنة، وأن الحياء خير كله، وأن الله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه، وأن المسلم أخو المسلم، وأن المسلم ليس بلعان ولا فحاش ولا بذيء، وأن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، ومن هنا نالوا ما نالوه من رضی الله ورسوله ﷺ عليهم.

^{١٥٧} ينظر مكّي، البيان في أركان الإسلام، مرجع سابق: ١٩٤ ووزارة التربية والتعليم، قطر: ٢٤.

^{١٥٨} الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج ١١، ص ١٤.

وختاماً فـ"إنَّ الإيمان بالرسول عليهم الصلاة والسلام، يعزز في النفس تقدير الرسل عليهم الصلاة والسلام، وتوقيرهم، والثناء عليهم بما يليق بهم، لأنهم رسل الله تعالى وخاصة عبده، قاموا لله بعبادته، وتبليغ رسالته، والنصح لعباده"^{١٥٩}.

قال تعالى ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩] ^{١٦٠}

فجزا الله عنا رسله الكرام عامة، ورسولنا المصطفى ﷺ خير الجزاء.

^{١٥٩} ينظر الأشقر، د. عمر، الرسل والرسالات، ط٦، ١٥٤١هـ، ١٩٩٥م، ص٢٠٩، والكيلاني وآخرون، دراسات في الفكر

العربي الإسلامي، مرجع سابق، ص١١٩.

^{١٦٠} بمعنى: "تعزروه وتوقروه": أي تعظموه وتفخموه، نظر الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ص٤٧.

المبحث الخامس:

الإيمان بالكتب، وفضائله التربوية:

وإن مما يتعلق بأركان الإيمان، الإيمان بالكتب السماوية، وعلى رأسها الكتب الأربعة التي ذكرت في القرآن الكريم، والذي كان على رأسها، إضافة للتوراة، والإنجيل، والزيور.

وإنّ هذه الكتب جميعها منزلها واحد، هو الله عز وجل، وهدفها واحد، هو الدعوة إلى توحيد الله عز وجل وعبادته، والإيمان باليوم الآخر والعمل الصالح. وهذا ما دل عليه قوله تعالى:

وإن الحديث عن الفضائل التربوية للكتب السماوية، إنما هو حديث عن كل الأصول والفروع الإسلامية جميعاً، العقديّة منها، والشرعية، لأن الكتاب الكريم، اشتمل على كل هذا، وهو النموذج الأسمى لكل الكتب السابقة قبله، حيث جاء ناسخاً لها، ومهيماً عليها، يجمعها جميعاً ما يسمى بوحدة الرسالات.

وحيث كان هذا البحث الذي بأيدينا، تناول الفضائل التربوية بصورة مستقلة، فأجد أن لا داعي لتكرار الحديث عنها، وأكتفي بذكر الفضائل التربوية الجامعة، لكل أصول وفروع الدين، بصفة عامة، وهي هذه الفضائل التربوية:

أولاً: الهداية إلى الصراط المستقيم:

ثانياً: إخراج الناس من الظلمات إلى النور:

ثالثاً: التذكر والتعقل، والاتعاظ والتدبير:

وأبدأ بالنقطة الأولى.

أولاً: الهداية إلى الصراط المستقيم:

إن الذي يتدبر آيات القرآن الكريم يرجع من خلالها إلى ما يبدد حيرته، ويعرف طريق هدايته وفلاحه، وتلك سنة الله، حيث بث الهداية في الكتب السماوية التي أسلفت، ثم جمع نوادرها ولطائفها جميعاً في الكتاب المهيم الناسخ، وهو القرآن الكريم.

قال تعالى بحق القرآن الكريم: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]

وقال جل شأنه بحق الكتب السماوية السابقة، ضارباً مثلاً عليها التوراة: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ

الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٩]

والهداية: "هي الدلالة الموصلة إلى البغية"^{١٦١}.

وهي أنواع: منها هداية الفطرة، الذي يثبت دعائمها الوحي، ويربطها به، لأنه ما نزل إلا موافقاً لها، متناغماً معها.

ومنها هداية الإيمان، وطلب التثبيت، التي يطلبها المؤمن حتى يستقر إيمانه، ولا تزيع به الأهواء، ولا تضل به السبل، أو يقع في الزلل.

ومنها هداية الشريعة، بفهمها، والعمل بأحكامها.

ومن اهتدى إلى طريق الإيمان، والعمل بالأحكام، كان حقاً على الله تعالى، أن يهديه الطريق الموصل إلى الجنة، وهو محصلة الهدايات جميعاً.

قوله تعالى ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٥].

"فقد جمع الله تعالى في الآية طلب الدلالة على الحق، والثبات على الدين، وزيادة الهدى، وهداية الثواب، وطريق الجنة"^{١٦٢}.

^{١٦١} الألويسي، روح المعاني، مرجع سابق، ج ١، ص ١٠٧.

^{١٦٢} المرجع السابق، ج ١، ص ٩٣.

ومن جملة ما ارتبطت به هداية الفطرة، مع الدين، قول الله تعالى: ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۗ ﴾

﴿ فَطَرَتُ اللَّهُ أَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا بُدَّيْلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۗ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۗ ﴾ [الروم: ٣٠]

يقول تعالى: ﴿ فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۗ ﴾ فقومه له غير ملتفت أو ملتفت عنه ، وهو تمثيل

للإقبال والاستقامة عليه والاهتمام به . ﴿ فَطَرَتُ اللَّهُ أَلَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۗ ﴾ خلقهم عليها وهي

قبولهم للحق ﴿ لَا بُدَّيْلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۗ ﴾ لا يقدر أحد أن يغيره أو ما ينبغي أن يغير . ﴿ ذَلِكَ ۗ ﴾ إشارة

إلى الدين المأمور بإقامة الوجه له أو الفطرة إن فسرت بالملة . ﴿ الدِّينُ الْقَيِّمُ ۗ ﴾ المستقيم الذي لا عوج

فيه "١٦٣" .

وقال تعالى عن الكتاب الكريم: ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ ۗ ﴾

﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ۗ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۗ ﴾

[المائدة: ١٦]

فقد بين الله تعالى، أن هذا الكتاب الكريم ﴿ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ ۗ ﴾ أي رضاه

﴿ سُبُلَ السَّلَامِ ۗ ﴾ والسلام هو الله عز وجل ، وسبيله دينه الذي شرع لعباده ، وبعث به رسوله ﴿

﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ ﴾ أي : من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ﴿ بِإِذْنِهِ ۗ ﴾

﴿ بتوفيقه وهدايته ﴿ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۗ ﴾ وهو الإسلام "١٦٤" .

^{١٦٣} البيضاوي، أنوار التنزيل، مرجع سابق، ج١٥، ص١٣٥.

^{١٦٤} البغوي، معالم التنزيل، ج٣، ص٣٣.

ثانياً: إخراج الناس من الظلمات إلى النور:

جعل الله سبحانه وتعالى في الكتب السماوية بيان كل شيء مما يحتاج إليه الناس، لإخراجهم من ظلمات الجهل، إلى نور التوحيد والعلم، ومن ثم تنظيم حياة الناس، وإرساء دعائم الاستقرار في حياتهم، حتى تحقن الدماء، ويعم الأمن والرخاء:

قال تعالى: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١]

فقوله تعالى: ﴿ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾ أي لتخرجهم من ظلمات الكفر والجهل والضلالة إلى نور الإيمان والعلم والهداية^{١٦٥} مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩]

فقد قال ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾.. "قد بين لنا في هذا القرآن كل علم، وكل شيء"^{١٦٦}.

في إشارة إلى أن "القرآن الكريم اشتمل على كل علم نافع من خير ما سبق، وعلم ما سيأتي، وحكم كل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم."^{١٦٧}

ومثل ذلك، ما أكرم الله تعالى به الأمم السابقة من قبل، ومثاله في حق قوم سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً

لَعَلَّهُمْ يَلْقَاءَ رَبَّهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٤].

^{١٦٥} الشوكاني، فتح القدير، ص ٩٣.

^{١٦٦} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ٤، ص ٥٩٣.

^{١٦٧} المرجع السابق، ج ٤، ص ٥٩٣.

وقوله تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾

[الأعراف: ١٤٥] .

وعلى رأس ذلك، توضيح العقيدة الإسلامية للناس، وتشريع الأحكام، لتحقيق مصالح العباد، في الضرورات، والحاجيات، والتحسينات^{١٦٨}.

أما الضرورات، "فهي التي لا قيام لحياة الناس بدونها"^{١٦٩}، وتشمل أموراً خمسة، هي: "المحافظة على النفس، وعلى الدين، وعلى العقل، وعلى النسل، وعلى المال. لأن الحياة الإنسانية الرفيعة لا تتوافر إلا بها وتكريم الإنسان هو المحافظة عليها"^{١٧٠} ولهذا شرع لها من الأحكام التي تحافظ عليها، كتشريع العقود في خدمة البشرية، في المعاملات والأحوال الزوجية، ونظام الموارث، وإيجاد العقوبات الرادعة، بحق المستهترين بحق النفس في الحياة، والمال، والعقل، والعرض..

وأما الحاجيات، "فهي التي يحتاج إليها الناس ليعيشوا بيسر وسعة، وإذا فاتتهم لم يختل نظام الحياة، ولكن يصيب الناس ضيق وحرَج..

وهي الظاهرة فيما شرعه الإسلام من الرخص عند المشقة، كالفطر للمريض، وهذا في جانب العبادات، وفي جانب المعاملات، كمثل ما شرعه من طلاق، للخلاص من الحياة الزوجية التي لا تطاق..
وأما التحسينات، فهي التي ترجع إلى محاسن العادات ومكارم الأخلاق، وإذا فاتت فلا يختل نظام الحياة، ولا يصيب الناس حرَج، ولكن تخرج حياتهم عن النهج الأفوم، وما تستدعيه الفطر السليمة، والعادات الكريمة..

^{١٦٨} الشاطبي، الموافقات في أصول الأحكام، ط ١٣٤١هـ، دار الفكر، بيروت، ج ٢، ص ٣٧.

^{١٦٩} زيدان، عبد الكريم، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، ط ١١، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان ص ٤١.

^{١٧٠} الشرباصي، رمضان علي السيد، المدخل لدراسة الفقه الإسلامي، ط ٢، ١٩٩٣م. د. ن. ص ٣٦٦.

وهي الظاهرة أيضاً، فيما شرعه الإسلام مثلاً، من طهارة للبدن والثوب، وستر للعورة، وأخذ للزينة عند كل مسجد، والنهي عن بيع الإنسان على أخيه الإنسان، وغير ذلك^{١٧١}.

وتتبع العلوم والحقائق التي تحدث عنها القرآن الكريم، ما هو متصل بكشف الخلاف، وإزالة الشبه التي وقعت للأمم السابقة في كتاب ربها، وصلتها بأنبيائها، مصداقاً لقوله تعالى:

﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا ﴾ [النحل: ٦٤].

يقول تعالى لرسوله ﷺ: أنه إنما أنزل عليه الكتاب ليبين للناس الذي يختلفون فيه ، فالقرآن فاصل بين الناس في كل ما يتنازعون فيه^{١٧٢}

ومثله قوله تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ

الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ... ﴾ [البقرة: ٢١٣].

يقول تعالى: ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ متفقين على الجهالة والكفر .. ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ

مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ ﴾ أي، أنزل مع كل واحد كتاباً يخصه، ﴿ بِالْحَقِّ ﴾ أي

ملتبساً بالحق شاهداً به . ﴿ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ أي: من الحق .^{١٧٣}

ثالثاً: التذكر والتعقل ، والإلتعاض والتدبر:

اشتملت الكتب السماوية، وعلى رأسها القرآن الكريم، المهيمن على الكتب السماوية السابقة قبله، والناسخ لها، على التذكرة والعظة، والدعوة إلى التعقل والتدبر، وخاصة في موضوعات القصص والأمثال،

^{١٧١} ينظر زيدان، عبد الكريم، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، ط ١١، ١٠٤١٠، ١٩٨٩م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

ص ٤٠-٤٢.

^{١٧٢} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٤، ص ٤٨١

^{١٧٣} ينظر البيضاوي، أنوار التنزيل، مرجع سابق، ج ٥، ص ١٧٦.

والتي عمد القرآن الكريم إليهما في كثير من الآيات، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ

مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [النور: ٣٤]

وقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَاكِلُونَ﴾ [العنكبوت:

[٤٣

وقوله تعالى: ﴿فَأَقْصِبْ أَلْفَصِّصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَتْ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

وهكذا تعلق حديث القرآن الكريم بكل ما من شأنه، تقديم عبرة، أو عظة، أو نصح وإرشاد، وهذا

كما قال تعالى: ﴿كَتَبْنَا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِّدَّبَرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

"يقول سبحانه: ﴿كَتَبْنَا أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِّدَّبَرُوا آيَاتِهِ﴾ نفاع ﴿لِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ وليتفكروا فيها فيعرفوا

ما يدبر ظاهرها من التأويلات الصحيحة، والمعاني المستنبطة، ﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ وليتعض به

ذوو العقول السليمة، أو ليستحضروا ما هو كالمركز في عقولهم من فرط تمكنهم من معرفته بما نصب

عليه من الدلائل، فإن الكتب الإلهية بيان لما لا يعرف إلا من الشرع، وإرشاد إلى ما يستقل به العقل،

ولعل التدبر للمعلوم الأول والتذكر الثاني^{١٧٤}.

والخلاصة، أن الكتب السماوية، كان لها الكثير من الفضائل التربوية، من خلال الحوار التي

استخدمتها في عرض حقائقها، والتي تؤدي إلى تنمية الشخصية الإسلامية، بيث الخبرة والمعرفة، وزراعة

الحكمة في النفس، والنهوض بالقيم النبيلة، الموافقة للفطرة، والتي تحاكي العقل بمرونة ويسر^{١٧٥}.

^{١٧٤} ينظر الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج ١٢، ص ١٦٣.

^{١٧٥} ينظر ابن حميد وآخرون، موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم ﷺ، مجموعة من المختصين، مرجع سابق، ص ١٥٤.

المبحث السادس:

الإيمان بالقدر، وآثاره التربوية:

القدر في اللغة: "تقدير الشيء ووضعه في موضعه المناسب"^{١٧٦}.

واصطلاحاً: "هو علم الله وإرادته أولاً بالأشياء قبل وجودها. فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن،

وكل ما يحدث في هذا الكون يعلمه الله قبل حدوثه"^{١٧٧}.

ولهذا، فالقدر يتعلق بعلمه سبحانه وتعالى بمقادير الأشياء، وصفاتها، وتحديد أوقات وأماكن

حدوثها، وعلمه سبحانه بالمخلوقات كما هي عليه، وهو بهذا يفترق عن القضاء، والذي هو إيجاد هذه

الأشياء وفق تقديره، من حيث أن القدر متعلق بالعلم، بينما القضاء متعلق بالإرادة والقدرة"^{١٧٨}.

والقدر هو الركن السادس من أركان الإيمان، فلا يكتمل إيمان الإنسان إلا به، وقد استفاض القرآن

الكريم بالآيات الدالة عليه، والتي منها:

قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩]

وقال تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد: ٨].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [النمل: ٧٥]

وقال تعالى: ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [يس: ١٢]

^{١٧٦} الباجوري، العلامة إبراهيم الباجوري، شرح جوهرة التوحيد، نسقه وخرجه أحاديثه محمد أديب الكيلاني، وعبد الكريم تتان،

د.ط، ت.ص. ٢٣٧.

^{١٧٧} ينظر ياسين، الإيمان، سابق، ص ١٧٧، ١٨٠،

^{١٧٨} ينظر الحارثي، المختصر المفيد في علم التوحيد، مرجع سابق، ص ١١٦

والمراد من قوله تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ﴾ أي حفظناه وعددناه وبيناه ﴿فِي إِمَامٍ مُّسِينٍ﴾

وهو اللوح المحفوظ.. فهو مكتوب في اللوح، مثبت في علم الله تعالى قبل أن يخلق الخلق^{١٧٩}.

وللحديث عن أبرز الفضائل التربوية في موضوع الإيمان بالقضاء والقدر، تؤكد على أن الحديث فيها

إنما هو عن وضع المسلم النفسي والحركي، أو السلوكي في هذا الميدان، ونبدأ بها تباعاً كما يأتي:

أولاً: الاعتماد على الله تعالى عند فعل الأسباب:

لأن السبب والمسبب كليهما بقضاء الله وقدره، وهو الحكيم في خلقه واختياره، صاحب الحكم

السابق، الإرادة النافذة، والقدرة المطلقة.

قال تعالى: ﴿إِن الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧]

"يصرح القرآن الكريم، بما ورد على لسان يعقوب عليه السلام، أن لا حكيماً إلا الله سبحانه فقال:

﴿إِن الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ لا لغيره، ولا يشاركه فيه مشارك ﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ في كل إيراد وإصدار

لا على غيره: أي اعتمدت ووثقت ﴿وَعَلَيْهِ﴾ لا على غيره ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ أي، إلى

الله فليفوض أمورهم المفوضون^{١٨٠}.

ثانياً: دعوة المؤمن إلى العمل والسعي:

إن الإيمان بالقضاء والقدر لا يتعارض مع الأخذ بالأسباب، بل إن عين التوكل هو بالأخذ بالأسباب،

لأن الإيمان الحق يجعل المسلم يأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء، ويعتمد على الله تعالى، وكأن الأسباب لا

شيء، فظاهر مشتغل بالأسباب، ولكن قلبه متعلق بمسبب الأسباب، وهو الله جل شأنه.

^{١٧٩} ينظر البغوي، معالم التنزيل، مرجع سابق، ج٤، ص٤.

^{١٨٠} ينظر الطبري، جامع البيان، مرجع سابق: ج٨، ص١٥.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾

[الملك: ١٥].

ثالثا: الصبر والرضا:

الإيمان بالقدر يحمل المؤمن على الصبر والرضا والتسليم لله تعالى، بدل الجزع الذي يصيب عامة الناس، في المصائب والكوارث والنكبات، لأن الإيمان بالقدر، يجعل المؤمن يعتقد أن ما أصابه من خير أو شر لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطاه لم يكن ليصيبه، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال لي رسول الله ﷺ: "يا غلام.. واعلم أن ما أصابك، لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك، لم يكن ليصيبك، واعلم أن الخلائق لو اجتمعوا على أن يعطوك شيئا لم يرد الله أن يعطيك، لم يقدروا عليه، أو يصرفوا عنك شيئا أراد الله عز وجل أن يصيبك به، لم يقدروا على ذلك" فإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله..^{١٨١}

وقال تعالى في وصف المؤمنين الصادقين، الصابرين: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ

مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا

رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥

— [١٥٧]

"يخبر تعالى أنه يتلى عباده، أي يختبرهم ويمتحنهم ﴿بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ أي بقليل من ذلك

﴿وَنَقْصِ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾ أي ذهاب بعضها ﴿وَالْأَنْفُسِ﴾ كموت الأصحاب والأقارب والأحباب

^{١٨١} الطبراني، المعجم الكبير، عبيد بن أبي مليكة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ح ١١٢٤٣، ج ١١، ص ١٢٣، والحاكم، الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، المعروف بابن البيع، (ت ٤٠٥ هـ المستدرک علی الصحیحین، ذکر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت ح ٦٣٠٤، ج ٣، ص ٦٢٤).

﴿وَالشَّمْرَتِ﴾ أي لا تغل الحقائق والمزارع كعادتهما، وكل هذا وأمثاله مما يختبر الله به عباده فمن صبر

أثابه ومن قنط أحل به عقابه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا

إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾﴾ أي تسولوا بقولهم هذا عما أصابهم وعلموا أنهم ملك لله يتصرف في عبده بما

يشاء، وعلموا أنه لا يضيع لديه مثقال ذرة يوم القيامة، فأحدث لهم ذلك اعترافهم بأنهم عبده وأنهم إليه

راجعون في الدار الآخرة. ولهذا أخبر تعالى عما أعطاهم على ذلك، فقال: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن

رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ﴿١٥٧﴾﴾ أي ثناء من الله عليهم، و أمانة من العذاب ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ أعطوا

ثوابهم وزيدوا أيضاً^{١٨٢}.

ومن دعائه ﷺ أيضاً: "اللهم إني أسالك إيماناً يباشر قلبي، حتى أعلم أنه لا يصيبني إلا ما كتبت لي،

ورضاً من المعيشة بما قسمت لي^{١٨٣}.

وهذا كله تعليم من رسول الله ﷺ أن لا يستسلم المرء لأحداث الحياة ووقائع الدهر باسم الإيمان

بالقدر، فإن هذا مما يعتبر ضرباً من العجز المذموم في دين الله، وهذه الواقعة تدل على ذلك:

فعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قد قضى النبي ﷺ بين رجلين فقال المقضي عليه لما أدبر:

"حسبي الله ونعم الوكيل"؛ فقال النبي ﷺ: "إن الله يلوم على العجز، لكن عليك بالكيس، فإذا غلبك أمر

فقل: حسبي الله ونعم الوكيل^{١٨٤}.

^{١٨٢} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٣٨.

^{١٨٣} البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي، (ت ٢٩٢هـ) مسند البزار، المحقق محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، ط ١، ٢٠٠٩م، مسند عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ج ٥٣٨٥، ج ١٢، ص ١٨، دار العلوم والحكم، المدينة المنورة، والطبراني، المعجم الأوسط، مرجع سابق، ج ٦، ص ١١٨.

^{١٨٤} العجز: ترك ما يجب فعله بالتسوية. والكيس: العقل وحسن التصرف. والحديث رواه أبو داود، سنن أبي داود، مرجع سابق، كتاب الأفضية، باب الرجل يخلف على حقه، ج ٣٢٧٦، ج ٣، ص ٣١٣، وأحمد، مسند الإمام أحمد، مرجع سابق، حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه، ج ٢٣٩٨٣، ج ٣٩، ص ٤٠٨.

رابعاً: ثبات المؤمن أمام الابتلاء بالخير والشر:

الإيمان بالقدر هو صمام أمان للإنسان، الذي تؤثر فيه الانفعالات النفسية البشرية، جراء المصائب والنكبات، ولكن حيث ما وجد الإيمان، وجد ما يدفعها، أو يسكنها، رجاء لما عند الله، بالخلف الصالح، أو خوفاً من الوقوع في سخط الله تعالى في حالة الجزع.

ومن طبيعة الإنسان إذا أصابه الخير بطر وافتخر، وإذا أصابه الشر ونزل به البلاء جزع وحزن، ولا يعصم الإنسان من البطر والطغيان إذا أصابه الخير، والجزع والهلع إذا أصابه الشر إلا الإيمان بالقدر^{١٨٥}.
 "فالمؤمن يوقن بأن الله أوجد الأشياء حسب علمه وإرادته، فبذلك تترى النفوس على الصبر في البلاء وترضى بما قسمه الله تعالى لها"^{١٨٦}.

ولهذا امتدح الله الصابرين بقوله: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾

[البقرة: ١٥٦].

يقول تعالى: وبشر الصابرين على امتحاني إياهم ببعض محني، وابتلائي إياهم بما وعدتهم أن أبتليهم به من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات، وغير ذلك من المصائب التي أنا ممتحنهم بها. إنا ممالك ربنا ومعبودنا أحياء، ونحن عبيده، وإنا إليه بعد مماتنا صائرون تسليماً لقضائي ورضاً بأحكامي"^{١٨٧}.

ولذلك يستقبل المؤمن الموت والشدائد، وهو متمثل قول الله عز وجل: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا

مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]

^{١٨٥} مكّي، البيان في أركان الإيمان، مرجع سابق: ٤٨٨.

^{١٨٦} أبو عجوة، المجتمع الإسلامي وآدابه، مرجع سابق: ٥١، وينظر المشوخي: ٣٩-٤٦.

^{١٨٧} الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٢.

يقول تعالى: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ أي في اللوح المحفوظ... ﴿هُوَ مَوْلَانَا﴾

﴿أي ناصرنا وجاعل العاقبة لنا ومظهر دينه على جميع الأديان﴾ وَعَلَى اللَّهِ فليتوكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ

﴿والتوكل على الله تفويض الأمور إليه، والمعنى: أن من حق المؤمنين أن يجعلوا توكلهم مختصاً بالله سبحانه لا يتوكلون على غيره.

قال سيدنا رسول الله ﷺ لابن عمه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: "واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وأعلم بأن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف" ^{١٨٨}.

خامسا: الصلابة والثبات والعزم :

إنَّ الإنسان إذا علم أن ما قدره الله كائن، وأن كل ما ناله من خير أو شر إنما هو بقدر الله وقضائه هانت عليه المصائب، وبذلك يتحرر المؤمن من الخوف، ولا يذل إلا لله، لأن الله هو الذي يملك رزقه وأجله وأمره كله ^{١٨٩}.

"ولهذا، فالمؤمن كالطود الشامخ لا تزعزعه الحوادث، ويستسهل كل صعب بقلب مطمئن بقضاء الله وقدره، ويتمسك بعروة الصبر في مواطن الخطر... ^{١٩٠}.

^{١٨٨} الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، ح ٢٥١٦، ج ٤، ص ٦٦٧، والطبراني، المعجم الكبير، مرجع سابق، عبيد بن أبي مليكة عن ابن عباس رضي الله عنهما، ح ١١٢٤٣، ج ١١، ص ١٢٣، والحاكم، المستدرک علی الصحیحین، ذکر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ح ٦٣٠٤، ج ٣، ص ٦٢٤.

^{١٨٩} الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ج ٢، ص ٥٢٦.

^{١٩٠} مكِّي، البيان في أركان الإيمان، مرجع سابق، مجد، البيان في أركان الإيمان، ص ٤٨٧.

"والإيمان بالقدر يدعو المؤمن إلى العمل والسعي، فهو يفكر دائماً في المستقبل فلا يأسى ويطيل البكاء على ما فاتته ثقة بأن ما حدث لا يمكن تغييره، ولا يشغل نفسه كثيراً بالماضي إلا بمقدار ما يكتسب العبرة"^{١٩١}.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلت كذا كان كذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان"^{١٩٢}.

وفي أحداث السيرة العطرة كثير من الأمثلة الحية على ثبات الرسول الكريم ﷺ، وأصحابه عليهم الرضوان، ومثاله، أحواله ﷺ مع قريش، حينما ضربوا عليه حصاراً في المقاطعة، حتى أكلوا النوى وورق الشجر، فلم يزداهم ذلك إلا صلابة وتمكناً على الإيمان^{١٩٣}.

وفي غزوة الأحزاب، حين أخرج المسلمون، بجموع قريش، وإعداد العدة منهم ضدهم، ما زادهم ذلك إلا اعتصاماً بالله تعالى وتوكلاً.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَ جَمَعُوا لَكُمْ فَآخَظْتَهُمْ فَزَادَهُمُ إِيمَانًا وَقَالُوا

حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]

^{١٩١} المرجع السابق: ٤٨٦.

^{١٩٢} مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب القدر، باب بيان أن الآجال والأرزاق وغيرها لا تزيد ولا تنقص عما سبق به القدر، ح ٢٦٦٤، ج ٤، ص ٢٠٥٢، وابن ماجه، صحيح ابن ماجه، مرجع سابق، باب للإيمان، ح ٧٩، ج ٢، ص ١٣٩٥، والبيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحسروجردي الخراساني (ت ٤٥٨ هـ)، السنن الكبرى، المحقق محمد عبد القادر عطا، ط ٣، ١٩٩٤، ١٤٢٤ هـ، ٢٠٠٣ م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. كتاب آداب القاضي، باب فضل المؤمن القوي الذي يقوم بأمر الناس ويصبر على أذاهم، ح ١٩٩٦.

^{١٩٣} ينظر طرهوني، محمد بن رزق الطرهوني السلمي، صحيح السيرة النبوية، المسماة: "السيرة الذهبية" ط ١، ١٤١٤ م، مكتبة ابن تيمية. القاهرة ص ١٦٢.

سادسا: راحة النفس وطمأنينة القلب:

"الإيمان بالقضاء والقدر يورث المؤمن طمأنينة النفس، وراحة البال، ويقضي على القلق واليأس، لأن المؤمن يعتقد بسعة علم الله، وأن الخير فيما اختاره الله له، وأن الخير كله بيده سبحانه" ^{١٩٤}.

قال تعالى: ﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١].

"أي هو المالك لجميع الأمور، الفاعل لما يشاء منها، فليس ما تلتبسونه مما يكون بالقرآن، إنما يكون بأمر الله" ^{١٩٥}.

"وأقدار الله تعالى منها ما يوافق رغبات الخلق ومنها ما لا يوافقهم، ولذلك فإن حسن الخلق مع الله نحو أقداره، هو أن يرضى الإنسان ويستسلم ويطمئن" ^{١٩٦}

ومتى ما علم العبد أن ذلك بقضاء الله تعالى، وأن المكروه كائن لا محالة، ارتاحت النفس واطمأن القلب ورضي بقضاء الرب، فلا أحد أطيب عيشاً، وأروح نفساً، وأقوى طمأنينة ممن آمن بالقدر.

قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ

يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

فقوله: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا﴾ عسى من الله إيجاب، والمعنى: عسى أن تكرهوا الجهاد لما فيه من

المشقة ﴿وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ فرما بعلبون وتظفرون وتغنمون وتؤجرون، ومن مات مات شهيداً ﴿

وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا﴾ كالدعة وترك القتال ﴿وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ فرما يتقوى عليكم العدو فيغلبكم،

ويقصدكم إلى عقر دياركم فيحل بكم أشد مما تخافونه من الجهاد الذي كرهتم مع ما يفوتكم في ذلك

^{١٩٤} مكّي، البيان في أركان الإيمان، مرجع سابق: ٤٨٤

^{١٩٥} القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج٥، ص٣١٩.

^{١٩٦} ينظر بيومي، عبد المنعم محمد وطه محمد أحمد البناء، علم النفس، ط١٩٨٤م، ٥١٤٠٤. الرئاسة العامة لتعليم البنات، المملكة العربية

من الفوائد العاجلة والآجلة: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ﴾ ما فيه صلاحكم وفلاحكم: ﴿وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾

١٩٧. ومن أيقن بهذا استقامت نفسه على مراد ربه، وعلم أن خيرة الله له خير له من خيرته لنفسه.

ومما يتصل بطمأنينة القلب من فضائل العقيدة الإسلامية، اطمئنان المسلم على رزقه، فهو بيد الله

تعالى، وقد تكفل به، وما على المسلم إلا أن يسعى في طلب تحصيله بالطرق المشروعة.

قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ

مُبِينٍ﴾ [هود: ٦]

يبين تعالى أنه: "وما تدبّ دابة في الأرض، إلا ومن الله رزقها الذي يصل إليها وهو متكفل به، وذلك

قوتها وغذاؤها وما به عيشها"١٩٨. ومن أيقن بهذا، تحررت نفسه من رذيلة البخل والشح والذل لغير الله

تعالى، كما قال جل شأنه: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢]

١٩٧ الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٨٥.

١٩٨ الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج ٧، ص ٣.

الفصل الثاني:

الفضائل التربوية

التعبدية:

الفصل الثاني: الفضائل التربوية التعبديّة:

ويشتمل على تمهيد، ومبحثين، على النحو الآتي:

المبحث الأول: إعلان الشهادتين، وآثارها التربوية.

المبحث الثاني: الصلاة، وآثارها التربوية.

المبحث الثالث: الصيام، وآثاره التربوية.

المبحث الرابع: الزكاة، وآثارها التربوية.

المبحث الخامس: الحج، وآثاره التربوية.

تمهيد:

العبادة لغة: "مأخوذة من الفعل عبد، ويعني الطاعة مع التذلل والحب"^{١٩٩}.

واصطلاحاً: "هي اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأعمال الظاهرة والباطنة"^{٢٠٠}.

وأصول العبادات هي الصلوات الخمس في اليوم والليلة، وصوم شهر رمضان من كل عام، وصرف الزكاة عن المال البالغ نصاباً فما فوق إلى المحتاجين كل سنة، والحج إلى بيت الله الحرام في العمر مرة، وكل ما يتعلق بها من أحكام وشروط.

وقد شرع الله تعالى العبادات، لتنظيم العلاقة بينه وبين عباده، وبين عباده أنفسهم، فقد أوجب الله تعالى، وهو المنعم على عباده، المكرم له، أن يقوموا بشكره ويعرفوا له حقه، فيعبده وحده، ويخلصوا له الدين. وهذا ما تنادي به الفطرة السليمة، وهو عين ما جاء به الإسلام.

قال تعالى: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ

دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ [البينة: ٥] .

فقوله تعالى ذكره: ﴿ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ أي وذلك المذكور من عبادة الله وإخلاصها، وإقامة

الصلاة، والزكاة ﴿ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ أي دين الملة المستقيمة"^{٢٠١}.

وإن للعبادات فضائل تربوية لا تعد ولا تحصى، فضائل العبادة وأسرارها ميدانٌ واسع يضم فوائدهمجة، تتلمسها من خلال ولوج أبواب الشريعة الغراء، للوقوف على نصوصها الصحيحة، وما دلت عليه من آثار تربوية خاصة لكل ركن من أركان الإسلام، وعلى رأس ذلك إعلان الشهادتين.

^{١٩٩} ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج٣، ص٢٧٠٤.

^{٢٠٠} آل عبد الرحمن، حسن، قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، د.ط، ت، لاهور، ص١٥.

^{٢٠١} ينظر الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ج٥، ص٦٣٩.

المبحث الأول:

إعلان الشهادتين، وآثارها التربوية:

"إن تادية الشَّهادة، معناه أنك مقتنع ومصدِّق، أن لهذا الكون رباً وخالقاً، خلقه، وأوجده، ونظّمه، وأحكمه، وآته إله واحد، لا شريك له..

ومعنى الشَّهادة الثانية: أنك تؤمن وتصدِّق وتوقن، أن محمداً رسول الله ﷺ، أرسله بالهدى والبيان للحلال الذي يرضي الخالق عز وجل، والحرام الذي يغضبه، وأنتك باتباع سيِّدنا محمد ﷺ تتحقق طاعتك لله تعالى..

ومن هنا، فإنَّ المسلم يتعلّم علم التوحيد، وجوباً، ولتكون شهادته صحيحة، وإسلامه صحيح، وعمله مقبول"٢٠٢، كما قال تعالى: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ وَمَثَوَاتِكُمْ ﴾ [محمد: ١٩]

يقول تعالى ذكره لنبية محمد ﷺ: ﴿ فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ﴾ فاعلم يا محمد أنه لا معبود تنبغي أو تصلح له الألوهية ، ويجوز لك وللخلق عبادته ، إلا الله الذي هو خالق الخلق ، ومالك كل شيء ، يدين له بالربوبية كل ما دونه ﴿ وَأَسْتَغْفِرُ لِدُنْيَاكَ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ ﴾ وسل ربك غفران سالف ذنوبك وحادثها، وذنوب أهل الإيمان بك من الرجال والنساء ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبَكُمْ ﴾.

٢٠٢ الزنداني، عبد المجيد عزيز، كتاب التوحيد، ط ١٤٠٨، ١٩٨٨. دار طيبة، المدينة المنورة، ص ١٤-١٥.

يقول : فإن الله يعلم تصرفكم في نهاركم ومستقركم في ليلكم^{٢٠٣}.

"وهذه الكلمة لعظم ما تضمنته من اسمه سبحانه وما اشتملت عليه من معانٍ ، إذا وزنت لا يثقلها شيء ، وإذا فقدت فلا يقوم مقامها شيء . فقد ورد في حديث البطاقة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول ﷺ : " إن الله سيخلص رجلاً من أممي على رؤوس الخلائق يوم القيامة ، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلاً كل سجل مثل مد البصر ، ثم يقول أتنكر من هذا شيئاً أظلمك كتبتي الحافظون ؟ فيقول : لا يا رب . فيقول : أفلك عذر؟ فيقول : لا يا رب . فيقول : بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم ، فتخرج بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فيقول: احضر وزنك . فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات . فقال : إنك لا تظلم قال فتوضع السجلات في كفه والبطاقة في كفه فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله شيء

٢٠٤١١

ولكلمة التوحيد فضائل تربيوية، لا يمكن استقصاؤها، ولكن نذكر بعضاً مما يتعلق بها:

أولاً: نقل الإنسان إلى المعرفة الصحيحة عن الكون والحياة والوجود: ٢٠٥.

وعلى رأسها معرفة ما تدل عليه كلمة التوحيد.

فإن "جميع أصول الدين وفروعه من شعب هذه الكلمة؛ فلا يكون العبد مصدقاً بما حقيقة التصديق؛ حتى يؤمن بالله، وملائكته، ورسوله، ولقائه، ولا يكون مؤمناً بالله إله العالمين؛ حتى يؤمن بصفات جلاله،

^{٢٠٣} الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ١٢/١٧٣، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج٧، ص٣١٦.

^{٢٠٤} الترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، كتاب الزهد، ح٤٣٣. و ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ بن معبد التميمي الدارامي البستي (ت ٣٥٤هـ) صحيح ابن حبان (الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان)، ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بليان الفارسي (ت ٣٥٤هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط، ط١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨ م. د. د.

ح٢٢٥، والحاكم، المستدرک علی الصحیحین، مرجع سابق، ح١٩٣٧.

^{٢٠٥} الكيلاني وآخرون، دراسات في الفكر العربي الإسلامي، مرجع سابق: ١١٨.

ونعوت كماله، ولا يكون مؤمناً بأن الله لا إله إلا هو؛ حتى يسلب خصائص الألوهية عن كل موجود سواه، ويسلبها عن اعتقاده وإرادته، كما هي منفية في الحقيقة والخارج، وكذلك التصديق بها يقتضي الإذعان والإقرار بحقوقها، وهي شرائع الإسلام التي هي تفصيل هذه الكلمة؛ بالتصديق بجميع أخباره، وامتنال أوامره، واجتناب نواهيه^{٢٠٦}.

ثانياً: تجديد ما دُرس من الإيمان في القلب^{٢٠٧}:

"إن المداومة على هذه الكلمة مع يقين القلب لمعانيها، وتحقق الجوارح بالعمل لما تدل عليه ألفاظها ومبانيها، يجدد ما اندرس من معالم الإيمان في القلب.. كيف لا، وهذه الكلمة هي القطب التي تدور عليه رحي الإسلام، والأساس الذي تبنى عليه بقية الأعمال، والمفتاح التي يجوز به كل مؤمن موحد إلى الجنة دار السلام"^{٢٠٨}.

قد ورد أن النبي ﷺ قال: "جددوا إيمانكم. قالوا: كيف نجدد إيماننا؟ قال: قولوا: لا إله إلا الله"^{٢٠٩}.

^{٢٠٦} الرازي، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، مرجع سابق، ج ٢٧، ص ١٢٣.

^{٢٠٧} الزندانى، كتاب التوحيد، مرجع سابق، ص ٨٤.

^{٢٠٨} الصغير، ماجد بن أحمد، كتاب "الله جل جلاله" د. ط، ص ٣.

^{٢٠٩} أحمد، مسند أحمد، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٥٩، والحاكم: المستدرک علی الصحیحین، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٥٦.

المبحث الثاني:

الصلاة وآثارها التربوية:

"الصلاة لغة: الدعاء بخير، لقوله تعالى: ﴿ وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ١٠٣] أي ادع لهم^{٢١٠}، وفي

الشرع: "أقوال وأفعال، مفتوحة بالتكبير، محتتمة بالتسليم، بشرائط مخصوصة"^{٢١١}.

والصلاة من أعظم شعائر الإسلام ومعالمه، وهي عماد الدين، من أقامها فقد أقام الدين، ومن تركها

فقد هدم الدين.

والصلاة هي "الدليل الأول على التزام عقد الإيمان، بل هي الشعار الفاصل بين المسلم والكافر،

كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ، وهو الذي يقول: "بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة"^{٢١٢}.

ولمعرفة أبرز الفضائل التربوية للصلاة، فقد جعل الله تعالى في هذه العبادة العظيمة، فوائد عدة، أبرزها

ما يأتي:

^{٢١٠} ينظر البيضاوي، أنوار التنزيل، مرجع سابق، ج ٩، ص ٣٠٣.

^{٢١١} ينظر الجزيري وجماعته، الفقه على المذاهب الأربعة، ط ٣، د"ت دار إحياء التراث العربي، بيروت، "ج ١، ص ١٧٥ وعاشور،

أحمد عيسى، الفقه الميسر في العبادات والمعاملات، ط ١، ١٤٢٢م، ٢٠٠١م، دار الخير، دمشق ص ٧٧.

^{٢١٢} مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب بيان إطلاق إسم الكفر على من ترك الصلاة، ح ٨١. ج ١،

ص ٨٨. والدارقطني أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهير بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي (ت ٣٨٥هـ) سنن

الدارقطني، حققه وضبط نصح وعلق عليه شعيب الأرنؤوط، وآخرون، ط ١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م، دن، كتاب زكاة

القطر، باب في جزية الجوس وما روي في أحكامهم، ح ٨٢، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه .

أولاً: الصلاة تحقق الصلة بين العبد وربّه:

الصلاة من أعظم شعائر الإسلام ومعامله، يستشعر بها المسلم ذله، بين جلال الخالق وعظمته، وعندما يقيم المسلم صلاته في فترات من الليل والنهار، ويخلو فيها عن شواغل دنياه، وشؤون حياته إلى الله خالقه، يدوم اتصاله بربه، وخضوعه له، وهو يرجو رحمته، ويخشى غضبه.

ثانياً: الصلاة تحقق في النفس الخشوع:

الخشوع ثمرة الصلاة وروحها، ولا تقبل صلاة بدون خشوع.

"فالصلاة لا بد فيها من سكون الأعضاء واطمئنان الجوارح، وحفظ العين، والتزام المتابعة لصفة صلاة النبي ﷺ، متدبرا معاني ما يقرأ في صلاته، باستحضار القلب وقوفه بين يدي ربه، يناجيه سبحانه، حاضرا معه، حتى ينال الحظ الأوفى من القبول" ٢١٣.

ومن الآيات التي تجعل الخشوع في الصلاة أمرا ملزما، قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ ٤ الَّذِينَ

هُمَّ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿ [الماعون: ٤ - ٥]

وهنا يتهدد الله تعالى بالويل، وهو واد في جهنم، لـ ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ أي

غافلون يؤخرونها عن وقتها" ٢١٤، أو لا يصلونها البتة، كما في قوله تعالى: ﴿خَلَفَ مِنْ بَدَائِهِمْ خَلْفًا أَضَاعُوا

الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا﴾ [مریم: ٥٩]

٢١٣ ابن حميد وآخرون، نضرة النعيم، مرجع سابق، ج٦، ص٢٥٤١.

٢١٤ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج٨، ص٤٦٧.

ثالثاً: الصلاة تنمي في النفس فضيلة الصبر:

ومما تحقّقه الصلاة للعبد حمل النفس على الصبر، امتثالاً لأمر الله تعالى ، ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ

وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]

والمراد في قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ أي: استعينوا بحبس أنفسكم عن الشهوات،

وقصرها على الطاعات على دفع ما يرد عليكم من المكروهات.. وقيل: هو الصبر على تكاليف الصلاة..

وكلها محتملة ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ﴾ الكبيرة: هي التي يكبر أمرها ويتعاضم شأنها على حاملها لما يجده عند

تحملها والقيام بها من المشقة، ﴿إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ والخشوع: الإحبات، وهو هيئة في النفس، يظهر

منها في الجوارح سكون وتواضع..

واستثنى سبحانه الخاشعين مع كونهم باعتبار استعمال جوارحهم في الصلاة، وملازمتهم لوظائف

الخشوع الذي هو روح الصلاة، وإتباعهم لأنفسهم إتعاباً عظيماً في الأسباب الموجبة للحضور والخشوع،

لأنهم لما يعلمونه من تضاعف الأجر، وتوفر الجزاء، والظفر بما وعد الله به من عظيم الثواب، تسهل عليهم

تلك المتاعب، ويتذلل لهم ما يرتكبونه من المصاعب، بل يصير ذلك لذة لهم خالصة، وراحة عندهم

محضة، ولأمر ما هان على قوم ما يلاقونه من حر السيوف عند تصادم الصفوف، إضافة إلى أن الصلاة،

أعظم معين للمسلم في المصائب والنكبات" ^{٢١٥}

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: "كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة" ^{٢١٦}.

^{٢١٥} ينظر البيضاوي، أنوار التعرّيل، مرجع سابق، ج٣، ص٢٥٨.

^{٢١٦} مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب دعاء الكرب، ح٢٧٣٠، ج٤، ص٢٠٩٣،

وأبي داود، سنن أبي داود، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب وقت قيام النبي ﷺ من الصلاة، ح١٣١٩. ج٢، ص٣٥، وابن

خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري (ت٣١١هـ) مسند ابن خزيمة،

المحقق محمد مصطفى الأعظمي، د.ط، ت، المكتب الإسلامي، بيروت ح٩٢٤..

في دلالة على أن المؤمن من خلال الصلاة يفضي إلى ربه ، ويشكو إليه بثه وحزنه، ويستفتح أبواب رحمته.

رابعاً: الصلاة تحقق في النفس الطمأنينة والسكينة والرضا:

" في الصلاة يشعر المؤمن بالسكينة والرضا والطمأنينة، فحين يبدأ المسلم صلاته بالتكبير، يشعر بأن الله أكبر من كل ما يروعه، ومن يروعه في هذه الدنيا، ويقرأ فاتحة الكتاب، فيجد فيها تغذية الشعور بنعمة الله"، في قوله تعالى ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٣﴾ [الفاتحة: ١ - ٢] ..

وتغذية الشعور بعظمة الله تعالى وعدله، في قوله تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ ٤﴾ [الفاتحة: ٤] ..

وتغذية للشعور بالحاجة إلى هداية الله، في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ٥﴾ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ

الْمُسْتَقِيمَ ٦﴾ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: ٥-٧] " ٢١٧ .

خامساً: الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر:

لا شك أن من يصلي، ترجى له الاستقامة، لأن تعاهد الصلاة يجعل المرء في أوقات مختلفة، تمر عليه لحظات، يتدبر فيها معاني الآيات التي يسمعها، أو يقرأها، حتى تستيقظ النفس من غفلتها، ويخلص القلب لله تعالى، ويحميه من خطرات السوء..

٢١٧ ينظر ابن حميد وآخرون، نضرة النعيم، مرجع سابق، ج٦، ص٢٥٦٨.

ذلك أن الصلاة تحمل صاحبها على حب الخير وعمله، والرغبة من عقابه، بما يحول بين العبد وبين المعاصي والشُرور، فتصفو نفسه من كدورات الحياة، والانطباعات المنحرفة، فتطيب أخلاقه، وتستقيم أعماله^{٢١٨}.

قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ من حيث إنها تذكر بالله، وتورث النفس خشية منه حال الاشتغال بها وغيرها. ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ أي: وللصلاة أكبر من سائر الطاعات، وإنما عبر عنها به للتعليل بأن اشتغالها على ذكره هو العمدة في كونها مفضلة على الحسنات، ناهية عن السيئات، أو لذكر الله إياكم برحمته، أكبر من ذكركم إياه بطاعته ﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ منه ومن سائر الطاعات، فيجازيكم به أحسن المجازة^{٢١٩}.

ولما أخبر النبي ﷺ عن امرأة تقوم الليل ولكنها إذا أصبحت آذت جيرانها قال: "هي في النار"^{٢٢٠} ومن هنا كانت حقيقة الصلاة في الأصل، تزكية للنفس وتطهير لها، من الأخلاق الرديئة، والصفات السيئة.

^{٢١٨} العجوز، منهاج الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٩٧.

^{٢١٩} البيضاوي، أنوار التنزيل، مرجع سابق، ج ١٥، ص ١٦٣.

^{٢٢٠} الحاكم، المستدرک علی الصحیحین، مرجع سابق، كتاب البر والصلة، ح ٣٠٣٢، ج ٧، ص ١٨٠، وقال هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

سادسا: الصلاة لها فضل عظيم في التربية الروحية:

ومن فضائل الصلاة ما له أثر في التربية الروحية، وتغذية ذلك الجزء العلوي الإلهي في كيان الإنسان، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩].

"وهذا الكيان له وظيفة عظمى في الإنسان، وهي تغذية العقل والقلب بالمعرفة بالله سبحانه، لأن الصلوات الخمس بمثابة وجبات الغذاء اليومي للروح، كما أن للمعدة وجباتها اليومية، ففي مناجاة العبد لربه في صلاته شحنة روحية تنير قلبه، وتشرح صدره، وتأخذ بيده من الأرض إلى السماء، وتدخله على الله بلا باب، وتوقفه بين يديه بلا حجاب، فيكلمه بلا ترجمان" ٢٢١.

ولهذا قال ﷺ: "إن الرجل إذا دخل في صلاته، أقبل الله عليه بوجهه، فلا ينصرف عنه، حتى ينقلب" ٢٢٢، أو يحدث حدث سوء" ٢٢٣.

بل إن من فضائلها التربوية الروحية، أنها تمد المؤمن بقوة روحية ونفسية تعينه على مواجهة متاعب الحياة ومصائب الدنيا.

قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُون﴾ [البقرة: ١٥٢]

قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ أمر وجوابه، وفيه معنى المجازاة، ومعنى الآية: اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب والمغفرة، ولأن الذكر طاعة الله، فمن لم يطعه لم يذكره وإن أكثر التسبيح والتهليل وقراءة القرآن" ٢٢٤.

٢٢١ ابن حميد وآخرون، نصره النعيم، مرجع سابق، ج٦، ص٢٥٨٤.

٢٢٢ أي يرجع.

٢٢٣ يحدث، أي، يفقد وضوعه. والحديث رواه ابن خزيمة، مسند ابن خزيمة، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب الزجر عن بصق المصلي أمامه إذ الله عز وجل قبل وجه المصلي ما دام في صلاته مقبلا عليه، ح ٩٢٤.

وقوله تعالى : ﴿ وَأَشْكُرُوا لِي ﴾ الشكر معرفة الإحسان والتحدث به، وشكر العبد لله تعالى ثناؤه عليه بذكر إحسانه إليه، وشكر الحق سبحانه للعبد ثناؤه عليه بطاعته له، إلا أن شكر العبد نطق باللسان وإقرار بالقلب بإنعام الرب مع الطاعات^{٢٢٥}. ﴿ وَلَا تَكْفُرُونَ ﴾ فهي، أي لا تكفروا نعمتي وأيادي . فالكفر هنا ستر النعمة لا التكذيب^{٢٢٦}.

سابعا: الصلاة زاد المؤمن للتحقق بالطهارة من الآفات:

"إن من الحكمة التشريعية في الأمر بتكرار الصلاة خمس مرات في اليوم، حتى أن المسلم ليؤديها صباحا ومساء، ظهرا وعصرا وعشيا، أن تكون" بمثابة الحمام الروحي للمسلم، يتطهر بها من غفلات قلبه وأدران خطاياها^{٢٢٧}.

"والصلاة أيضا، بمثابة محطة تنقية من الذنوب والأدران التي يكتسبها العبد في يومه وليلته، فهي فرصة يثوب فيها المخطيء إلى رشده، ويفيق المغرور من سباته، ويرجع المسلم إلى ربه، ويطفىء هذا السعار المادي الذي أججته المطامع والشهوات^{٢٢٨}.

ومما يؤكد هذا المعنى الذي رسمه لنا رسول الله ﷺ، قول الله تعالى في كتابه الكريم: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ

طَرَفِ النَّهَارِ وَرُفَأَ مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهَبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ ﴾ [هود: ١١٤].

^{٢٢٤} ينظر الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ج١، ص٢٩٤.

^{٢٢٥} البيضاوي، أنوار التنزيل، مرجع سابق، ج٤، ص٣٦٤.

^{٢٢٦} المرجع السابق، ج٤، ص٣٦٤.

^{٢٢٧} القرضاوي، د. يوسف، العبادة في الإسلام، ط٦، ٥١٣٩٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص٢٢٥.

^{٢٢٨} المرجع السابق، ص٢٢٦.

فقد قيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ .. "إن الصلوات الخمس يذهبن

الخطيئات" ٢٢٩.

ثامنا: الصلاة تعمل على توحيد المجتمع وتماسكه:

"الصلاة مظهر من مظاهر وحدة المجتمع، نجد ذلك في صلاة الجماعة والجمعة والعيدين، منها ما هو اجتماعي وسياسي، ومنها ما هو حربي، وكلها تتفاعل في تدعيم البناء العام للأمة، الذي يتمثل في قوتها وعلو كلمتها، ففي صلاة الجماعة تعاون وتعارف بين أبناء الحي الواحد، ومتابعة لأحوال إخوانه، فإن كان فقيرا أعانه، وإن كان مريضا فيعوده" ٢٣٠.

قال تعالى: ﴿وَلِئِنْ هَدَيْتُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]

والمراد: ﴿وَلِئِنْ هَدَيْتُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ وهذا من جملة ما حوَّط به الأنبياء، والمعنى: أن هذه ملتكم وشريعتكم أيها الرسل ملة واحدة، وشريعة متحدة يجمعها أصل هو أعظم ما بعث الله به أنبياءه وأنزل فيه كتبه، وهو دعاء جميع الأنبياء إلى عبادة الله لا شريك له، لقوله: ﴿وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ "وقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُونِ﴾ أي لا تفعلوا ما يوجب العقوبة عليكم مني بأن تشركوا بي غيري، أو تخالفوا ما أمرتكم به أو نهيتكم عنه" ٢٣١.

٢٢٩ ينظر البغوي، معالم التنزيل، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٤٠.

٢٣٠ أبو عجوة، المجتمع الإسلامي وآدابه، مرجع سابق، ص ٣٨٠.

٢٣١ الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ج ٣، ص ٦٦١.

تاسعا: تحقيق المساواة بين المسلمين:

ومن فضائل الصلاة التربويّة، تغذية الشعور الإيماني بحقيقة المساواة بين المسلمين، حيث إنّ "وقوف المسلمين بعضهم بجانب بعض، وتساويهم في المناكب في صفوفهم، يلغي كل أثر يؤدي إلى حصول التمييز بين الغني والفقير، وذو الجاه الرفيع، وذو الجاه الوضيع"^{٢٣٢}، فكلهم سواسية عند الله تعالى، كما قال جلّ شأنه: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ﴾ [الحجرات: ١٣].

"فهم متساوون، لاتصاهم بنسب واحد وكونه يجمعهم أب واحد، وأم واحدة، وأنه لا موضع للتفاخر بينهم بالأنساب، وأن الله سبحانه خلقهم كذلك للعبادة ففيها الشرف، لا ليتفاخروا بأنسابهم، ودعوى أن هذا الشعب أفضل من هذا الشعب، وهذه القبيلة أكرم من هذه القبيلة، وهذا البطن أشرف من هذا البطن، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَمُ﴾ أي إن التفاضل بينكم إنما هو بالتقوى، فمن تلبس بها فهو المستحق لأن يكون أكرم ممن لم يلبس بها وأفضل، فدعوا ما أنتم فيه من التفاخر بالأنساب، فإن ذلك لا يوجب كراماً ولا يثبت شرفاً ولا يقتضي فضلاً"^{٢٣٣}

"وفي الصلاة كل ما تنشده الإنسانية من مساواة ورحمة وأدب، في واقع ملموس، تراه في أصوات الساجدين والمتبتلين، والداعين، والذاكرين، والمتهجدين لربهم، شعورهم واحد، وربهم واحد لا شريك له، وقبلتهم واحدة، وشعارهم واحد: "الله أكبر — الله أكبر"^{٢٣٤}.

^{٢٣٢} ينظر أبو عجوة، المجتمع الإسلامي وآدابه، مرجع سابق، ص ٣٨٠.

^{٢٣٣} ينظر الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ج ٥، ص ٨٩.

^{٢٣٤} عاشور، عبد الفتاح، منهج القرآن في تربية المجتمع، ط ١، ١٩٧٩ م. مكتبة الخانجي، مصر ص ٩١.

عاشرا: الصلاة باب التعارف بين المسلمين وتآلفهم:

يجتمع المصلون لأداء الصلوات الخمس في مواعيدها، فيتعارفون ويتآلفون، ويتناصحون ويتعاونون، "وتعتبر الصلاة بمثابة الندوات ، التي يتعلم فيها الجاهل، ويرشد فيها الحائر، ويعان فيها المحتاج، ويواسى فيها المصاب، ويعاد من خلالها المريض" ٢٣٥.

وفي الصلاة يتعلم المسلمون النظام،.. فإنهم "إذا نهضوا لصلاة الجماعة نظموا صفوفهم، من غير تمييز في المراتب، ولا تفاوت في الدرجات، وانقادوا إلى إمام واحد، يتبعونه في حركاته، بهدوء وسكينة، إلى نهاية الصلاة، فينطبعون على حب الناظم، ولانقياد إلى رئيس واحد بطاعة وإخلاص" ٢٣٦.

وقال تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ نَحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ

اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة: ١١٠].

فقد أمرهم تعالى، بقوله: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ بالملجأ إلى الله تعالى بالعبادة والبر

﴿ وَمَا نُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ ﴾ كصلاة وصدقة ﴿ نَحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ أي ثوابه ﴿ إِنَّ اللَّهَ

بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ لا يضيع عنده عمل " ٢٣٧.

حادي عشر: الصلاة تنبه على حقوق الناس:

إنَّ القلب إذا صار مستشعرا أن الله يراقبه، ويجاسبه على ما أمره به، اندفع إلى مراعاة حقوق الناس، وحسن معاملتهم، ومن هنا كان أحسن الناس معاملة وخلقا، المخلصون في عبادتهم، والذين يتقنونها ويجيدون أداءها وإقامتها على الوجه الحسن الصحيح.

٢٣٥ العجوز، مناهج الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٩٨.

٢٣٦ العجوز، مناهج الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٩٩.

٢٣٧ ينظر البيضاوي، أنوار التنزيل، مرجع سابق، ج ٤، ص ١٣٧.

المبحث الثاني:

الفضائل التربوية في الزكاة:

والزكاة من العبادات التي بين الله وعباده، فرضها الله تعالى على العباد القادرين لها، والمتحققة فيهم فيهم شروطها، كالإسلام، والعقل، والبلوغ، والحرية، وبلوغ النصاب، فرضا لازما، لقوله تعالى:

﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [البقرة: ٤٣]

فقوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ ﴾ يعني الصلوات الخمس بمواقيتها وحدودها ﴿ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾

" أدوا زكاة أموالكم المفروضة" ^{٢٣٨}

" وأصل الزكاة، نماء المال وتثمينه وزيادته، ومن ذلك قيل: زكا الزرع، إذا كثر ما أخرج الله منه.

وزكت النفقة، إذا كثرت" ^{٢٣٩}.

وهي شرعا: " إشم لقدر من المال مخصوص، يصرف لأصناف مخصوصة، بشرائط مخصوصة" ^{٢٤٠}.

وقد أوجب الله تعالى الزكاة بقوله سبحانه: ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ

﴿ ٢٥ ﴾ [المعارج: ٢٤-٢٥]

والمراد من قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴾ أي الذين في أموالهم نصيب مقرر ﴿ لِلسَّائِلِ

وَالْمَحْرُومِ ﴾ لذوي الحاجات، أي في الزكاة المفروضة" ^{٢٤١}.

^{٢٣٨} البغوي، معالم التنزيل، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٦.

^{٢٣٩} العجوز، مناهج الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٣٩.

^{٢٤٠} عاشور، الفقه الميسر في العبادات والمعاملات، مرجع سابق، ج ١، ص ١٦٢.

"ولهذا تؤخذ الزكاة من المسلمين المالكين لنصاب الذهب، والفضة، وعروض التجارة، والمواشي بعد مرور حول عليها، والزروع يوم حصادها، والمعادن والدفائن يوم إخراجها.. وفي معنى الذهب الأوراق النقدية المتداولة، فإنها تعتبر قيمتها الذهبية في بلوغ نصابها"^{٢٤٢}.

وتصرف الزكاة إلى الثمانية أصناف^{٢٤٣}، وهم المشار إليهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ فُلُؤْمِهِمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ﴾ [التوبة: ٦٠].

وأما أهم الفضائل التربوية للزكاة، فهي على النحو الآتي:

أولاً: تحقيق روح الإخلاص:

إن من أولى أولويات العبادة عامة كانت أو خاصة، تحرير النية لله تعالى بدافع من الإخلاص لله. ويتحقق الإخلاص في موضوع الزكاة، إن كان المقدم من المال على سبيل التواضع والإكرام، الذي يجب أن يقترن به أداء الزكاة، ويتَّصف به صاحبها، من الآداب الدقيقة والأخلاق السامية النبيلة، بدل المن والأذى^{٢٤٤}.

قال تعالى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وفيها قال الحسن البصري: نفقة المؤمن لنفسه ولا ينفق المؤمن إذا أنفق إلا ابتغاء وجه الله^{٢٤٥}.

^{٢٤١} ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق ج ٤، ص ٤٢٣، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق ج ١٨، ص ٢٩١.

^{٢٤٢} العجوز، مناهج الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٣٨.

^{٢٤٣} المرجع السابق، ص ١٣٩.

^{٢٤٤} القصير، تذكرة الصوام، مرجع سابق، ص ٢٠، وسراج الدين، الشيخ عبد الله، التقرب إلى الله، فضله — طريقه — مراتبه، ط ٢، ٥١٤١٨، ١٩٩٧م، مكتبة دار الفلاح، حلب، ص ٥٥٦.

^{٢٤٥} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٤١.

وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ

أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢].

"وهنا يمدح تبارك وتعالى الذين ينفقون في سبيله، ثم لا يتبعون ما أنفقوا من الخيرات والصدقات مناً

على من أعطوه، فلا يمتنون به على أحد، ولا يمتنون به لا بقول ولا بفعل، فقال ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ

﴿أي ثوابهم على الله لا على أحد سواه. ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي فيما يستقبلونه من أهوال يوم

القيامة. ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ أي على ما خلفوه من الأولاد، ولا ما فاتهم من الحياة الدنيا وزهرتها،

لا يأسفون عليها، لأنهم قد صاروا إلى ما هو خير لهم من ذلك..

ثم قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعَهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ﴾ [البقرة:

٢٦٣] ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ أي من كلمة طيبة ودعاء لمسلم ﴿وَمَغْفِرَةٌ﴾ أي عفو وغفر عن ظلم

قولي أو فعلي ﴿خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعَهَا أَذَىٰ﴾ ﴿وَاللَّهُ عَنِّي﴾ عن خلقه، ﴿حَلِيمٌ﴾ أي

يحلّم ويغفر ويصفح ويتجاوز عنهم^{٢٤٦}.

ثانياً: تطهير النفس من أدران البخل والشح:

"الزكاة تُعوّد النفس على السخاء و الجود وقضاء حوائج الناس والشعور بأزماتهم، ولهذا قال الله عز

وجل : ﴿فَانْفِقُوا لِلَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ

فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن: ١٦].

ففي قوله تعالى : ﴿ فَأَنْفِقُوا لِلَّهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ ومعنى الآية أنه : واحذروا الله أيها المؤمنون وخافوا

عقابه ، وتجنبوا عذابه بأداء فرائضه واجتناب معاصيه ، والعمل بما يقرب إليه ، ما أطقتم وبلغه وسعكم .

وقوله ﴿ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا ﴾ يقول : واسمعوا لرسول الله ﷺ ، وأطيعوه فيما أمركم به ونهاكم

عنه ﴿ وَأَنْفِقُوا خَيْرًا لِّأَنْفُسِكُمْ ﴾ يقول : وأنفقوا مالا من أموالكم لأنفسكم تستنقذوها من

عذاب الله ، والخير في هذا الموضع المال ..

وقوله : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ ﴾ ومعنى الآية أنه : ومن يقه الله شح نفسه ، وذلك اتباع هواها

فيما نهى الله عنه " ..

وقوله : ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمَقْلُحُونَ ﴾ يقول : فهؤلاء الذين وقوا شح أنفسهم ، المنححون الذين

أدركوا طلباتهم عند ربهم "٢٤٧" ..

إذن، ففضيلة الزكاة التربوية الأولى، هي "تزكية النفس من الشح والحرص، ومن الأثرة وحب المال،

وظلم حقوق الفقراء، وقسوة النفس"٢٤٨.

وقد ذكر الله هذه المصلحة الأساسية، ونوه بها في القرآن، ويكاد القرآن يقتصر عليها، فقال مخاطباً

للسلطان الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ [التوبة:

[١٠٣

٢٤٧ الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج ١٤، ص ١٤٢.

٢٤٨ سراج الدين، عبد الله، التقرب إلى الله، فضله، طريقه، مراتبه، ط ٢، ١٧٤١، ١٩٩٧م. مكتبة دار الفلاح، دمشق.

فقوله تعالى: ﴿ خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً ﴾ أي: "يا محمد ﷺ، خذ من أموال هؤلاء الذين اعترفوا

بذنوبهم فتأبوا منها، صدقة ﴿ تَطَهَّرَهُمْ ﴾ من دنس ذنوبهم، ﴿ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا ﴾ أي: وتنمئهم وترفعهم

عن خسيس منازل أهل النفاق بها، إلى منازل أهل الإخلاص" ٢٤٩.

ثالثا: إشعار المتصدق وترغيبه بتزكية ماله وتكثيره:

ومن فضائلها "إشعار المتصدق، وترجيته بتزكية المال، وتنميته، وحلول البركة فيه، برضا الله سبحانه

وتعالى وقبوله، وبفضل مواساة الفقراء الضعفاء، وانعطاف قلوبهم ورقتها، ودعاتهم" ٢٥٠.

فلقد قال الله تعالى ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾

[الروم: ٣٩]

ومعنى قوله تعالى: ﴿ وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ يقول وما

أعطيتم من صدقة تريدون بها وجه الله ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ ﴾ أي الذين لهم الضعف من الأجر

والثواب" ٢٥١.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: " ما نقصت صدقة من مال" ٢٥٢.

رابعا: التجريد من الأنانية الفردية والجماعية:

"الفكرة الأساسية في النظام الاقتصادي الإسلامي، تقرير الملكية الحقيقية لله تعالى، فهو الوارث الحقيقي

لهذا المال في جميع أحوال الإنسانية كلها، ولم يقرر للإنسان إلا منصب الأمانة والخلافة، فخاطب المسلمين

^{٢٤٩} ينظر البيضاوي، أنوار التنزيل، مرجع سابق، ج ٩، ص ٣٠٣.

^{٢٥٠} سراج الدين، التقرب إلى الله، مرجع سابق، ص ٥٥٦.

^{٢٥١} الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج ١١، ص ١٤٨.

^{٢٥٢} مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع، ح ٢٥٨٨، ج ٤، ص ٣٧٦، والترمذي،

سنن الترمذي، باب ما جاء في التواضع، ح ٢٠٢٩، ج ٤، ص ٣٧٦.

بقوله تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ١٧].

٢٥٣

يقول تعالى: ﴿ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ۖ أَي جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ فِي التَّصَرُّفِ فِيهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ

تملكوه حقيقة، فإن المال مال الله والعباد خلفاء الله في أمواله، فعليهم أن يصرفوها فيما يرضيه^{٢٥٤}.

" وفيه الترغيب إلى الإنفاق في سبيل الخير قبل أن ينتقل عنهم ويصير إلى غيرهم، ﴿ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ

وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ أي الذين جمعوا بين الإيمان بالله ورسوله، وبين الإنفاق في سبيل الله لهم أجر

كبير، وهو الجنة^{٢٥٥}.

ومن هنا، ليس لإنسان أن يمن على غيره بهذا المال الذي جعله الله تعالى بين يديه مستخلف فيه.

قال تعالى: ﴿ وَمَالِكُمْ أَلا تَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [الحديد: ١٠].^{٢٥٦}

يقول تعالى: أي شيء لكم في ترك الإنفاق فيما يقرب من الله وأنتم ميتون تاركون أموالكم..^{٢٥٧}

و قد مدح الله تعالى المنافقين بقوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا

وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ٢٧٤]

فسر قوله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ مدح منه

تعالى للمنفقين في سبيله وابتغاء مرضاته في جميع الأوقات من ليل ونهار، والأحوال من سر وجهر..

^{٢٥٣} الخالدي، الأصول الفكرية للعقيدة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٥٤٤.

^{٢٥٤} الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ج ٥، ص ٢٢٢.

^{٢٥٥} المرجع السابق، ج ٥، ص ٢٢٢.

^{٢٥٦} سراج الدين، التقرب إلى الله، مرجع سابق، ص ٣٥.

^{٢٥٧} الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٦٨.

وقوله ﴿ فَالَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ أي يوم القيامة على ما فعلوا من الإنفاق في الطاعات ﴿ وَلَا

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ أي لا خوف من ماضٍ تقدم، ولا على مستقبل آتٍ، فهم في

كنف الله ورعايته^{٢٥٨}.

وما جعل كلُّ هذا الترغيب من الله تعالى بحق المنفقين والمتصدقين، إلا ليتجردوا عن أنانية النَّفس

مفضلين ما عند الله تعالى من أجرٍ، على ما بأيديهم من أموال يستأثرون بها لأنفسهم.

خامساً: تحقيق التراحم والتعاون والتحاب:

من أبواب الفضائل الشرعية على أمة الحبيب المصطفى ﷺ تحقيق التراحم والتواد والتحاب بين

المسلمين، "فعندما يخرج الغني جزءاً محدوداً من ماله، كل عام، إلى إخوانه الفقراء والمساكين وأبناء السبيل

وغيرهم، فإنه بذلك يقضي حاجتهم، وينفس عنهم كربتهم، ويدخل السرور على قلوبهم، ويتم بذلك

تراحمهم، ويقوى ترابطهم، وقد جبلت النفوس على حب من أحسن إليها"^{٢٥٩}.

ومن هنا فليست الزكاة ضريبة تؤخذ من الناس على كره منهم، بل هي غرس لمشاعر الحنان والرحمة

وتوطيد لعلاقات التعارف والألفة بين أبناء المجتمع، وكفالتهم الكفالة اللازمة الضرورية، لسد حاجات

الفقراء، وهيئة كل عضو من أعضاء المجتمع أسباب الحياة الشريفة التي يستطيع بها القيام بشؤونه المختلفة.

^{٢٥٨} ينظر البغوي، معالم التنزيل، مرجع سابق، ج١، ص١٩٨، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج١، ص٥٥٣.

المبحث الثالث:

الفضائل التربوية في الصيام:

" الصوم في اللغة: الإمساك عن الشيء، قال تعالى: ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾ [مريم: ٢٦]

وشرعا "هو الإمساك عن تناول الطعام والشراب والجماع، وسائر المفطرات ، بنية الصيام، من طلوع الفجر الصادق، إلى غروب الشمس" ^{٢٦٠}.

والحقيقة إن الصوم مفهومه واسع عميق، فهو كما يشمل صوم الجوارح، هو يشمل صوم القلب عن المحرمات الحسية والمعنوية .

وقد فرض الله الصيام على كلٍّ مستطيع من الرجال والنساء في شهر رمضان من كل عام.

قال الله تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ

لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وهنا "يخاطب الله تعالى المؤمنين في هذه الآية، يأمرهم بالصيام، وهو الإمساك عن الطعام والشراب والوقاع، بنية خالصة لله عز وجل، وذكر أنه كما أوجبه عليهم، فقد أوجبه على الذين من قبلهم، كما

قال تعالى: ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتُبَ عَلَيْكُمْ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ يعني

الأنبياء والأئمة من لدن آدم عليه السلام ، وفيه توكيد للحكم وترغيب في الفعل وتطيب على النفس

^{٢٦٠} عاشور، الفقه الميسر، مرجع سابق، ج ١، ص ١٨٣، وينظر الجرجاني، التعريفات، مرجع سابق، ص ١٤١.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ المعاصي فإن الصوم يكسر الشهوة التي هي مبدؤها، أو ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

"الإحلال بأدائه لأصالته وقدمه" ^{٢٦١}

وقد انبثق عن هذه الفريضة، فضائل تربوية متعددة، نوجزها في الآتية:

أولاً: تحقيق العبودية لله، والتقرب إليه:

فالصوم يجعل العبد متحققاً بالتذلل والانكسار، والافتقار إلى الله عز وجل، والتذلل بين

يديه

ومن تحقق بعبادة الصيام، تجده يتقرب إلى ربه، "بترك محبوبات النفس المحبول على محبتها من طعام

وشراب ونكاح، لينال بذلك رضى ربه، والفوز بدار كرامته، فيتبين بذلك إثارة محبوبات ربه على

محبوبات نفسه، وللدار الآخرة على دار الدنيا" ^{٢٦٢}. ويؤخذ هذا أيضاً من معاني ومستلزمات التقوى التي

تعلق بها الصيام، والتي مرت في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ

عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

ثانياً: صناعة التقوى في النفس:

ومما يعمد إليه الصيام أصلاً، تحقيق التقوى، وزراعتها في النفوس، مصداقاً لما ورد في ختام آيات

الصيام، قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

^{٢٦١} ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٦٣.

^{٢٦٢} عبید، منصور الرفاعي، القصص في الإسلام ودوره في القضاء على الجريمة، ط ١، ٢٠٠٤م. مركز الكتاب للنشر. ص ٤١٠.

والتقوى كلمة جامعة لكل خصال الخير، من فعل الطاعات، وترك المعاصي والسيئات، والحذر من مزالقي الشهوات، واتقاء الشبهات، وللصوم أثر واضح في الإعانة على ذلك، فإنه ينمي في النفس المراقبة لله عز وجل، ويلين القلب، ويذكره بالله، ويعرف العبد بنفسه، في ضعفه وحاجته، وفقره لربه، ويذكره بعظيم نعم الله تعالى عليه، ليشكره فيقر بفضلته.

ثالثاً: . تحقيق روح الإخلاص:

إن أعظم عبادة يتحقق فيها الإخلاص لله عز وجل، هي عبادة الصيام، لأنه لا رياء فيه، "ولا يجد الصائم في صومه ما يفتخر فيه على إخوانه المسلمين، فجميع الناس صائم، ولهذا أضاف الله تعالى الصيام إلى نفسه، في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال، يقول تعالى في الحديث القدسي: "كل عمل ابن آدم له، إلا الصوم فإنه لي، وأنا أجزي به"^{٢٦٣}.

رابعاً: تهذيب النفوس:

والصوم تربية للنفس، وتهذيب للأخلاق، ودافع إلى استقامة السلوك، وتنقية النفس من العيوب، لأن في الصيام منع للنفس عن شهواتها النفسية المحرمة، كالكبائر مثلاً، قبل أن يكون الصيام مجرد امتناع عن الأطعمة والأشربة والشهوات المباحة.

^{٢٦٣} البخاري، صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم، ح ١٨٠٥، ج ٢، ص ٦٧٣، ومسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الصيام، باب فضل الصيام، ح ١١٥١، ج ٢، ص ٨٠٧، وابن ماجه، الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت ٢٧٣هـ)، سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١٣٧٢ هـ، دار إحياء الكتب العربية، لصاحبها عيسى الباي الحلبي، القاهرة. كتاب الصيام، باب ما جاء في فضل الصيام، ح ١٦٣٨.

ولأجل هذا ورد عن النبي ﷺ قوله: " من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه" ^{٢٦٤}.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذه الفضيلة التربوية، التي تحقق للنفس زكاتها، وطهارتها وتنقيتها من الأخلاط الرذيلية والأخلاق الرذيلة، بقوله تعالى " لعلكم تتقون " "لأن الصوم فيه تزكية للبدن وتضييق لمسالك الشيطان" ^{٢٦٥}.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" ^{٢٦٦}.

خامسا: صناعة الإرادة، وتقوية العزيمة:

والصيام بما فيه، تطهير للروح، وتركية للنفس، وتهذيب للأخلاق، وكبت للشهوات، وتقويم للسلوك، يربي الإرادة الحرة القوية، والعزيمة الصادقة.

ف"الصيام تدريب على ضبط الأعصاب، بحيث يتمكن الصائم من تملك زمام نفسه، بكفها عن رغباتها وشهواتها، وتهذيب سلوكها، حتى يتمكن من قيادتها لما فيه خيرها وسعادتها، في الدنيا والآخرة، ويتعد عن أن يكون إنسانا بهيميا لا يتمكن من منع نفسه عن لذاتها وشهواتها لما فيه مصلحتها" ^{٢٦٧}.

^{٢٦٤} البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به، ح ١٨٠٤، ج ٢، ص ٦٧٣، وأبو داود، سنن أبي داود، كتاب الصيام، مرجع سابق، باب الغيبة للصائم، ح ٢٣٦٢، ج ٢، ص ٣٠٧، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، مرجع سابق، باب ما جاء في الغيبة والرفث للصائم، ح ١٦٨٩، ج ١، ص ٥٣٩.

^{٢٦٥} ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٦٣.

^{٢٦٦} وجاء، أي وقاية، ينظر البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، اب قول النبي ﷺ: من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ح ٤٧٧٨، ج ٥، ص ١٩٥٠، ومسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقست نفسه إليه، ح ١٤٠٠، و أبو داود، الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٩ هـ)، سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، د. ط، ت، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان. كتاب النكاح، باب التحريض على النكاح، ح ٢٠٤٦.

^{٢٦٧} القصير، تذكرة الصوام، مرجع سابق، ص ١٥

ولا ننسى أن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدّم، فإذا ما صام، ضيق الصوم عليه مجاربه، فقطع عنه مداخله إلى النفس لإحداث الشرّ والإفساد، فتقوى إرادته لفعل الخير والمعروف..

"وفي الصوم تعويد المسلم على الصبر والتحمل، وهو بهذا يُعدُّ الإنسان إعداداً كاملاً للصمود والتصدي لأحداث الزمن ومشاكل الحياة، بما فيها من أزمات ومحن"^{٢٦٨}.

سادساً: ترقيق القلوب، وتحقيق التآلف والتراحم:

الصيام يفتح على المسلم آفاق الشعور مع الآخرين، وتلمس آلامهم وحاجاتهم، وخاصة مع الفقراء والمحتاجين، الذين تمر بهم الأيام ولا يجدون ما يقيمون به أصلاهم، كل هذا بسبب ما يسببه الصيام للمسلم من إذكاء الشعور مع الآخرين، بعد إفاضة معاني خشية الله تعالى في القلب.

"والصائم إذا ما أحسّ بالجوع والعطش، يتذكر أنّ له إخوة لا يجدون الماء والطعام، فيدفعه ذلك إلى العطف والإحسان إليهم، وهذا فيه من التجاوب في الشعور والوجدان بين الأغنياء والفقراء، وبين الأقوياء والضعفاء، فكان هذا التجاوب لا بدّ منه لإقامة مجتمع متماسك متراحم"^{٢٦٩}.

والناظر إلى هذا الشهر العظيم، يجد أنّه مدرسة تربوية تغرس في وجدان المسلم، أنّه جزء من كل، فهو فرد من أمة، والإسلام وحدّ مشاعرهما، وساوى بين أبنائها، غنيهم وفقيرهم.

"وقلوب المسلمين في شهر رمضان تتلاقى في جوٍّ من الطهر والتقاء.. وتلتئم الصُّفوف، وتتوحد الجماعة، ويصبح المسلمون بسبب ذلك كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.. لأنّ المسلمين في شهر رمضان بذلوا المعروف، وأعطوا المحروم، وأطعموا الجائع، وكسوا العاري، وآووا الغريب، وقدموا الدواء للمريض، وتعاونوا على البرّ والتقوى"^{٢٧٠}.

^{٢٦٨} أبو عجوة، المجتمع الإسلامي وآدابه، مرجع سابق، ص ٤٠٩.

^{٢٦٩} المرجع السابق، ص ٤٠٩.

^{٢٧٠} ينظر أبو عجوة، المجتمع الإسلامي وآدابه، مرجع سابق، ص ٤٠٩.

المبحث الرابع:

الفضائل التربويّة في الحج:

الحج، من أركان الإسلام، هو الركن السادس منه، أوجبه الله تعالى بحق القادر عليه، في العمر مرة. "والحج في اللغة القصد، وشرعا: قصد البيت الحرام، لأداء أفعال الحج، من طواف وسعي، ووقوف بعرفة، وسائر المناسك، استجابة لأمر الله وطلباً لمرضاته.. وهو فرض بالكتاب والسنة، وإجماع الأمة"^{٢٧١}.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ

﴾ [آل عمران: ٩٧].

يبين الله تعالى، أن الحج فرض واجب لله على من استطاع من أهل التكليف السبيل إلى حج بيته الحرام الحج إليه..

وأن من جحد ما ألزمه الله من فرض حج بيته، فأنكره وكفر به، فإن الله غني عنه وعن حجه وعمله، وعن سائر خلقه من الجن والإنس"^{٢٧٢}

وللحج ما لا يخفى من الفضائل التي تنعكس إيجاباً على أفراد الأمة وجماعاتهم، فهو ليس مجرد رحلة إلى هذه البقاع المقدسة، التي تهفو إليها قلوب المؤمنين فقط، بل هو في أساسه رحلة إيمانية، مليئة بمعاني

^{٢٧١} عاشور، الفقه الميسر، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٠١.

^{٢٧٢} ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٨٦، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج ٤،

الكمال الإيماني، والرقى الروحي، والسمو الأخلاقي. ولعلنا نفصل القول في هذه النقاط على الشكل الآتي:

أولاً: التحقق بالتقوى:

لا شك أن أعظم حكمة تشريعية، بل أعظم فضيلة تربية للحج، هي تحقق المسلم بتقوى الله عز وجل، كما قال تعالى ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي

الْأَلْبَابِ ﴿ [البقرة: ١٩٧]

فقوله تعالى: " ﴿ الْحَجُّ أَشْهُرٌ ﴾ أي وقته . ﴿ مَّعْلُومَةٌ ﴾ معروفة وهي : شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة، وبناء عليه، فالمراد بوقته وقت إحرامه ، أو وقت أعماله ومناسكه ﴿ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ ﴾ فمن أوجبه على نفسه بالإحرام ، أو بالتلبية، أو سوق الهدي لزمه الإتمام . ﴿ فَلَا رَفَثَ ﴾ فلا جماع ، أو فلا فحش من الكلام ﴿ وَلَا فُسُوقَ ﴾ ولا خروج عن حدود الشرع بالسينات وارتكاب المحظورات . ﴿ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ ﴾ ولا مرء مع الخدم والرفقة . ﴿ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ ﴾ من أنواع الخير والطاعات والقربات . ﴿ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾ وتزودوا لمعادكم التقوى فإنه خير زاد ﴿ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ فإن قضية اللب خشية الله وتقواه ، حثهم على التقوى ثم أمرهم بأن يكون المقصود بما الله تعالى فيتبرأ من كل شيء سواه^{٢٧٣} .

^{٢٧٣} ينظر البيضاوي، أنوار التنزيل، مرجع سابق، ج٥، ص٩٠.

وهكذا يرتفع شعور المسلم مع الله تعالى، كلما تحلى بالتقوى، في ميدان شعائر الله، والتي هي بحد ذاتها ترفع من شعور المسلم تجاه ربه ودينه.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

ففي هذه الآية، قال ابن عباس رضي الله عنهما: في قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُعْظِمِ شَعْبِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾... ﴿شَعْبِيرَ اللَّهِ﴾ البدن والهدي، وأصلها من الإشعار، وهو إعلامها ليعرف أنها هدي، وتعظيمها: استحسانها. وقيل ﴿شَعْبِيرَ اللَّهِ﴾ أعلام دينه، ﴿فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ أي: فإن تعظيمها من تقوى القلوب، أي علامة على تقوى القلوب^{٢٧٤}.

ومن هنا يدخل فيها كل ما يحقق الشعور بالله عز وجل، من شعائر الأزمنة والأمكنة، كمقام إبراهيم عليه الصلاة والسلام، والمشعر، إضافة للشعائر الفعلية، وهي العبادات، والشعائر القولية، وهي الأذكار، وعلى رأسها ذكر الله عز وجل.

ثانياً: تعليم الصبر والجهاد:

وفي الحج يتعلم المؤمن الجهاد والمثابرة، وتحمل المصاعب والشدائد.. "فالحج بمثابة معسكر تدريبي رباني على الجهاد في سبيل الله تعالى^{٢٧٥}."

إضافة لما في السفر الطويل من المشقات، التي يتعود فيها المسلم الصبر على ما يلاقيه من مشقات الحياة.

^{٢٧٤} ينظر الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج ٣، ص ٣١٧-٣١٩.

^{٢٧٥} أبو عجوة، المجتمع الإسلامي وآدابه، مرجع سابق، ص ١٤٩.

ثالثا: التحقق بالتوبة التصوح:

فضلا عن أن الحج عبادة روحية، هو بجد ذاته محطة لتنقية الذنوب، وغسلها، وإضفاء لمعاني الطهر على النفس المؤمنة، وخاصة عندما يلبس المسلم لباس الإحرام، الذي يدل على هذا النقاء، والذي يشير إليه قوله ﷺ: "من حج ولم يرفث ولم يفسق، ولم يصخب رجوع كيوم ولدته أمه" ^{٢٧٦}. فهو يعيد الإنسان كما خلقه الله تعالى بلا أخطاء، ويمسح ذنوبه بهذه الفريضة العظيمة.

رابعا: التقرب إلى الله بمزيد الطاعات والعبادات:

إن العبد متى ما زرعت في نفسه تقوى الله عز وجل وخشيته، أحبه وخافه أطاعه، "وبالاستقامة على منهجه، تمذب نفسه ويحسن خلقه، وينافس في الخيرات والمبرات. فعندما يحضر المسلمون إلى مكة، يشعرون أنهم وفد الله، وضيوف الرحمن على مائدته الروحيّة، على تقوى من الله تعالى، ويشعرون وهم في المناسك، أنهم أقرب إلى الله من أي مكان آخر، وهذا يجعلهم يتقربون إلى الله تعالى بمزيد الطاعات والذكر، يحسنون دعاءهم، ويخلصون في الشّعائر" ^{٢٧٧}.

خامسا: التحلي بحسن الخلق:

"إن ارتباط المسلم بعبادة الله تعالى وشعائره، يغرس في نفسه الشعور بالمسئولية الأخلاقية، ويقظة الضمير، وهذا ما يؤدي بطبيعة الحال إلى حسن الخلق" ^{٢٧٨}.

^{٢٧٦} البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور، ح ١٤٤٩، ج ٢، ص ٥٣٥، والنسائي، سنن النسائي، مرجع سابق، ح ٢٦٢٧، ج ٥، ص ١١٤. عن أبي هريرة رضي الله عنه.

^{٢٧٧} أبو عجرة، المجتمع الإسلامي وآدابه، مرجع سابق، ص ٤١٥. وخالد، عمرو، عبادات المؤمن، ط ٣، ٢٠٠٣م. دار المعرفة، بيروت، لبنان ص ١٤٩.

^{٢٧٨} ينظر د. زقزوق، مقدمة في علم الأخلاق، ط ١٩٨٤ م. الدار الإسلامية للطباعة والنشر، ص ١٢٣.

وقد كان الرسول ﷺ يوصي أصحابه دائما بضرورة التحلي بحسن الخلق في حجهم، ويشيرهم على ذلك بالأجر العظيم، كما مر قوله ﷺ: "من حج ولم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه" ٢٧٩.

سادسا: تحقيق التعاون، والتكافل الاجتماعي، والعلمي، والاقتصادي:

"إن قيام موسم الحج على نظام جماعي، وإيجابه أن يكون كذلك، لم يكن عبثا، وإنما مفاد الأمر، أن الحج عبادة اجتماعية، تري الحجاج كلهم، أنهم متعاونون متحابون، متكاتفون، متكافلون، كيف لا وقد تقاربت أفكارهم واتحدت مشاعرهم..

.. فالحجاج وهم يتقربون إلى الله تعالى بالذبائح، من الإبل والبقر، والضأن، والمعز، وبقدمونها قربانا إلى الله تعالى، ثم يأكلون منها، ويطعمون البائس الفقير، يسدون حلة المحتاجين، ويحققون بعضا من كفايتهم، ويحصل لهم بذلك ثواب طاعة الله ٢٨٠.

قال تعالى: ﴿ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا

صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ

[الحج: ٣٦]

فللحج فضله التربوي العظيم في تحقيق الإخاء الإيماني، وجمع كلمة المسلمين "فالحجاج إذا جاؤوا مكة من أوطانهم المختلفة، تعارفوا وتآخوا، ونشأت روابط المحبة بينهم، فغدوا قلبا واحدا ويذا واحدة. ٢٨١.

٢٧٩ البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الحج، باب الحج المبرور، ح ١٤٤٩، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، مرجع سابق، باب فضل الحج والعمرة، ح ٢٨٨٩.

٢٨٠ ينظر مجموعة مؤلفين، كتاب وزارة التربية والتعليم، فتح الإسلام للصف الأول الثانوي ط ١٩٧٢م، عمان، المملكة الأردنية الهاشمية ص ٣٢.

٢٨١ أبو عجوة، المجتمع الإسلامي وآدابه، مرجع سابق، ص ٣١.

"وفي الحج يجتمع المسلمون على حلّ مشاكلهم، ويتناصحون، ويأتمرون في مصالحهم، ويتحدون على نصرة دينهم وبلادهم" ^{٢٨٢}.

"وإن مكة في أيام الحج يمكن أن تكون بمثابة مؤتمر اقتصادي واجتماعي للمسلمين، يتناولون فيه شؤون التجارة والصناعة، والتعليم، وتهذيب العادات والأخلاق للفرد والأسرة والمجتمع، وبهذا يرتقي شأن الأمة الإسلاميّة في كافّة أقطارها" ^{٢٨٣}.

ولا ننسى أن موسم الحج فيه "توجيه الدعوة لتحمل أعباء الدعوة الإسلامية بصدق، فالعلماء والدعاة، حينما يقفون وقفة عرفة، متذكّرين موقفه العظيم ﷺ، وقد أتم رسالته على وجهها الأكمل" ^{٢٨٤}.

سابعا: تذكّر اليوم الآخر:

إن موسم الحج، وما خصص له من جو روحاني مطلق، فيه يحظر على المسلم كثيرا من المحظورات التي كان من قبل الموسم قد ألفها واعتادها، من اهتمام بالمظهر والأناقة والطيب، والثياب، ليوجه المسلم توجيهها صادقا إلى مولاه عز وجل، أساسه تغليب الروحانيات على الماديات، ثم تذكّر اليوم الآخر.

ف"إن الناظر إلى حجاج بيت الله الحرام، وكذا عماره، حيث الزحام الشديد، في لباس شبه عريان، متجردين من ثياب الملك والإمارة، والغنى، والجاه، والفقير، ويلبسون ثياب الإحرام البيضاء، بلون واحد، وهيئة واحدة، تتناكر فيها المراتب، وتتوارى الدرجات" ^{٢٨٥}. يذكره هذا الموقف بيوم الحساب، يوم العرض على الله تعالى.

^{٢٨٢} ينظر العجوز، مناهج الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٠٤.

^{٢٨٣} مجموعة من المؤلفين، فحج الإسلام، مرجع سابق، ص ٣١.

^{٢٨٤} أبو عجوة، المجتمع الإسلامي وآدابه، مرجع سابق، ص ٤١٦.

^{٢٨٥} ينظر المرجع السابق، ص ٤١٦.

" ولهذا، ففي الحج استشعار حقيقي لمشاهد من يوم القيامة، وكيف أن الأذان بالحج يشبه النفخ في الصور، والكل في خشية ووجل من الله تعالى، طمعا في المغفرة والثواب والصفح من الله تعالى"^{٢٨٦}

ومن هنا، فجميع ما شرعه الله تعالى من أحكام، جاء ليحقق مصالح العباد، الحسية والمعنوية، الظاهرة منها والباطنة، في كل شأن من شؤون حياتهم المختلفة، سلوكا بهم إلى الكمال التربوي المنشود.

^{٢٨٦} خالد، عمرو، عبادات المؤمن، مرجع سابق، ص ١٤٩.

الفصل الثالث:

القضايا الاجتماعية

وآثارها التربوية:

الفصل الثالث: القضايا الاجتماعية، وآثارها التربوية:

ويشتمل على تمهيد، وأربعة مباحث:

المبحث الأول: وصايا الآباء للأبناء.

المبحث الثاني: تربية الأبناء.

المبحث الثالث: بر الوالدين.

المبحث الرابع: صلة الرحم.

المبحث الخامس: الإحسان إلى أصناف متعددة من المجتمع:

الجيران، الموالي، عامة المسلمين، الذميين.

تمهيد:

عني الإسلام بإقامة الروابط، والعلاقات الإنسانية، والصلات الوثيقة بين أفراد المجتمع عناية بالغة، والتي تتعدى صورها بتعدد صور الحياة في مجالها المختلفة..

و"لكل صورة حيوية في الإسلام أدب: كعلاقة الآباء بالأبناء، وعلاقة الأبناء بالآباء، وعلاقة الأقرباء، وعلاقة الجار بجاره، وعلاقة الأخ المسلم بأخيه المسلم، وعلاقة الأمم بأفراد الشعوب بعضهم ببعض"^{٢٨٧}.
والذي يبحث في جملة الآداب، سواء في القرآن الكريم أو السنة المطهرة، يجد أن القرآن الكريم قد راعى هذه الآداب، وفصل لكل صنف آدابه، لما لها من آثار تربوية إيجابية تعود على المجتمع بأسره..

إضافة لما أرساه الإسلام من أحكام دقيقة في التعاملات المالية، رفعا للخرج، وتيسيراً للتعامل فيما بين المسلمين،.. فـ"أحل الله البيع وحرم الربا، وأمر بالكسب الطيب ونهى عن الكسب الخبيث، وأكد على عدم أكل مال الغير أو الاعتداء عليه بسلب ما يملك وعدم الأخذ منه إلا حال الإذن والرضا.. كما تضمن منهج القرآن الكريم أخلاقاً سامية في المعاملات، كالأمر بأداء الأمانات إلى أهلها"^{٢٨٨}.

وللحديث عن أهم الفضائل التربوية، المتعلقة بركن القضايا الاجتماعية، نبدأ بمبحث وصايا الآباء للأبناء، فيإلى هناك.

^{٢٨٧} ينظر حوى، سعيد، المستخلص في تزكية الأنفس، د.ط،ت، دار عمار، بيروت، ص ٤٩٧.

^{٢٨٨} ينظر الغانمي، يلغيت بن أحمد بن عبد الله، منهج التربية الاجتماعية في القرآن الكريم، د.ط،ت، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في كلية التربية، بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، د.ط،ت، ص ٦٢.

المبحث الأول:

وصايا الآباء للأبناء:

ذكر القرآن الكريم كثيرا من الوصايا، والتي ما جاء بها إلا للتذكير وأخذ الدروس والعبر، وخاصة في مجالات التربية، بجميع صنوفها وأنواعها.

ومن جملة تلك الوصايا التي قصها القرآن الكريم، وصايا الآباء للأبناء، وكان أكثر ما برز منها، وصية لقمان الحكيم لولده.

والمشهور عن جمهور المفسرين، أنه كان حكيما وليا ولم يكن نبيا^{٢٨٩}، وأثنى عليه القرآن الكريم، وحكى من كلامه فيما وعظ به ولده الذي هو أحب الخلق إليه، وأشفق الناس عليه، فكان منه :

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ

اللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٣﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يُعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ

^{٢٨٩} قال ابن وهب أخبرني عبد الله بن عياش القتيبي عن عمر مولى غفرة قال : وقف رجل على لقمان الحكيم فقال : أنت لقمان، قال : نعم قال : فأنت راعي الغنم الأسود قال : أما سوادى فظاهر فما الذي يعجبك من امرئ قال : وطء الناس بساطك وغشيتهم بابك ورضاهم بقولك قال : يا ابن أخي إن صنعت ما أقول لك كنت كذلك قال : ما هو ؟ قال لقمان : غضي بصري ، وكفي لساني ، وعفة مطعمي وحفظي فرجي وقيامي بعدتي ووفائي بعهدي وتكرمتي ضيفي وحفظي جاري وتركي ما لا يعينني فذاك الذي صيرني كما ترى، ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٤، ص ٥٧، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ٦، ص ٣٣٣.

﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ

إِلَى الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي

الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنَىٰ

إِنَّمَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ

لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنَىٰ أَقِيمِ الصَّلَاةَ وَامْرًا بِالْمَعْرُوفِ وَإِنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ

مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾

وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ [لقمان: ١٢- ١٩].

والناظر إلى هذه الوصايا، يجد أنها قد اشتملت على كثير من الفضائل التربوية، وأبرزها ما يأتي:

الوصية الأولى: البناء العقدي للطفل وتصحيح العقيدة:

للتعليم دور مهم جدا في صقل شخصية الأبناء، وإن بناء العقيدة الإسلامية في نفوس الصغار، من

أوجب واجبات الآباء تجاه الأبناء، نظرا لأن حسن السلوك، إنما هو ترجمة حقيقية واقعية، لما حسنت

زراعته في الوجدان، وانعقد عليه القلب من قيم ومبادئ وأخلاق.

ولذلك كانت أول وصية من لقمان الحكيم تجاه ولده، مرتبطة بالعقيدة، في أخص

موضوعاتها، وهو التوحيد، وإخلاص العبودية لله تعالى.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾

﴿[لقمان: ١٣]﴾

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيرها: "يوصي لقمان ولده الذي هو أشفق الناس عليه، وأحبهم إليه، فهو حقيق أن يمنحه أفضل ما يعرف. ولهذا أوصاه أولاً بأن يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئاً، ثم قال له محذراً: إن الشرك لظلم عظيم أي هذا أعظم الظلم"^{٢٩٠}.

وعن عبد الله رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] قلنا: يا رسول الله، أين لا يظلم نفسه؟ قال: "ليس كما تقولون.. ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ بشرك، أولم تسمعوا قول لقمان لابنه: ﴿يَبْنَى لَأَشْرِكَ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾"^{٢٩١}.

فالظلم هنا بمعنى الشرك، ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ أي لم يخلطوا إيمانهم بشرك.

الوصية الثانية: إحسان المعاملة:

جعل القرآن الكريم فئات من الناس أحق بالإحسان من غيرهم، وأولهم الوالدين، فهما أحقهم بالاهتمام لما لهم من الفضل العظيم على الولد.

ولقد أضاف الله تعالى الوصية بالوالدين إحساناً مع وصية لقمان لولده، في موضوع عبادة الله؛ مقرونة بالبر بالوالدين، وبيان حقهما على الولد، وتأكده وأمر بالإحسان إليهما حتى ولو كانا مشركين، ولكن لا يطاعان على الدخول في دينهما، حيث قال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ

حَمَلَتْهُ أُمُّهُ، وَهَنَّا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفَصَلَّهُ فِي عَمَامِينَ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِنْ

^{٢٩٠} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ٦، ص ٣٣٥.

^{٢٩١} البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب أحاديث الأنبياء، ح ٣١١٠.

جَهْدَاكَ عَلَيَّ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ

سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنِيبُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿لَقمان: ١٤-١٥﴾.

وما قرن الله تعالى بين عبادته في القرآن الكريم، ومن ثم عبادته، الأحق بالإحسان من جهة الفرد المسلم، إلا أن أحدهما مقرون بالآخر، فإن صلح أحدهما كان وسيلة إلى إصلاح الآخر، إضافة إلى أن " الوالدين هما سبب وجود الإنسان، ولهما عليه غاية الإحسان، فالوالد بالإتفاق والوالدة بالإشفاق" ^{٢٩٢}.

قال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ

أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿النساء: ٣٦﴾.

ويأمر الوالد ابنه بالإحسان كمبدأ من مبادئ الإسلام الكبرى، وفضيلة إنسانية عظيمة، توجه السلوك الاجتماعي وتحركه وتدفع الإنسان في تعاملاته مع غيره على أحسن ما يكون.

الوصية الثالثة: التحذير من عواقب الظلم، مع التذكير بمراقبة الله تعالى:

ومن وصايا لقمان الحكيم لولده، تقوى الله تعالى، في كل شيء، في العبادات، والمعاملات،

وكل شيء، فهو المطلع على كل شيء، وهو العليم الخبير، الذي دق علمه، حتى أحاط بالذرة.

قال تعالى: ﴿يَبْنِيْٓهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ

أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿لَقمان: ١٦﴾.

^{٢٩٢} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ٥، ص ٣٠٩.

"وهنا ينهاه عن ظلم الناس، ولو بحجة خردل، فإن الله يسأل عنها، ويحضرها حوزة الحساب،

ويضعها في الميزان، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضْعِفْهَا وَيُؤْتِ

مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]..

وأخبره أن هذا الظلم لو كان في الحقارة كالخردلة ولو كان في جوف صخرة صماء لا باب لها

أو غائبة ذاهبة في أرجاء السماوات والأرض، في اتساعهما وامتداد أرجائهما، فإن الله يأتي بها؛ لأنه لا

تخفى عليه خافية، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، ولهذا قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ

خَبِيرٌ﴾ أي: لطيف العلم فلا تخفى عليه الأشياء وإن دقت ولطفت" ٢٩٣

الوصية الرابعة: بناء الطفل عباديا، وتهديب نفسه على الحزم والصبر عليها:

وبعد وصية لقمان الحكيم المتسلسلة، والتي ابتدأت بتوجيه ابنه إلى الإيمان بالله تعالى، وأسمائه

الحسنى، وإخلاص العبادة له جل شأنه، ثم إحسان المعاملة، صار لقمان الحكيم يفصل لولده، أهم ما

يتعلق بجوانب العبادات والمعاملات بعد التوحيد وبر الوالدين، فيذكر من العبادات الصلاة، ومن الاهتمام

بحسن الصلوات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن الأخلاق الصبر، فيقول: ﴿يَبْنِي أَقْرِمَ

الصَّلَاةَ وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان:

١٧].

قال ابن كثير: ﴿أَقْرِمَ الصَّلَاةَ﴾ أي بحدودها وفروضها وأوقاتها ﴿وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنَّهُ عَنِ

الْمُنْكَرِ﴾ بحسب طاقتك وجهدك، والمعروف: ما استحسنته الشرع من الأقوال والأفعال، والمنكر: ما

استقبحه الشرع من الأقوال والأفعال ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ لأن الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا بد أن يناله من الناس أذى، فأمره بالصبر^{٢٩٤}.

وقوله: ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِمَّنْ عَزَمَ الْأُمُورِ﴾ أي الصبر على أذى الناس من عزم الأمور

وقيل: أمره بالصبر على شدائد الدنيا كالأزمات وغيرها وألا يخرج من الخزع إلى معصية الله عز وجل، وهذا قول حسن لأنه يُعم^{٢٩٥}.

قال القرطبي: "والظاهر — والله أعلم — أن قوله تعالى: إن ذلك يشير إلى إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى والبلاء وكلها من عزم الأمور"^{٢٩٦}.

ولا شك أن تعليم الوالد ولده على المداومة في الطاعات والعبادات، لهو دور كبير في ربطه بالعقيدة الإسلامية الصحيحة، وعلى رأسها الإيمان بالله عز وجل، واليوم الآخر، رجاء لما أعده الله تعالى للمحسنين، وخوفاً من عقابه الأليم بحق المفرطين، إضافة لما للعبادات من آثار تربوية عميقة، سبقت الإشارة إليها، وعلى رأسها الانتهاء عن الفحشاء المنكر.

الوصية الخامسة: بناء الطفل أخلاقياً:

ويأتي موضوع التربية الأخلاقية، في المرتبة الثانية، بعد التربية العقدية المرتبطة بالعبادة، فبعد أن يكون الوالد قد حافظ على المحرك العقدي، الدافع للقيم النبيلة الأخلاقية، المرتكزة على المسؤولية والخوف من الله تعالى، يأتي التوجيه الأخلاقي كعامل مساعد لصياغة الأخلاق في ثوبها الأصيل الذي ينبغي أن تكون عليه إذا صحّت العقيدة الإسلامية.

^{٢٩٤} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ٦، ص ٣٣٧.

^{٢٩٥} المرجع السابق، ج ٦، ص ٣٣٧.

^{٢٩٦} القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج ١٤، ص ٧٠.

ولهذا جاءت التوصية بالأخلاق، بعد ذلك التوجيه العقائدي المهم، في وصية لقمان لولده.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ

﴾ [لقمان: ١٨].

"الصَّعْرُ: الميل، وأصله داء يأخذ الإبل في أعناقها أو رعوسها حتى تفلت أعناقها من رعوسها.

فشبهه به الرجل المتكبر، والصَّعَّار هو المتكبر لأنه يميل بجده ويُعرض عن الناس بوجهه" ٢٩٧.

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ على هذا، أي لا تتكبر، فتحتقر عباد الله،

وتُعرض عنهم بوجهك إذا كلموك، كبراً عليهم وإعجاباً بنفسك، بل أقبل عليهم مؤنساً مستأنساً، وإذا حدثك أصغرهم فأصغ إليه حتى يكمل حديثه، وكذلك كان النبي ﷺ.

وأما قوله: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ يعني: لست بسرعة مشيك تقطع البلاد في مشيتك

هذه، ولست بدقك الأرض برجلك تخرق الأرض بوطنك عليها ولست بتشاخك وتعاظمك وترفعك تبلغ الجبال طولا فاتدد على نفسك فلست تعدو قدك" ٢٩٨.

بل أمره بالقصد بالمشي والاعتدال فيه في قوله: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ

أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [لقمان: ١٩].

قال القرطبي: "لما نهاه عن الخلق الذميمة، رسم له الخلق الكريم الذي ينبغي أن يستعمله فقال: ﴿

وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ أي توسط فيه، لا تبتاطأ مفرطاً ولا تسرع إسراعاً مفرطاً، إذ القصد: ما بين

الإسراع والبطء" ٢٩٩.

٢٩٧ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج ١٤، ص ٦٧.

٢٩٨ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ٦، ص ٣٣٧. والمرجع السابق، ج ١٤، ص ٦٧.

٢٩٩ ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج ١٧، ص ٧٠.

وقوله: ﴿وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ أي انقص منه، أي لا تتكلف رفع الصوت وخذ منه ما

تحتاج إليه؛ فإن الجهر بأكثر من الحاجة تكلف يؤدي، والمراد بذلك كله التواضع^{٣٠٠}.

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ أي أقبحها وأوحشها.

وهكذا"يحذر سبحانه وتعالى على لسان لقمان الحكيم من تصعير الخد إي إمالته للناس كبراً عليهم

وإعجاباً واحتقاراً لهم ، ثم يدلهم على طريق الخلق القويم وهو القصد في المشي إي التوسط فيه بين

الإسراع والبطء وكذلك غض الصوت إي إنقاصه بحيث لا يتكلف رفع الصوت^{٣٠١}.

والخلاصة، أن وصايا لقمان لابنه، هي وصية والد لولده، مشتملة على مجمل محاور الدين

المفصلية، وعلى رأسها الأمر بالتوحيد، والنهي عن الشرك والظلم، والقيام بأداء العبادات، والإحسان في

صنوف المعاملات، وتهذيب النفس، والتحلي بالأخلاق، والامتناع عن النقائص المخلة بالآداب.

وما ضرب الله سبحانه وتعالى هذه القصة، إلا لتكون مثالا عمليا، وتطبيقا واقعيا على الأسلوب

الذي ينبغي أن يتخذه الوالد تجاه ولده، وليعلم أنه "مسؤول بالدرجة الأولى عن كل تقصير ييدر من

الأبناء أو انحراف يقعون فيه ، كما أنهم مجزيون مثل أحورهم عن كل بر يتصفون به وعلى صالح

يعملونه ..

ومسؤولية الأب عن أولاده تعتبر أول حلقة في سلسلة المسؤوليات التي أقام الله المجتمع الانساني عليها

ولذلك فاتها أهم وأخطر حلقة فيها على الاطلاق^{٣٠٢}.

^{٣٠٠} هو ثوب، يلبس ما بين السرة إلى العانة، والمؤذن هو أبو مخذولة، سمرة بن معير. وينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع

سابق، ج ١٧، ص ٧٠.

^{٣٠١} القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج ١٤، ص ٧١

^{٣٠٢} البوطي، د. محمد سعيد رمضان، من اسرار المنهج الرباني، عرض لطائفة من أهم الأحكام الشرعية، مقرونة ببيان أهم آثارها

الاجتماعية، (من فروع المعاملات) في تربية الأولاد.

ص ١٢.

ومن الخطأ أيضاً ما يتراءى لبعض الآباء — بدافع من الشفقة — من أن الزمن، على امتداده، سيهيء للطفل ظروف الصلاح والاستقامة، فحمله ذلك على التهاون في تربيته واهمال شأنه، حتى إذا اشتد عوده واستصلبت نفسه لم يبق من سبيل في يد الأب أو غيره لمعالجة أمره أو تقويم وضعه . ولا يجديه اطلاقاً — عند الله عز وجل — أن يعتذر اذ ذاك بأنه لا يقوى على اصلاحه فان الله عز وجل لم يكلفه بأن يفعل ذلك عندما أصبح رجلاً سويّاً يشركه في النظر والبحث ويتقدمه في القوة والجسم . وانما كلفه بذلك عندما سلمه اياه مطبوعاً بفطرة الاسلام منظوياً على كيان لدن خاضع لكن تحويل أو توجيهه . وكان الطفل بذلك أخطر أمانة في يده . فلما ضيعها باهماله كن ذلك منه أخطر مسؤولية يجاسبه الله عليها يوم القيامة^{٣٠٣} .

^{٣٠٣} البوطي، من أسرار المنهج الرباني، مرجع سابق، ص ١٢ .

المبحث الثاني:

تربية الأبناء:

إنَّ من أوجب الواجبات بحق الآباء تجاه أبنائهم، تعليمهم دستور حياتهم، الذي سيثبون عليه في المستقبل، وخاصة ما في الكتاب العزيز، وشروحه من السنة، ليستقيم نظرهم وفكرهم، ويعتدل منهجهم.

كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾

[الأنفال: ٢٤].

وهنا "يطلب الله تعالى من عباده الاستجابة لما فيه صلاحهم في دينهم ودنياهم ومعادهم".^{٣٠٤}

ولا تخفى أهمية التوجيه العقدي للأبناء لتثبيت فطرة الإيمان والحفاظة عليها، ومن ثم ترسيخ دعائمها بحسن السلوك التعبدي أولاً، ومن ثم حسن السلوك الأخلاقي، وتلك مسؤولية عظيمة جعلها الله تعالى في رقبة الآباء، حتى يربوا أبنائهم التربية الإسلامية الصحيحة القائمة على الفضائل، والقيم المثلى، والأخلاق الحميدة.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا فُؤَا أَنفُسِكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ

غَلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦].

فقد أمر الله تعالى الآباء بالعمل بطاعة الله، والالتقاء عن معاصي الله، وأن يؤدبوا أبنائهم ويعلموهم

ذلك، حتى ينجيهم الله من النار.

^{٣٠٤} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ٤، ص ٣٣.

ولهذا قال مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ قال: اتقوا الله، وأوصوا أهليكم

بتقوى الله..

وبيانه كما قال قتادة: يأمرهم بطاعة الله، وينهاهم عن معصية الله، وأن يقوم عليهم بأمر الله،

ويأمرهم به ويساعدهم عليه، فإذا رأيت لله معصية، زجرهم عنها^{٣٠٥}.

ومتى ما تربي الابن تربية إسلامية صحيحة على مراد الله تعالى، ورسوله ﷺ أمر ذلك كثيرا من الفوائد

الإيمانية والشرعية، والتي سبق وأن ألقينا لبعض منها، ولكن نأتي بها على التفصيل، على الشكل الآتي:

أولا: توفير البيئة الإسلامية الصحيحة.

ثانيا: التعليم وممارسة الأحكام الشرعية.

ثالثا: التحلي القيم والمبادئ الأخلاقية.

وإلى هذه المطالب بالتفصيل.

المطلب الأول: توفير البيئة الإسلامية الصحيحة.

إن أهم ما يتعلق بهذا الموضوع، هو تركيز الإسلام على المحافظة على الفطرة السوية الأصيلة، التي

صيغ الله الناس عليها في أول نشأتهم، ومن لحظة ولادتهم، وهي الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها.

قال تعالى: ﴿صَبَّغَهُ اللَّهُ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ صَبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَبِيدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]

قال مجاهد رحمه الله: ﴿صَبَّغَهُ اللَّهُ﴾ هي فطرة الله التي فطر الناس عليها^{٣٠٦}.

^{٣٠٥} الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج ١٠، ص ٤٩١

^{٣٠٦} المرجع السابق ج ١، ص ٥٧٠.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه"^{٣٠٧}.

ولذلك فالبيئة المتمثلة بالأسرة، إن لم تقم على أصول الإسلام، وقواعده الحنيفية، لها دور خطير في تغيير نفسية الطفل وما زرع فيه من فطرة التوحيد، وذلك لشدة انسجام الولد مع أبيه، فهما عماد التربية، و"الأم هي أقرهما، فحضانها كان له وهاد، وثديها كان له سقاء، وحنانها كان له شفاء، وعطفها كان عليه دواء، والأب المثل والقُدوة.. والولد ابن أبيه، يسير على هديهما، ويتأثر بطريقتهما..

أما إن كان الأبوان مسلمان، ينشأ الولد على منهج إسلامي سوي، قائم على الالتزام المنضبط والثابت بالإسلام ومقتضياته"^{٣٠٨}، يمدد بالفضائل التربوية الإسلامية، أولاً بأول، حسب جهد الأبوين. ولهذا "ركز الإسلام في توجيهاته الأسرية على تأمين جو تربوي إسلامي.

فقد، وجه الإسلام أن تقوم الأسرة المسلمة على أسس موضوعية ثابتة، لا تطغى عليها العاطفة والهوى، وكان أول ما يتعلق بهذا الشأن، أن "بين الإسلام الصفات التي يستحسن مراعاتها عند اختيار الزوج"^{٣٠٩}، وذلك من التدابير المسبقة لتأمين بيئة تربوية مناسبة للأبناء.

ولهذا كان من حق الأبناء في المقام الأول، أن يكون الأب قد أحسن اختيار زوجته، بمعنى أن تكون ذات دين وخلق.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: "تنكح المرأة لأربع، لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك"^{٣١٠}.

^{٣٠٧} مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، ح ٢٦٥٨.

^{٣٠٨} نصار، أسعد، إصلاح الأمة في ضوء الكتاب والسنة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية- المجلد ٢٣- العدد الأول-٢٠٠٧، ص ٥٠٤.

^{٣٠٩} ينظر الشيباني، محمد عمر، من أسس التربية الإسلامية، ط ١٩٧٩، ص ٥٠٤.

^{٣١٠} البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب النكاح، باب الأكلفاء في الدين، ح ٤٨٠٢، ج ٥، ص ١٩٥٨، ومسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، باب استحباب نكاح ذات اليد، ح ١٤٦٦، ج ٢، ص ١٠٨٦، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب النكاح،

فعلى المسلم أن يختار لأبنائه الأم المسلمة التي تعرف حق ربها، وحق زوجها، وحق ولدها، والأم التي تعرف رسالتها في الحياة، الأم التي تغار على دينها، وعلى سنة نبيها ﷺ، وبعد ذلك اتباع السنة في استقبال المولود، من رفع الأذان في أذن المولود اليمنى والإقامة في أذنه اليسرى وتحنيكه بالتمر والدعاء له وحلق رأسه والعقيقة عنه وتسميته بأحب الأسماء وختانه.

كل هذا الاهتمام من قبل الإسلام بحق الولد، إضافة للمحافظة على الفطرة السوية، هو توفير الجو التربوي الذي يحفظ الشخصية المسلمة، حتى لا تنزل زللاً فكرياً أو نظرياً أو عملياً.

وإن مما أثبتته العلم اليوم، تأثر الطفل بمزاج الأم في مرحلة الحمل، وما كانت مشغولة به في تلك المرحلة، فإن كانت الأم مثلاً مشغولة بالقرآن تلاوة وحفظاً، خرج الابن على غريزة التدين التي يتوارثها من الأبوين، ولذلك أيضاً "يؤثر موضوع اختيار الأم قبل الإنجاب في البيئة الحاضنة للأبناء وراثته قبل البدء بعملية التربية المكتسبة، والتي الفعل فيها للأبوين بشكله المباشر، ثم ما يزرعونه في نفوس أبنائهم من حب الله ورسوله ﷺ ودفع إلى تقلد أحكام الإسلام في السلوك"^{٣١١}.

المطلب الثاني: التعليم وممارسة الأحكام الشرعية.

سبق وعرفنا، أن زراعة القيم والمبادئ الإسلامية، المستمدة من العقيدة الإسلامية، لا تبدأ من لحظة خروج الطفل من بطن أبيه، بل من قبل ذلك، من لحظة وجوده في بطن أمه، ولكن بعد خروج الولد إلى

باب تزويج ذات الدين، ح ١٨٥٨، و"ترب" معناها افتقر، كأنه لصق بالتراب، ينظر الفيومي، المصباح المنير، مرجع سابق، ج ١، ص ٨٠.

^{٣١١} ينظر مهلهل، جاسم، الأهداف الرئيسية للدعاة إلى الله، مرجع سابق، ص ١٠٣، والأهدل، د. عبد الله، وسائل البناء، دار ابن حزم، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٥ م- ص ١١،

الدنيا، يطالب الأبوان بتعليم الولد، وخاصة العلم الشرعي، الذي لا يستغني عنه إنسان، وقدوتنا رسول الله

ﷺ فهو القائل: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: ١١٤].

وقوله ﷺ: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"^{٣١٢}

ويؤكد الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله بأن "حاجة الإنسان للعلم أكثر من حاجته للطعام والشراب"^{٣١٣}

ولهذا يطالب الأب بتعليم ابنه العقيدة الإسلامية الصحيحة بشكل مبسط، وكذلك نماذج من سيرة

الرسول ﷺ لما للتعليم بالقدوة من دور عظيم في نفوس الأبناء لمحاكاة النماذج الفاضلة التي يجوبونها، ثم

التعليم عن طريق الترغيب والترهيب عند تعليمهم أحكام الإسلام، وما فيها من حلال وحرام، حتى يوقظ

الآباء الضمير الأخلاقي عند أبنائهم، أو ينموه.

ولذلك "ينبغي مراعاة السلوك الحسن للمربي، حتى يكون قدوة، وينبغي للأسرة تعويد الطفل على

السلوك الحسن بنفسه دون تقليد، حتى يستطيع أن يواجه الحياة"^{٣١٤}.

ومتى وجد الآباء الصالحين، وهم القدوة لأبنائهم، انعكست أخلاقهم وسلوكياتهم الطيبة على أبنائهم،

وهذا هو الأساس، قبل أي توجيه وتربية وإرشاد، مع أن التربية والتوجيه والإرشاد من الأسس المهمة

والأصول الثابتة، ولكنها لا تعني شيئاً إن لم يكن الآباء أنفسهم متقلدين لكل ما يقولون.

ويأتي بعد التعليم بالقدوة في الأهمية، التعليم عن طريق الإرشاد.

وللتعليم بالإرشاد دور مهم لا يخفى في صقل شخصية الأبناء، ثم تربيتهم التربية الإسلامية المثلى،

ولذلك نلخص، أهم الأمور التي يحتاجها الأبناء، في موضوع التربية والتعليم، على الشكل الآتي.

^{٣١٢} صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، حديث ١٠٣٧.

^{٣١٣} ينظر مهلهل، جاسم، الأهداف الرئيسية للدعاة إلى الله: إصدار لجنة البحوث في مكتبة دار الدعوة بإشراف أحمد القطان، دار

الدعوة، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، ص ١٠٦.

^{٣١٤} مراد، د. مصطفى، خلق المؤمن، ط ٢، ١٤٣١ هـ، ٢٠١٠ م، ص ٤٩١.

أ — أن يعلمه والداه كتاب الله و ما يلزم من العلوم الضرورية^{٣١٥} :

فإن من أوجب الواجبات بحق الآباء تجاه أبنائهم، تعليمهم دستور حياتهم، الذي سيشتبون عليه في المستقبل، وخاصة ما في الكتاب العزيز، وشروحه من السنة، ليستقيم نظرهم وفكرهم، ويعتدل منهجهم.

كما قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

ب — أن يعلمانه أحكام الإسلام، ويدربانه على العبادات:

و ذلك حتى تتحقق الثمرة التربوية في ذلك، وهي تقلد أحكام الإسلام في السلوك.

ولتحقيق ذلك، يبدأ الوالد بتعليم ابنه أولاً كيفية الطهارة والوضوء، ثم الصلاة، وهكذا بالنسبة لباقي العبادات المختلفة، و"كل عبادة لها وظيفتها ودورها في بناء الشخصية المسلمة، ولا تغني عبادة عن أخرى، كذلك فإن العبادات وسيلة للارتقاء بالإنسان، وحمايته من غوائل الشيطان، وتشبيته على طريق الحق والإيمان، والسبب في ذلك: لأن العبادات هي التطبيق العملي للعقيدة، حيث تجعل الإنسان المسلم موصولاً بربه لا ينبعث منه إلا الخير ولا ينبض من قلبه إلا الإيمان"^{٣١٦}

وبهذا نعلم ما في العبادات من آثار تربوية، تعود بالإيجابية على نفسية الطفل وفكره وسلوكه، ونضرب

أمثلة لبعض الثمار التي يجنيها الأبوان، من جراء تعليمهما ابنهما أحكام الإسلام:

أ — الصلاة:

الصلاة، وقد أمر الله بها تخصيصاً، تنهى عن الفحشاء والمنكر، لما توقظه في نفس الطفل من

مراقبة، وتحبي فيه الوازع الإيماني، والضمير الأخلاقي.

^{٣١٥} الشهود، المهذب في الآداب الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٢٢.

^{٣١٦} ينظر حسنة، عمر عبيد، مقال لعلكم تتقون Compright@٢٠٠٧, www.islamicfinder.org, all rights

قال تعالى ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا

تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾ [العنكبوت: ٤٥]

ولهذا أمر الله تعالى بها الآباء، مؤكدا عليهم بحق أبنائهم، في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ

بِالصَّلَاةِ وَأَصْطِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَنُقِبَةُ لِلنَّفْوَى﴾ [طه: ١٣٢].

وقال ﷺ: "مروا أبناءكم بالصلاة لسبع سنين واضربوهم عليها لعشر سنين وفرقوا بينهم في المضاجع" ^{٣١٧}.

ومن ذلك تدريبه على الصوم، "وهذا من العمل المستحب إذ يرى جمهور العلماء أنه لا يجب على من

دون سن البلوغ ولكن يستحب للتمرين" ^{٣١٨}.

ب – الصيام:

ومن ثمرات تربية الأبناء على الصوم، بعد تعليمهم حكمه، أنه "يعد تمريناً له على العبادة، لكي يبلغ

وهو مستمر على العبادة والطاعة، ومجانبة المعصية وترك المنكر، وكذلك الأمر بالنسبة لسائر أنواع

العبادات الفرعية" ^{٣١٩}.

"وهذا جنباً إلى جنب، مع الغايات التي ينبغي للأب أن يزرعها في نفس الولد، ويحثه على تحقيقها،

كخدمة الدين، ومساعدة الفقراء المحتاجين" ^{٣٢٠}.

^{٣١٧} أحمد، مسند أحمد، مرجع سابق، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله تعالى عنهما .

^{٣١٨} الشهود، المهذب في الآداب الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٢٣.

^{٣١٩} البوطي، د. محمد سعيد رمضان، من اسرار المنهج الرباني، عرض لطائفة من أهم الأحكام الشرعية، مقرونة ببيان أهم آثارها

الاجتماعية، (من فروع المعاملات) في تربية الأولاد، ص ١٢.

^{٣٢٠} مراد، خلق المؤمن، مرجع سابق، ص ٤٩٣.

ومن أهم طرق التعليم أيضا، إضافة إلى التعليم بالقدوة، والتعليم المباشر، هو التعليم عن طريق الوعظ والإرشاد "بيان حقيقة الفضيلة، وأثرها، وبيان الرذيلة وسوء معبّتها حتى يرتدع الطفل بنفسه".^{٣٢١} قال تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

"فقد أمر الله تعالى في قوله: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ﴾ أي إلى طاعته، إذ طاعة الله موصلة إلى رضوانه وإنعامه، فهي سبيل الله ﴿ بِالْحُكْمَةِ ﴾ أي بالقرآن ﴿ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ وهي المقالة المحكمة الصحيحة، ذات الدليل الواضح الحق، ﴿ وَجَدِّ لَهُم بِآلَتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ أي بالمجادلة التي هي أحسن من غيرها"^{٣٢٢}.

ولكن قد يحتاج الأمر، إن لم تتشكل صورة المسئولية الدينية في نفس الطفل، والدافعة إلى التمثل بالأحكام الشرعية، نوع من التأديب بالعقوبة، ويقصد بها: مجازاة النتائج المترتبة على الأفعال، "وذلك بتشجيع السلوك الحسن، بمكافأة صاحبه، وتوبيخ صاحب السلوك السيء، وتأنيبه، وضربه، إن احتاج الأمر لذلك"،^{٣٢٣} بلا عنف، أو أذية .

"وقد استخدمه الرسول ﷺ، مع الثلاثة الذين خُلّفوا عن تبوك، حيث أمر بعدم الكلام معهم، خمسين يوما، مع بيان مغبة المعصية والسلوك القبيح، من سخط الله وحربه، مثل الذين يتعاملون بالربا"^{٣٢٤}.

^{٣٢١} مراد، خلق المؤمن، مرجع سابق، ص ٤٩١.

^{٣٢٢} الجزائري، أيسر التفاسير، مرجع سابق، ج ١، ص ٦٦٥.

^{٣٢٣} مراد، خلق المؤمن، مرجع سابق، ص ٤٩٢.

^{٣٢٤} المرجع السابق، ص ٤٩٢.

ج - تربية البنات على الحجاب:

تعودُ البنت على لبس الحجاب منذ الطفولة ليكون لها شرفاً وحفظاً، وصقلاً لقيم العفة والحياء. ويرى العلماء أن "تعود البنت على لبس الحجاب في سن السابعة قياساً على حديث الأمر بالصلاة. ومن فوائد الحجاب للبنات صيانتها والحفاظ على عفتها وشرفها، ويدخل في دائرة الحجاب إبعاد البنت عن الاختلاط بالأجانب" ٣٢٥.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْنَّ مِنْ جَلْبَابِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩].

د - تعلّم الأطفال آداب الاستئذان في الدخول:

ومن فضائل هذا التوجيه، ضبط النفوس عن الفضول، وتعليمهم الآداب، وتربية نفوسهم على مراعاة الحدود. وقد جاء هذا التوجيه في القرآن الكريم بأسلوب تربوي متدرج، فطلب من الأطفال وهم صغار أن يستأذنوا في ثلاث أوقات مهمة ٣٢٦:

الأول: من قبل صلاة الفجر، والثاني: وقت الظهر عند القبولة، والثالث: بعد صلاة العشاء. فإذا بلغ الأولاد سن البلوغ وجب عليهم الاستئذان في البيت للدخول على والديهم في كل وقت. قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٩].

٣٢٥ الشحود، المهذب في الآداب الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٢٣.

٣٢٦ المرجع السابق، ص ١٢٤.

المطلب الثالث: الآثار التربوية في التحلي بالمبادئ والقيم الأخلاقية:

تضمن منهج القرآن الكريم في تربية الأبناء، حثهم على القيم الأخلاقية الفاضلة، وزراعتها في نفوسهم، كالصدق، والأمانة، والرحمة، والتسامح، وغيرها، للرفي بالنشء الإسلامي، إلى أعلى المستويات، وصناعة جيل أخلاقي فريد، وصقل شخصيته حتى يكون مثالا لمجموع القيم والأخلاق التي لا يستغني عنها مجتمع من المجتمعات، وهذا في جانب، وفي جانب آخر أولى الإسلام التأكيد عليه في تحذير الأبناء من الأخلاق الرذيلة التي لا تليق. حتى تخلو البيئة من الآفات الاجتماعية، التي تسببها الشهوات، والتي تؤثر على البناء الأسري والاجتماعي، لتحقيق السعادة للجميع، عن طريق النهي عن سوء الظن، ومحاربة الغيبة والحسد، والتجسس على الآخرين، وكذا التنازب بالألقاب، والسخرية وغير ذلك.

وهذه المباحث مطروقة بشكل تفصيلي في الفصل التالي من هذه الرسالة بعنوان: الفضائل التربوية في القضايا الأخلاقية، والتي جعل الحديث فيها من جانبين: جانب يتضمن الدعوة إلى الأخلاق السوية، وجانب يتضمن النهي عن الأخلاق غير السوية، وكلها أيضا من مسؤوليَّة الآباء تجاه الأبناء. قال تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ

شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ [التحریم: ٦]

وهذه الآية جمعت كل الأدب اللازم للأولاد، وإن تربية الأولاد في صغرهم على مبادئ الدين الحنيف، وتعويدهم على مكارم الأخلاق، من أهم المسائل التي يجب على الآباء والأمهات أن يتنبأوا لها، وعلى المصلحين أن يعنوا بها وأن يعلموا أن عليها تدور حياة الأمة في مستقبلها، وعليها وحدها يتوقف رقيها في مدارج الرفعة والكمال، وما الأخلاق إلا بالتربية الصحيحة، وإن جميع ما نشكو منه اليوم، من فساد الأخلاق وانتشار المنكرات، وانتهاك المحرمات، وزيف في العقائد، وتهاون في تنفيذ أوامر الدين، إنما السبب في ذلك كله هو عدم المساس بالفضائل التربوية، التي تنتجها التربية الدينية .

المبحث الثالث:

بر الوالدين:

عقد الله سبحانه وتعالى رابطة العلاقات الإنسانية به جلّ شأنه، ومن ذلك قوله سبحانه:

﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ
وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ
اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

وجعل القرآن الكريم فئات من الناس أحق بالإحسان من غيرهم، وأولهم الوالدان، فهما أحقهم
بالاهتمام لما لهم من الفضل العظيم على الولد.

ولذلك أول ما ابتدأت به الآية الكريمة بعد الأمر بعبادة الله تعالى، هو موضوع بر الوالدين، كأساس
أصيل في حسن العلاقات الاجتماعية، والذي لا ينكر أحد كم له من الفضائل التربوية، التي يعيننا تلمسها،
من خلال الحديث ببعض التفصيل عن هذا الركن الهام.

يقول الله سبحانه وتعالى في آية أخرى، مفصلاً موضوع البر بالوالدين: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا

إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا

وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي

صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ عَفْوَراً ﴿٢٥﴾

[الإسراء: ٢٣-٢٥].

"ففي قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ بلفظ التنكير، دلالة على التعظيم، أي إحساناً عظيماً كاملاً، لأن إحسانهما إليك قد بلغ الغاية العظيمة، فوجب أن يكون إحسانك إليهما كذلك، ثم على جميع التقادير لا تحصل المكافأة، لأن إنعامهما على سبيل الابتداء، وفي الأمثال: "البادئ بالبر لا يكافأ"، فلا مكافأة ولا مساواة"^{٣٢٧}.

"ويتمثل الإحسان إلى الوالدين: ببرهما، والقيام بحقوقهما وتكريمهما، والالتزام بطاعتهما، واجتناب كل ما فيه إساءة لهما، وفعل ما يرضيهما"^{٣٢٨}، ولا سيما إذا ما وصلا إلى مرحلة يهن بها العظم، وتضعف بها القوى، فيكونان بأشد الحاجة إلى المعونة.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٣٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

والحكمة من أن الله سبحانه وتعالى خصَّ الإحسان في هذه الآية بحالة وصل الآباء إلى سن الشيخوخة؛ ذلك أن الله سبحانه وتعالى كان عليماً بما في الطباع من ملال الولد لهما عند دخولهما في السن، فأمر الإنسان في حق والديه بخمسة أشياء:

الأول: منها قوله تعالى ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ﴾ أي لا تضجر منهما.

وقيل: "لا تسمعها قولاً سيئاً حتى ولا التأفيف الذي هو أدنى مراتب القول السيئ"^{٣٢٩}.

^{٣٢٧} القيسي، العلامة الشيخ قاسم، الحديقة الندية في المواضيع التفسيرية، ط ١٩٤٠م. مطبعة التفيض الأهلية، بغداد. ص ١٥٥.

^{٣٢٨} ينظر خلاف، عبد الوهاب، رضا الوالدين، مجلة التربية الإسلامية، ع ٧، ص ٣، ص ٢٥.

^{٣٢٩} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٩٨.

الثاني: "قوله تعالى: ﴿وَلَا تُنهرُهُمَا﴾ أي "لا تنفض يدك عليهما، ولا يصدر إليك منهما فعل

قبيح" ٣٣٠.

وينبني على هذين التوجيهين، فضيلة استشعار قدر الوالدين، وتلمس مدى الإثم في إيذائهما بأي لون من ألوان الإيذاء، سواء بالقول أم بالفعل، فإذا كان مجرد قول "أف" وهي كلمة من حرفين، تعرض المرء لسخط الله، فما بالك بما فوقها، من النهر والزجر...

الثالث: قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ أي حسناً جميلاً طيباً ليناً، كما يقتضيه حسن

الأدب معهما" ٣٣١.

قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: هو أن يقول يا أبتاه، يا أماه. وقال عطاء رحمه الله: "هو أن يتكلم معهما بشرط أن لا يرفع بصره إليهما، ولا يشتد إليهما نظره؛ وذلك أن هذين الفعلين ينافيان القول الكريم؛ فقد أمر الله تعالى أن يقول لهما القول اللين، المشتمل على العطف والشفقة والاستمالة، ولا سيما عند الكبر؛ فإن الكبير يصير حاله كحال الطفل وأرذل، لما يغلب عليه من الخوف وفساد التصور، فإذا طلبت رعايته وغاية التلطف به في هذه الحالة، ففي غير هذه الحالة الأولى" ٣٣٢.

وينبني على هذا التوجيه إضافة إلى ما سبق، التأكيد على الإحسان إلى الوالدين، وهنا يذكر جانب الإحسان بالقول، وبعد هذه الآية، يذكر جانب الإحسان بالفعل، والتحلي بأحسن الأخلاق.

الرابع: قوله تعالى: ﴿وَخَفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ أي لا من أجل الامتثال للأمر

وخوف العار فقط، بل من أجل الرحمة لهما، والمقصود المبالغة بحسن التربية والتواضع. وفي هذا المقطع من

٣٣٠ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج٤، ص٢٩٨.

٣٣١ القيسي، الحديقة الندية في المواضع التفسيرية، مرجع سابق، ص ١٢٩.

٣٣٢ ينظر الزمخشري، محمود بن عمر، ٥٣٨ هـ. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ضبط: محمد عبد السلام شاهين، ط ١، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م، ج٢، ص٤٤٤، بيروت، دار الكتب العلمية. والقاسمي، الروضة الندية، مرجع سابق، ص ١٢٩.

الآية استعارة بليغة ؛ حيث " أن الطائر إذا أراد الطيران نشر جناحيه ورفعهما ليرتفع، فإذا أراد ترك الطيران، خفض جناحيه؛ فجعل خفض الجناح كناية عن التواضع واللين"^{٣٣٣}.

ولا يخفى ما في هذا التوجيه من استشارة مشاعر الرحمة الواجبة، والرأفة المؤكدة بحق الوالدين، في حالة ما إذا وصلا إلى سن الكبر، منبها على أن فعل القدر الواجب من الإحسان ينبغي أن يكون قائما على معان وجدانية، حتى يكون المرء صادقا في تعامله مع الوالدين، وهذا ما ظهر جليا في قوله تبارك وتعالى:

﴿ مِنْ الرَّحْمَةِ ﴾ أي من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما بكبرهما، وافتقارهما اليوم إلى من كان أفقر خلق الله إليهما بالأمس..

وإذا كانا كافرين، فله أن يسترحم لهما بشرط الإيمان، وأن يدعو الله لهما بالهداية والرشاد"^{٣٣٤}.

الخامس: قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَرْحَمُهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ هذه الجملة تأكيد لسابقتها، وأضافت

فائدة بيان؛ "أن هذه الحالة تقال في كبرهما عند وفاتهما"^{٣٣٥}.

وبنيت على فائدة توجيهية للابن، وهي أن "لا تكتفي برحمتك عليهما التي لا بقاء لها، وادع الله بأن

يرحمهما رحمته الباقية، واجعل ذلك جزاءً لرحمتها عليك في صغرك وتربيتهما لك"^{٣٣٦}.

وتختتم هذه الآية بقوله تعالى: ﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ

لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٥].

^{٣٣٣} القاسمي، الروضة الندية، مرجع سابق، ص ١٢٩.

^{٣٣٤} الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢٤٥.

^{٣٣٥} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٩٨.

^{٣٣٦} المرجع السابق، ج ٤، ص ٢٩٨.

وفي الآية كذلك تأديب وتأنيب للأولاد على تصفية النفس؛ إذ "إن عقوق الوالدين ليس له نتيجة

مرضية، فقال: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ﴾ من قصد البر إليهما وفاءً بحقوقهما وأداءً وامتثالاً لأمر

الله تعالى "٣٣٧".

وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ﴾ أي؛ قاصدين الصلاح والبر، ثم فرطت منكم في حال الغضب،

وعند حرج الصدر هنة تؤدي إلى أذاهما، ثم أبتهم إلى الله واستغفرت منها ﴿فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ

غَفُورًا﴾ أي؛ فإنه كان للتوابين غفوراً "٣٣٨".

وهكذا يتبين من هذه الآية، أن حق الوالدين على ولدهما؛ برهما، والإحسان إليهما، والقيام

بحقوقهما، وتكريمهما، والتزام طاعتهما، واجتناب كل فيه إساءة لهما، وفعل ما يرضيهما، فمن قام بهذا

استحق رضا الله عليه، ومعونته، وتوفيقيه، وإلا فإن من عق أباه أو أمه، وأهان أحدهما، ولو بكلمة؛ فقد

أساء إلى أحق الناس منه بالإحسان، وأهان أولى الناس منه بالتكريم والتقدير.

^{٣٣٧} المدرس، عبد الكريم محمد، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ط ١٩٨٦ م. دار الحرية للطباعة، بغداد.

ج ٥، ص ١٨٠.

^{٣٣٨} القاسمي، الروضة الندية، مرجع سابق، ص ١٣١.

المبحث الرابع:

صلة الرحم:

عني الإسلام بصلة الرحم وإيصال ما أمكن من الخير إليهم، ودفع ما أمكن من الشر عنهم.

ويقصد بمصطلح ذوي الأرحام: "جميع الأشخاص الذين بينهم قرابة، وهم نوعان: رحم محرم، ورحم

غير محرم..

"أما الرحم المحرم: فهم الأقارب الذين يحرم التزاوج منهم، بحيث لو كان أحدهما ذكراً والآخر أنثى

حرم الزواج بينهما، وذلك كالأخوة والأخوات، والعمات، والخالات، والأعمام، والأخوال، بالإضافة

إلى الوالدين، والأبناء، والبنات..

أما الرحم غير المحرم: فهم الأقارب الآخرون، ممن يحل التزاوج فيما بينهم، ذكورا كانوا أو إناثا، مثل:

أبناء الأعمام، وأبناء الأخوال"^{٣٣٩}.

ولذلك كان الإحسان إلى ذوي القربى فرع من الإحسان إلى الوالدين؛ لما بينهم وبين الوالدين من

صلات قرابة ونسب ودين.

ولكن الأرحام بعضهم أحق بالإحسان من بعض، و"الأحق بالصلة تكون للوالدين ووالديهم، وإن علو

والأولاد وأولادهم، وإن نزلوا، ثم الإخوة وأولادهم، والأخوات وأولادهن، ثم الأعمام والعمات، ثم

الأخوال والخالات، ثم أبنائهم"^{٣٤٠}. وكلهم لبنات في المجتمع المسلم الصغير، متى ما أحسن مراعاة حقوقهم،

كن له عوناً وذنحلاً، وإلا إذا أساء معاملتهم، فقد هدم البنيان وأذى من كانوا هم أحق الناس بالإحسان.

^{٣٣٩} حبر، د سعدي وآخرون، الثقافة الإسلامية لمرحلة التعليم الثانوي الشامل، ط٥١٤٢٥، ٢٠٠٤م، مطابع وزارة التربية والتعليم

الأردنية، عمان، ص٧٤.

^{٣٤٠} ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج١٦، ص٢٤٨.

وقد وردت التوصية بالأقرباء، في آيات متعددة من القرآن الكريم، ومنها قوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا

رَبِّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۗ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ

وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿النساء: ١﴾.

ولا خلاف أن صلة الرحم واجبة في الجملة، وقطيعتها معصية من كبائر الذنوب.

"وصلة الرحم تكون بتفقدتهم والسؤال عنهم والسلام عليهم، ومعاونتهم بالنفس والمال؛ فيعطيهم إن كانوا فقراء، ويفديهم إن كانوا أغنياء، ويواسيهم في مصائبهم، فيعود مريضهم، ويسد عوز محتاجهم، ويعتبرهم كنفسه في جلب الخير ودفع الضرر.. إضافة إلى مشاركتهم في أفراحهم بتهنئتهم ومواساتهم في أحزانهم بتعزيتهم، وإجابة دعوتهم، و توقير كبيرهم ورحمة ضعيفهم، وإنزالهم منازلهم التي يستحقونها وإعلاء شأنهم. وسلامة الصدر نحوهم فلا تحمل الحقد الدفين عليهم، وإصلاح ذات البين بينهم، فإذا علمت بفساد علاقة بعضهم ببعض بادرت بالإصلاح وتقريب وجهات النظر ومحاولة إعادة العلاقة بينهم، وتدعو لهم وتدعوهم إلى الهدى وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر بالأسلوب المناسب".^{٣٤١}

وأما في موضوع الزكاة والصدقة، فقد قال تعالى: ﴿وَأَتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ

وَلَا بُدْرَ تَبْدِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ ۗ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء:

٢٦ - ٢٧].

فقد أقرت الآية حق ذوي القرابة بالنفقة، ولما أمرت بالإنفاق، نمت عن الإسراف فيه، كما قال تعالى

في الآية الأخرى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:

٦٧].

^{٣٤١} أبو أنس، صلة الرحم وآثاره، مجلة التربية الإسلامية - ع/١١ - س/٣٢ - ١٩٩٤م، ص ٦٠.

وعرض القرآن الكريم بعض الحالات الخاصة التي يكون فيها المنفق على ذوي قرياه معسراً، وطرح لذلك العلاج بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا تَعْرِضْنَ عَنْهُمْ أَبْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨] أي إذا سألك أقاربك ومن أمرناك بإعطائهم، وليس عندك شيء، وأعرضت عنهم لفقد النفقة، فعدهم وعدا بسهولة ولين، إذا جاء رزق الله، فنصلكم إن شاء الله^{٣٤٢}.

وهنالك كثير من الفضائل التربوية، انطوت عليها حكمة الأمر بصلاة الأرحام، ولعل أبرزها ما يأتي:

أولاً: تحقيق أوامر الحبة والتعاون:

إن تأدية حقوق الأقرباء التي أوجبها الله تعالى لهم، من مساعدة المحتاج منهم بالنفقة اللازمة له، وحسن التعامل معه، من مقتضى قوله تعالى: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٧٥]. يؤدي إلى تحقيق التكافل الاجتماعي المنشود، الذي تسود فيه الرحمة والتعاون، بدل الأثرة والأنانية.

"إن تعاطف الأرحام وحمية القرابة يبعثان على التناصر، ويمنعان من التخاذل والفرقة، ولهذا قال: "صلة الرحم محبة الأهل ومثراة في المال ومنسأة في الأثر"^{٣٤٣}.

وهي سبب محبة الأهل للواصل، وحب الناس، ولاسيما الأقارب والثناء عليهم محبوب ومرغوب، وهو من الأمور الفطرية التي جبلت عليها النفوس، فقد "جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول الله: دلني على عمل إذا عملته أحبني الله وأحبنى الناس، فقال ﷺ: صل رحمك"^{٣٤٤}.

^{٣٤٢} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٩٨.

^{٣٤٣} أحمد مسند أحمد، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٧٤، والترمذي، سنن الترمذي، ج ٤، ص ٣٥١.

^{٣٤٤} مسلم، صحيح مسلم، عن أبي أيوب الأنصاري - رضي الله عنه - ج ١، ص ٤٣.

ثانيا: تحقيق رضا الله تعالى لواصل الرحم في الدنيا والآخرة:

إن صلة الرحم سبب من أسباب صلة الله للواصل، ورضاه عليه، والناظر إلى الرحم، يجد أن لها مكانة عند الله تعالى، فلمكانة الرحم، اشتق الله تعالى لها اسما من أسمائه، واسمه الرحمن، فمن وصلها رحمه، ومن قطعها قطعته.

ففي الحديث المتفق عليه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم هذا مقام العائذ بك من القطيعة قال نعم أما ترضين أن أصل من وصلك واقطع من قطعك قالت بلى يا رب قال فهو لك، ثم قال ﷺ: إقرأوا إن شئتم: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ

تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢] ٣٤٥.

ولذلك كانت صلة الرحم من علامات الإيمان بالله واليوم الآخر، فعن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه" ٣٤٦.

ثانيا: صلة الرحم تظهر حسن الأخلاق:

وإن من أفضل ما يكرم به واصل الرحم، حسن الخلق، ومحبة الناس له على ذلك. فعن عقبة بن عامر أنه قال لقيت رسول الله ﷺ فبدرته فأخذت بيده وبدرني فأخذ بيدي فقال: "يا عقبة ألا أخبرك بأفضل أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟ تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك، ألا ومن أراد أن يمد له في عمره ويسط في رزقه فليصل ذا رحمه" ٣٤٧.

^{٣٤٥} مسلم، صحيح مسلم، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها، ح ٢٥٥٤.

^{٣٤٦} البخاري، صحيح البخاري، كتاب الأدب، مرجع سابق، ح ٦١٣٨.

^{٣٤٧} الحاكم في المستدرک، مرجع سابق، ج ٤، ص ١٦١.

وكان النبي ﷺ هنا يشير إلى أن الله تعالى يمد في حسن خلق الرجل وينميه له، كما يمد له في رزقه. وجاء رجل آخر إلى النبي ﷺ فقال له: يا رسول الله، إن لي قرابة، أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم ويسئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي، فقال ﷺ: لئن كنت كما قلت، فكأنما تسفهم المل، ولا يزال معك من الله ظهير عليهم، ما دمت على ذلك^{٣٤٨}.

ولذلك لم تأت أخلاق مثل الأخلاق المتصلة بصلة الرحم، بل هي خير أخلاق الدنيا والآخرة، كما في الحديث قوله ﷺ: "ألا أدلكم على خير أخلاق أهل الدنيا والآخرة؛ من عفا عن من ظلمه، وأعطى من حرمه، ووصل من قطعه، ومن أحب أن ينسأ له في عمره ويزاد له في ماله؛ فليتق الله ربه، وليصل رحمه^{٣٤٩}".

^{٣٤٨} مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، ج ٨، ص ٧، ومعنى تسفهم المل: أي كأنما تضع في أفواههم الرماد الحار.
^{٣٤٩} ابن أبي شيبة، مصنف ابن أبي شيبة، عن أنس ابن مالك - رضي الله عنه - مرجع سابق، ج ٧، ص ٢٣٨، وينظر النسائي، السنن الكبرى، مرجع سابق، ج ٦، ص ٤٢٨، والحاكم، المستدرک، مرجع سابق، ج ٤، ص ١٧٧.

المبحث الخامس:

الفضائل التربوية في معاملة أصناف العامة:

الإنسان في معاملته إنسان بأخلاقه الفاضلة، وآدابه السامية الرفيعة، والتي بما يمكنه أن يعيش بين أقرانه في هذه الحياة مطمئناً، هادئ النفس، سعيداً، لا تكدره الهموم، ولا توارده الأحزان.

والمعاملة مع أصناف الخلق على العموم، تستوجب أموراً مستقاة من مبادئ الدين العليا في الإحسان، وهي بحق الأصول التي تقوم عليها الأخلاق الكريمة، والأساسات الداعية إلى بناء المجتمعات السليمة.

وإن هذه المبادئ الخلقية، منها ما هو عام يشمل جميع أصناف العامة من المسلمين، ومنها ما هو خاص يزيد عليها، لتؤكد الحقوق، ومنها الإحسان إلى الفقراء، والمساكين، والأيتام، والجيران، والأصحاب، وابن السبيل، والموالي، ومنها ما هو عام مطلق، يصل إلى غير المسلمين من الذميين في علاقتهم الاجتماعية مع المسلمين.

ونقسم هذا البحث إلى ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الفضائل التربوية معاملة أصحاب الحقوق، وآثارها التربوية.

المطلب الثاني: الفضائل التربوية في معاملة أهل الذمة من غير المسلمين، وآثارها التربوية.

المطلب الأول: الفضائل التربوية في معاملة أصحاب الحقوق، وآثارها التربوية:

نقصد بأصحاب الحقوق من أصناف العامة، من خصهم الإسلام، بمزيد الذكر، إحساناً لهم، وبراً بهم، وعطفاً عليهم، حتى صاروا من أحق الناس بالإحسان بعد الوالدين، وذوي القربى، ألا وهم على الترتيب: اليتامى، والمساكين، والجار القريب، والجار البعيد، والصاحب الملاصق في حياة، أو شركة، أو مهنة، أو سفر، والذي انقطع به السبيل وفقد المال، والموالي.

وهذا على مقتضى قوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي

الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ

السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

ويبدأ الحديث عن الإحسان إلى اليتامى، وآثاره التربوية.

أولاً: رعاية حقوق اليتامى:

للإنسان نوع من المعاملة مع اليتامى، يقوم على أساس من الرحمة واللطف، ورقة القلب.

"واليتامى: جمع يتيم، وهو الذي مات أبوه أو أمه وهو طفل صغير، فإذا بلغ الحلم زال عنه اليتيم" ٣٥٠

وقيل: هم الصغار الذين لا كاسب لهم من الآباء" ٣٥١.

والحكمة من التوصية بهم، أن "اليتيم مخصوص بنوعين من العجز: الصغر، وعدم المشفق" ٣٥٢.

ولا شك من هذا حاله، كان في غاية العجز واستحقاق الرحمة.

٣٥٠ البيضاوي، أنوار التنزيل، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٣١-٣٣٣.

٣٥١ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٠٩.

٣٥٢ البيضاوي، أنوار التنزيل، مرجع سابق، ج ٢، ص ٧٣-٧٤.

والبصير يرى، "أن هذا اليتيم، قد فقد من كان يحبه، ويمنحه الود صافياً ويستعذب العذاب في سبيله، وأنه أصبح وحيداً في حياته، يعاني آلام هذا اليتيم،.. ويرى الأبناء من حوله يعانقون آباءهم، ولا يرى له أباً يعانقه؛ فلماذا يرحمه ويحبه، ويجعل رحمته إياه وحبه في مظهر كريم، لا يجرحه، ولا يسيء إلى عاطفته، ولا يشعره بأن هذا يفعل معه من أجل أنه يتيم"^{٣٥٣}، فهذا بحق إحسان يشعر متعاطيه بأنه عضو ذو قيمة في المجتمع، ويتزع من صدره ما جرت العادة أن يكون في صدور المحرومين من حرج وضيق، أو حقد وضغن.

وقد أشارت السنة النبوية الشريفة أبلغ الإشارة إلى العناية باليتيم والإحسان إليه، وجعلت لكافل اليتيم والمترحم عليه أعظم الجزاء.

فقد قال رسول الله ﷺ: "خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه"^{٣٥٤}.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله"^{٣٥٥}.

وإنما كانت كل هذه العناية باليتيم، لما لها من أثر نفسي تربوي عميق في نفسه، حتى لا ييأس من هذه الحياة، أو تنعدم فاعليته في المجتمع، بل يشعر أنه جزء منه، ولا بد من أخذ الدور التكاملي فيه، بما يخدم حاجات ومتطلبات هذا المجتمع.

^{٣٥٣} المدني، الشيخ محمد محمد، المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء، ط ١، ١٩٦٢م، ص ٥١. مكتبة البراق، عمان، الأردن.

^{٣٥٤} ابن ماجه، سنن ابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الأدب، ح ٣٦٧٩، ج ٢، ص ١٢١٣.

^{٣٥٥} البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب النفقات، باب فضل النفقة على الأهل، ح ٥٠٣٨، ج ٥، ص ٢٠٤٧، و مسلم،

صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم، مرجع سابق، ح ٢٩٨٢،

ج ٤، ص ٢٢٨٦.

ثانياً: رعاية حقوق الفقراء والمساكين:

ولما جاء الإسلام، إمتدت فضائله التربوية في رعاية أصحاب الحقوق، لتشمل الفقراء والمساكين أيضاً رعاية تقوم على تفقدتهم وسد عوزهم، وكفاية حاجتهم.

وعد القرآن الكريم التفقد لهم ولشؤونهم من جملة الإحسان، كما مر في قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِحْسَنًا... وَالْمَسْكِينِ﴾ [النساء: ٣٦].

ومن الفضائل التربوية لرعاية المساكين وتفقدتهم في الإسلام، تحقيق التكافل الاجتماعي، وحفظ أمن المجتمع المسلم.

"فالإسلام ينظر إلى المجتمع المتكافل نظرة الخبير العالم، ويركز في نظريته إلى أصحاب الحاجة الماسة، ولا سيما أصناف المساكين والمحتاجين، هذا الصنف الذي يهدد بحاجته، وثورة فاقته، وضيق صدره المجتمع في أمنه واستقراره، فسعى القرآن للدعوة إلى الإحسان إليهم، ورتب أكبر الجزاء على من يسارع إليه، ليسد حاجته، ويطهر قلبه من الحقد والحسد، وبذلك يمهد له طريق التعاون مع إخوانه الأغنياء، الذين شعر منهم بالرحمة والعطف، فتحفظ الأموال وتنمو، ويصان المجتمع ويقوى"^{٣٥٦}.

"ولاتساع دائرة المساكين في المجتمع، حيث أن هذا الصنف قلما يخلو منه مجتمع، عني به القرآن الكريم العناية البالغة، وجعلهم أحق الناس بالصدقات وقد خصهم الإسلام مع هذا بالإطعام الذي شرعه في أجزية الأخطاء، التي يقع فيها المؤمنون، ككفارة اليمين، والقتل الخطأ، والإفطار في رمضان، والاعتداء على محظورات الإحرام والحرم، كما جعل لهم حقاً في الغنيمة والفئ"^{٣٥٧}.

^{٣٥٦} ينظر شلتوت، الشيخ محمود، الإسلام عقيدة وشريعة، ط٢، د.ت، ص ١١٩. دار القلم، القاهرة.

^{٣٥٧} المرجع السابق، ص ١١٩.

ثالثاً: رعاية حقوق الجار:

والإسلام أوجب نوعاً من المعاملة مع الجار بصنفيه: الجار ذي القربى، والجار الجنب، تقوم على أساس من قرب الجوار، أو تزيدها صلة الرحم، إن كان الجار قريباً، وكلاهما يستلزم حسن المعاملة، والتقدير، والاحترام.

وفي القرآن الكريم نصوص صريحة تدعو إلى الإحسان إلى الجيران، فقد قال جل ثناؤه في معرض حديثه عن الأصناف المخصوصة بالإحسان، قوله تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦].

و الجار ذي القربى: هو الذي قرب جواره، ويحتمل أن تكون له صلة قرابة ودين، والجار الجنب: هو الذي بعد جواره^{٣٥٨}.

ولا شك أن الحق يعظم بالنسبة إلى من تعلق به أكثر من حق، المهم أن الإسلام، يؤكد على أداء حقوق الجار، وعدم إيذائه.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، فإني لأرى الرجل يمشي في الناس وهو لا يؤمن، قيل من يا رسول الله، قال: "الذي لا يأمن جاره بوائقه".^{٣٥٩}

وقد سطر الإمام الغزالي حقوق الجوار مجموعة بقوله: "أن يبدأ بالسلام ولا يطيل معه الكلام، ولا يكثر عن حاله السؤال، ويعوده في المرض، ويعزيه في المصيبة، ويقوم معه في العزاء، أو يهنئه في الفرح، ويظهر له الشرك في السرور معه، ويصفح عن زلاته، ولا يتطلع من السطح إلى عورته،.. ولا يضيق طريقه إلى الدار، ولا يتبعه النظر فيما يحمله إلى داره، ويستتر ما ينكشف له من عوراته، وينعشه من صرخته إذا نابته

^{٣٥٨} الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج٥، ص٧٨.

^{٣٥٩} البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب الوصاية بالجار، ح٥٦٦٩، ج٥، ص٢٤٠، ومسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، باب بيان تحريم إيذاء الجار، ح٤٦، ج١، ص٦٨، والترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، اب ما جاء في السعي على الأرملة، ح١٩٦٩، ج٤، ص٣٤٦.

نائة، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يتسمع عليه كلاماً، ويغض بصره عن حرمه، ويتلطف بولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجمله من أمر دينه ودنياه" ^{٣٦٠}.

وما راعى القرآن الكريم حقوق الجار، إلا لعظيم آثارها التربوية في المجتمع، من سيادة العلاقات الطيبة بين أبناء المسلمين، ومحاولة جادة لتعريف غير المسلمين، بمكارم الأخلاق الإسلامية، إضافة لما يقوم عليه حسن الجوار، من تعاون، وتكافل إجتماعي، ومودة ومحبة.

رابعا: رعاية حقوق الصاحب:

والإسلام أوجب نوعاً من المعاملة مع الصاحب أساسها عقد الأخوة الموجبة لمراعاة الحقوق، ومبادلة الوفاء، والمشاركة في السراء والضراء.

يقول الإمام الغزالي رحمه الله: "اعلم أن عقد الأخوة رابطة بين الشخصين بعقد النكاح بين الزوجين، وكما يقتضي النكاح حقوقاً يجب الوفاء بها قياماً بحق النكاح؛ فكذا عقد الأخوة" ^{٣٦١}.

وقد حث القرآن الكريم على الصاحب، وجمعه مع أحق الناس بالإحسان، فقال تعالى: ﴿وَالصَّاحِبِ

بِالْجَنبِ﴾ [النساء: ٣٦].

والجنب، من "جنب فلان فلاناً فهو يجنبه جنباً، إذا كان جنبه، ويدخل في هذا الرفيق في السفر، والمنقطع إلى الرجل الذي يلازمه رجاء نفعه، لأن كلهم بجنب الذي هو معه وقريب منه، وقد أوصى الله تعالى بجمعهم، لوجوب حق الصاحب على المصحوب" ^{٣٦٢}.

^{٣٦٠} الغزالي، حجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي، آداب الألفة والأخوة والصحة والمعاشرة مع أصناف الخلق، ط ١-١٩٩٦م،

دار عمار - الأردن - عمان. ص ٧٨.

^{٣٦١} الغزالي، آداب الألفة والأخوة، مرجع سابق، ص ٧٨.

^{٣٦٢} المرجع السابق، ج ٥، ص ٨٢.

والصحة في ميدان الحياة أنواع؛ ف"منهم من تصحبهم بمعونة جسمية أو عقلية، كالشريك والخدام والرفيق في السفر، ومنهم من تصحبه في أمر حسن، كتعلم وتصرف وصناعة وسفر"^{٣٦٣}.

وليست ضرورة الحياة وحدها هي الداعية إلى اكتساب الأصدقاء، فلا بد من الشعور بمتزلة الأخوة الإيمانية ومقامها العظيم عند الله، حتى يتم الإحسان بمراعاة الحقوق بلا تكلفة، ومبادلة الوفاء بلا تعنت، واستدامة للعلاقات الاجتماعية على أحسن وجه.

فينبغي على الأخ أن يعامل أخاه بما يجب أن يعامل به، وجملة ذلك أمور^{٣٦٤}:

منها: أن يظهر البشر والسرور بمقامه، ويوسع له في مجلسه، ويدعوه بأحب أسمائه إليه.

ومنها: أن يعينه بنفسه بقضاء حاجته، والقيام بما قبل السؤال، وتقديمها على الحاجات الخاصة.

ومنها: أن يتفقد في أحواله التي يجب أن يُتفقد فيها، كالسؤال عن عارض عرض له، وإظهار شغل القلب بسببه، واستبطاء العافية عنه.

ومنها: أن يشاركه في أفراحه وأتراحه.

ومنها: أن يسكت عن ذكر عيوبه في حضرته وغيبته.

ومنها: العفو عن زلاته وهفواته.

ومنها: الدعاء له في حياته ومماته.

ومنها: الوفاء والثبات على حبه، وإدامته إلى الموت معه، وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه.

فإذا صدق في هذه الأمور، انعقد حبله، ودام وده، وتحقق وصله، وعاش ببناءة نفس، ولذة عيش، بعيدا عن المنغصات والمموم والأحزان.

^{٣٦٣} خليل، الشيخ عبد الرحمن، الوعظ الخطابي في الدين الإسلامي، د.ط، ص ١٢٣، مطبعة سكر، مصر.

^{٣٦٤} الغزالي، آداب الألفة والأخوة، مرجع سابق، ص ٧٩-٩٧.

خامساً: رعاية حقوق ابن السبيل:

وأوعز القرآن الكريم للإنسان نوعاً من المعاملة مع ابن السبيل، تقوم على الشعور بغرته وسد عوزة، حتى يرجع إلى أهله بسلام وتكريم، ويشعر حقاً بمعنى كونه فرداً من المسلمين، لهم ما لهم، وعليهم ما عليهم، وهذه من الفضائل التربوية للقرآن الكريم في جانب المعاملات الشرعية.

وابن السبيل: "المسافر الذي يجتاز من بلد إلى بلد، والسبيل: الطريق، وابنه: صاحبه الضارب، ونسب المسافر إلى الطريق لملازمته إياها ومروره عليها، وكذلك تفعل العرب؛ تسمى الملازم لشيء يعرف به ابنه" ٣٦٥.

ولهذا اعتنى القرآن الكريم بابن السبيل عناية خاصة، وعده من الفئات الخاصة التي تستوجب الإحسان، وتؤمن النفوس عن أن يحقد عليهم هذا الصنف من الناس، إن ظلموا، أو أحسوا بالفاقة والغربة الحرمان.

"وابن السبيل؛ يجمع بين كونه مسافراً قد انقطعت به الأسباب في سفره عن بلده ومستقره وماله، وبين كونه ضيفاً في البلد الذي حل فيه، فيكرم إكرام الضيف، ويعطى من الزكاة ما يوصله إلى بلده وإن كان غنياً في بلده" ٣٦٦، لقوله ﷺ: "لا تحل الصدقة لغني إلا في سبيل الله وابن السبيل" ٣٦٧.

وروي أن: "لابن السبيل حقاً من الزكاة وإن كان غنياً إذا كان منقطعاً به، وإن ابن السبيل المسافر سواء كان غنياً أو فقيراً، إذا أصيبت نفقته، أو فقدت، أو أصابها شيء، أو لم يكن معه شيء، فحقه واجب" ٣٦٨ وحق ابن السبيل؛ أن "يعطى من المال ما يحتاج إليه في إتمام مهمته والرجوع إلى موطنه" ٣٦٩، "فله

٣٦٥ ينظر الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج ٥، ص ٨٣، ومصارف الزكاة في الشريعة الإسلامية: ١١٨.

٣٦٦ الجار الله، الشيخ عبد الله جار الله إبراهيم، مصارف الزكاة في الشريعة الإسلامية، د. ط، ص ١١٨.

٣٦٧ أبو داود، سنن أبي داود، مرجع سابق، ح ١٦٣٥، ج ٢، ص ١١٩، ومالك، موطأ الإمام مالك، مرجع سابق، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة ومن يجوز له أخذها، ح ٦٠٤، والترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق: ح ٦٤٧، ج ٣، ص ٤٢.

٣٦٨ الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج ١٤، ص ٣٢٠-٣٢١.

٣٦٩ شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، مرجع سابق، ص ١٢٢.

الحق على من مر به محتاجاً منقطعاً به إذا كان سفره في غير معصية الله، أن يعينه إذا احتاج إلى ضيافة، وأن يحمله إن احتاج إلى حملات" ٣٧٠.

"ويعطيه من المال ما يشمل النفقة، والكسوة، والأجرة ما يكفيه في مضيه إلى مقصده؛ لأن فيه إعانة على السفر المباح، لبلوغ الغرض الصحيح" ٣٧١.

سادسا: رعاية حقوق الرقيق والخدام:

وللإنسان نوع من المعاملة مع الرقيق، بما أقره له الإسلام، تقوم أساسا على احترامه وتقديره، وتضعه موضع الشعور بالإنسانية، وأنه مواطن صالح، له قيمته في الحياة، وهذا مما يرفع معنوياته خدمة للمجتمع الذي يعيش فيه.

ولهذا أوصى الله تعالى بالإحسان إلى الرقيق، وقرن هذه الوصية بوصيته تعالى بالولدين والأقربين، فقال

تبارك وتعالى: ﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣٦].

فهؤلاء "ملك اليمين: هم العبيد والإماء والأرقاء" ٣٧٢، "سموا ملك يمين؛ لأن ممالك أخذنا تحت يده، نطعمهم ونكسبهم، ونصرف أجوراً إليهم، فأضيق ملكهم إلى الأيمان لذلك" ٣٧٣.

وهؤلاء الأرقاء، انضموا إلى الصنف الواجب الإحسان إليهم، لأن الرقيق ضعيف الحيلة، أسير في أيدي الناس.

وعن عليّ كرم الله وجهه قال: كان آخر كلام رسول الله ﷺ: "الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما

ملكتم أيمانكم" ٣٧٤.

٣٧٠ الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج ٥، ص ٨٣.

٣٧١ الجار الله، مصارف الزكاة في الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٢٣.

٣٧٢ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مرجع سابق، ج ٢، ص ٧٣-٧٤.

٣٧٣ ينظر الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج ٥، ص ٨٤.

"ولقد كانت العرب في الجاهلية يسيؤون إلى المملوك، فيكلفون الإماء البغاء؛ وهو الكسب بفروجهن وبضوعهن، وبلغت الإساءة إليهم أن قال أحدهم: كل حيوان فهو مملوك"^{٣٧٥}، فلما جاء الإسلام رفع منزلة الرقيق، وبين أن "الاسترقاق ليس موجباً لشيء من الهوان والصغار، ولا يسقط صاحبه من درجة الاعتبار، بل يتمتع الرقيق بما يتمتع به الحر، ويقاسمه من الحياة بأسرها"^{٣٧٦} حتى يشعر بالمكانة، وترتفع عنه المذلة والمهانة.

وعن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إخوانكم حولكم، جعلهم الله تحت أيديكم، فمن كان أخوه تحت يده، فليطعمه مما يأكل، وليلبسه مما يلبس، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم"^{٣٧٧}.

وننتهي إلى أن رعاية حقوق المملوك تقتضي: أن "لا يكلفهم ما لا طاقة لهم به، وأن لا يؤذيهم بالكلام الخشن، بل يعاشرهم معاشرة حسنة، وأن يعطيهم من الطعام والكسوة ما يحتاجون إليه"^{٣٧٨}. وما كل هذا الاهتمام بأصحاب الحقوق إلا ترجمة من الإسلام لمبادئه الفاضلة التي حث عليها، من التعاون، والمحبة، والإحسان.

^{٣٧٤} أبو داود، سنن أبي داود، مرجع سابق، كتاب الآداب، باب في حق المملوك، ح ٥١٥٦. ج ٤، ص ٣٣٩، والحاكم، المستدرک

على الصحيحين، مرجع سابق، كتاب المغازي والسرايا، ح ٤٣٨٨.

^{٣٧٥} ينظر الرازي، التفسير الكبير، مرجع سابق، ج ١٠، ص ١٠٠.

^{٣٧٦} البناء، محمد، الإحسان إلى الرقيق، مجلة لواء الإسلام، ط ١٩٤٩م، ع ١١، ص ٢٦.

^{٣٧٧} البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية، ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك، ح ٣٠، ج ١، ص ٢٠، وأحمد، مسند الإمام أحمد، مرجع سابق، مسند الأنصار، حديث أبي المنذر، أبي بن كعب رضي الله عنه.

^{٣٧٨} الرازي، التفسير الكبير، مرجع سابق، ج ١٠، ص ١٠٠.

المطلب الثاني: الإحسان في معاملة أهل الذمة من غير المسلمين، وآثارها التربوية:

الذمة في اللغة: "العهد، والأمان، والضمان، والحرمة، والحق..

وأهل الذمة: هم المجاهدون من النصارى، واليهود، الذين لهم كتب منزلة، وغيرهم، ممن له شبهة كتاب، مثل المجوس، ممن يقيم في دار الإسلام، وسمي أهل الذمة ذمة لدخولهم في عهد المسلمين وأمانهم^{٣٧٩}. والذمة في الفقه الإسلامي: "العهد الذي يعطى للقوم الذين لم يدخلوا في الإسلام عند فتح المسلمين لبلادهم، ولا يسترقون، ويؤمنون على حياتهم، وحرّيتهم، وأمواهم، وعبادتهم"^{٣٨٠}.

وهذه الأحكام مستنبطة من قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة: ٨].

وكذلك من سيرة الرسول ﷺ في معاملته أهل الكتاب، وكتابة الوثيقة، لحظة دخوله ﷺ المدينة، ولم

يكونوا قد ظاهروا ضده بعد، فاستحقوا قوله تعالى: إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم

مِّن دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المتحنة: ٩].

بل إن الله تعالى يشرع قتالهم، عند إعلان حربهم ضد المسلمين، قوله تعالى:

^{٣٧٩} ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ٥، ص ١٥١٧، والفيروز أبادي، القاموس المحيط، مرجع سابق، ج ٤، ص ١١٥، وينظر الشهرستاني، الملل والنحل، تخريج د. محمد فتح الله بدران، ط ٢، ١٩٥٦، مطبعة مخيمر، نشر مكتبة الإنجلو المصرية. ج ١، ص ٣٧.

^{٣٨٠} ينظر ابن البهوتي، منصور بن يونس بن إدريس الحنبلي، كشاف القناع عن متن الإقناع، تحقيق أبو عبد الله محمد حسن الشافعي، ط ٥، ١٩٩٧ م. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ج ١، ص ٧٠٤.

﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [١٩٠]

وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَفَّنْتُمُوهُمْ وَأَخْرَجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمُوهُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّىٰ

يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿١٩١﴾ [البقرة: ١٩٠ - ١٩١].

ويحكم الإسلام بقطع العلاقة معهم، وسحب ضمان الذمة إذا امتنعوا عن دفع الجزية، ويعتبر امتناعهم

عن دفع الجزية للدولة خلعا لولايتهم، وتمردا على الدولة الإسلامية. كقال تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا

يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩]

وقد ذكر العلماء أيضا، كثيرا من الحقوق الواجبة عليهم، حتى يحصلوا على حقوق المواطنة الصالحة في الدولة الإسلامية، وعلى رأسها ألا يتعرضوا للإسلام وأهله بالأذى، أو الغدر، أو الخيانة، إضافة لالتزام أحكام الإسلام في العقود والمعاملات، كعقود البيع والشراء والإجارة وغيرها، ومراعاة النظام العام للدولة، وتقام الحدود والعقوبات عليهم، فيما يعتقدون بتحريمه في دينهم، كالزنا، والسرقه، والقتل، والقذف، وغير ذلك من الجنايات^{٣٨١}.

فإذا راعوا هذه الواجبات، ضمنت لهم الحقوق، وهي: " حق الحياة والعيش الكريم، وحق الحماية داخلياً وخارجياً، وحق الأمن، ويقصد به حرمة المسكن فله أن يسكن فيما شاء إلا في جزيرة العرب، وحرية التنقل وحرية الفكر، والكتابة، والاجتماع في المناسبات إلا إن قصد فيها إظهار دينه، أو التشويش على

^{٣٨١} وتفصيلها: ألا يذكروا كتاب الله بظعن ولا تحريض، وألا يذكروا رسول الله ﷺ بتكذيب له ولا ازدراء، وألا يذكروا دين الإسلام

بذم أو قدح، وألا يصيبوا مسلمة بزنى ولا باسم نكاح، وألا يفتنوا مسلما عن دينه، وألا يعينوا أهل الحرب، ولا يؤذوا

أغنياءهم" ينظر ابن قدامة، موفق الدين، عبد الله بن أحمد المقدسي، المعنى ومعه الشرح الكبير، ١، ٥١٤٠٤. دار الفكر،

بيروت، لبنان، ج ٨، ص ٥٢٥.

ص ١٦٢ للمسلمين، وكذا من حقهم : حق التمتع بمرافق الدولة وخدماتها ، ولهم حق الحرية في شؤونهم الخاصة كالحقوق الشخصية ، ونظام الأسرة ، والطلاق ، والزواج ، والإرث .. وغيرها".^{٣٨٢}

وأما الحكمة في عقد الذمة مع المسلمين من أهل الكتاب فـ: "هو الطمع في دخولهم الإسلام عن طريق مخالطتهم للمسلمين، وإطلاعهم على شرائع الإسلام"^{٣٨٣}. " إذ إن الإسلام يرفض إجبار الناس على اعتناقه،

كما قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ

فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

يقول تعالى : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ أي : لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام "قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ

مِنَ الْغَيِّ" فإنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ

بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ فمن هداه الله

للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة ، ومن أعمى الله قلبه وحتم على سمعه وبصره فإنه لا يفيد

الدخول في الدين مكرها مقسورا^{٣٨٤}.

"فهو لا يكره أحدا على الدخول فيه، بل يدعو إلى أن يكون الدخول نتيجة اقتناع عقلي ورضى قلبي،

بناء على أسس الدعوة إلى الله تعالى في الحكمة والموعظة الحسنة"^{٣٨٥}، كما قال تعالى ﴿أَدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ

بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِلَا تِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].. حتى يتطابق مظهر المرء

في الحقيقة مع عقيدة يوافق عليها، ويكون متيقن بالإيمان بها.

^{٣٨٢} ينظر جبر، د سعدي وآخرون، الثقافة الإسلامية لمرحلة التعليم الثانوي الشامل، ط ٥١٤٢٥، ٢٠٠٤م، مطابع وزارة التربية والتعليم الأردنية، عمان، ص ١٠١. والماوردي، أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب البصري، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط ٢، ١٣٨٦م. مطبعة ومكتبة مصطفى الباوي الحلبي، القاهرة، مصر. ، ص ١٠٧.

^{٣٨٣} السرخسي، أبي بكر محمد، المبسوط، ط ٥١٣٢٤، مطبعة السعادة، مصر، ج ١٠، ص ٧٧.

^{٣٨٤} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ١، ص ٦٨١.

^{٣٨٥} جبر، د سعدي وآخرون، الثقافة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٠١.

الفصل الرابع:

الفضائل التربوية

الأخلاقية:

الفصل الرابع: الفضائل التربوية

الأخلاقية:

ويشتمل على تمهيد، ومبحثين:

المبحث الأول: الفضائل التربوية القرآنية في الدعوة إلى

الأخلاق الكريمة.

المبحث الثاني: الفضائل التربوية القرآنية في النهي عن

الأخلاق المذمومة.

تمهيد:

عرف الإمام الغزالي الأخلاق، فذكر أنها "هيئة في النفس راسخة، تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية"^{٣٨٦}.

ومعنى ذلك، أن "الأخلاق انفعال الظاهر بحركة الباطن وإرادته"^{٣٨٧}.

ولقد قام المنهج القرآني على زرع الأخلاق وقيمها ومبادئها في نفس المسلم، وجعل لها قناعات داخلية عندما علقها بالمسئولية الأخلاقية، المرتبطة بالعقيدة الإسلامية، في منظومة الثواب والعقاب، والمحتكمة إلى أحكام الشريعة الإسلامية.

وهذا ما يجعلنا نربط الأخلاق بالشريعة والعقيدة معا، ذلك لأن "الأخلاق هي الجانب التطبيقي لعقيدة مسلم في سائر علاقاته، والسمو بهذه العلاقات هو الهدف الأساسي للدين..

وتظهر أهمية الأخلاق في الإسلام بقول النبي ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"^{٣٨٨}.

ولقد كان الصحابة رضوان الله عليهم، يتبعون أخبار الرسول ﷺ ليتأسوا به، ولذلك سألوا زوجه السيدة عائشة رضي الله عنه عن أخلاق رسول الله ﷺ، فقالت: "كان خلقه القرآن"^{٣٨٩}.

ومعنى ذلك، أن لفظه وهمسه، وظاهره، وباطنه، وعمله، وصمته، كان وفق القرآن ونابعاً منه، ومن هنا نتفق مع الحقيقة حين نقول: إن القرآن الكريم هو دستور أخلاق المسلم.

ويعيننا في هذا البحث أن نتبع أهم الفضائل التربوية المتعلقة بالتوجيهات القرآنية للأخلاق، سواء تلك التي حث القرآن عليها، من جملة الفضائل، أو تلك التي نهى عنها من جملة الرذائل.

ونبدأ بالجانب الأول، ضمن المبحث الأول:

^{٣٨٦} الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج ٣، ص ٦٤.

^{٣٨٧} غلوش، الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٢٦.

^{٣٨٨} مالك، الموطأ، مرجع سابق، باب ما جاء في حسن الخلق، ج ٤، ص ١٩٢.

^{٣٨٩} سبق تخريجه.

المبحث الأول:

الفضائل التربوية القرآنية في الدعوة إلى الأخلاق الكريمة

إن من أعظم الخصال، وأبرز الصفات الأخلاقية التي أمر القرآن الكريم بالتنحلي بها ما يأتي:

المطلب الأول: الرحمة:

الرحمة: لغة: هي الرقة والعطف والمغفرة^{٣٩٠}.

واصطلاحاً: "هي إرادة إيصال الخير"^{٣٩١}

والرحمة: "خلق فاضل، يجعل المرء يرق لآلام الخلق، ويسعى لإزالتها، ويأسى لأخطائهم فيتمنى لهم

الهدى"^{٣٩٢}

وتعتبر الرحمة من الأخلاق العظيمة حيث لها العناية الكبرى في القرآن الكريم ذكرًا لها وتنويهاً بها.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

أي: "مع الذين اتقوا الله بتعظيم أمره والذين هم محسنون بالشفقة على خلقه"^{٣٩٣}.

وهذه من إحدى التفسيرات المقبولة لهذه الآية.

وهي صفة الحق سبحانه وتعالى، ابتدأ بها كتابه، بل وفي بداية كل سورة قرآنية.

^{٣٩٠} ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ١٢، ص ٢٣٠.

^{٣٩١} الجرجاني، التعريفات، مرجع سابق، ج ١، ص ١٤٦.

^{٣٩٢} سعد الدين، الأخلاق في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٦٤.

^{٣٩٣} البيضاوي، أنوار التنزيل، مرجع سابق، ج ٣، ص ٤٤٢.

قال تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١].

ومن الفضائل التربوية للرحمة:

أولاً: رقة الشعور والعاطفة:

من عاني الرحمة الإحساس بموم الآخرين ومعاونتهم، والإحسان إليهم بينما تبلد الحس يهوى بالإنسان إلى مرتبة الحيوان، ويسلبه أفضل ما فيه، وهي العاطفة الحية النابضة بالحياة والرأفة..

بل إن تلك العاطفة قد توجد عند بعض الحيوانات، في عطفها على ذراريها،.. ومن ثم كانت القسوة ارتكاساً بالفطرة إلى متزلة البهائم، بل إلى متزلة الجماد الذي لا يعي ولا يهتز".^{٣٩٤}

قال ﷺ: "من لم يهتم بأمر المسلمين، فليس منهم".^{٣٩٥}

ثانياً: — صفاء النفس وطهارة الروح:

"فالمسلم بإتيانه الخير وعمله الصالح، وابتعاده عن الشر واجتناب المفسد، هو في طهارة نفس وطيب

روح، ومن كان هذا هو حاله، فإن الرحمة لا تفارق قلبه، والمسلم يوصي بها ويدعو إليها، لقوله تعالى: ﴿

تُزَكَّانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧].

وعملاً بقوله ﷺ: "إنما يرحم الله من عباده الرحماء"^{٣٩٦}

"والمسلم بإتيانه الخير، وعمله الصالح، وابتعاده عن الشر، واجتنابه المفسد، هو دائماً في طهارة نفس

وطيب روح، ومن كان هذا حاله، فإن الرحمة لا تفارق قلبه"^{٣٩٧}.. يبذل المعروف، ويغيث الملهوف، ويعين

^{٣٩٤} الغزالي، الشيخ محمد، خلق المسلم، ط ١٤٠٨، ١٩٨٧م، دار الكتب الإسلامية، ص ١٠٩.

^{٣٩٥} الحاكم، المستدرک على الصحيحين، مرجع سابق، ح ٧٨٨٩.

^{٣٩٦} مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الجنائز، باب في البكاء على الميت. ح ٩٢٣، أبو داود، سنن أبي داود، مرجع سابق، كتاب الجنائز، باب في البكاء على الميت، ح ٣١٢٥.

الحرور والحجاج، ويعطف على الفقراء والمساكين، ويمسح دموع اليتامى؛ فيحسن إليهم، ويدخل السرور عليهم، ويمنع التعدي والبغي.

قال عليه الصلاة والسلام: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"^{٣٩٨}.

ثالثاً: تغليب الدوافع إلى العفو والصفح، على دوافع الغضب والانتقام:

"فالمسلم متشبه بأخلاق ربه، حيث أن رحمته سبقت غضبه"^{٣٩٩}

قال تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَسِعَتْ وَلَا يُرَدُّ بِأَسْهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ

﴿[الأنعام: ١٤٧]

"فجمع سبحانه وتعالى بين رحمته وبأسه ترغيباً وترهيباً للمشركين فإن لم تحملهم الرغبة فالرهبة كافية لزرهم عن التمادي في الكفر"^{٤٠٠}.

ولذلك، كان من آثار الرحمة الخارجية: "العفو عن ذي الزلة والمغفرة لصاحب الخطيئة، وإغاثة اللفهان، ومساعدة الضعيف، وإطعام الجائع، وكسوة العاري، ومداواة المريض، ومواساة الحزين"^{٤٠١}

قال ﷺ: "لا تترع الرحمة إلا من شقي"^{٤٠٢}

^{٣٩٧} الخالدي، الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٦٤٧.

^{٣٩٨} مسلم، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، ح ٢٥٨٦، والبيهقي، سنن البيهقي، كتاب صلاة الخوف، باب استسقاء إمام الناحية المخصبة لأهل الناحية المجذبة لجماعة المسلمين، ح ٦٢٢٣.

^{٣٩٩}

^{٤٠٠} ابن كثير، ١٤٠١ تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٠٥.

^{٤٠١} سعد الدين، الأخلاق في الإسلام، ص ١٦٧.

^{٤٠٢} ابن حبان، صحيح ابن حبان، كتاب البر والإحسان، ذكر البيان بأن رحمة الله تعالى لا تتزع إلا من الأشقياء، ح ٤٦٦.

فيقرن عليه الصلاة والسلام بين شقاء الإنسان وبين عدم اتصافه بخلق الرحمة، لأن الرحمة تجعل من حياة الناس أكثر يسراً وسهولة، وأبعد عن الشقاء والقسوة، لأنها مبنية على شعور الأخ تجاه أخيه المسلم، ومعاونته، والإحسان إليه.

رابعاً: تحقيق التعاون والتراحم بين المسلمين.

"فالمسلم رحيم في كل أموره؛ يعاون أخاه فيما عجز عنه؛ فيأخذ بيد الأعمى في الطرقات ليحنبه الخطر، ويرحم الخادم؛ بأن يحسن إليه، ويعامله معاملة كريمة، ويرحم والديه، بطاعتها وبرهما والإحسان إليهما والتخفيف عنهما، إضافة إلى حنوه وعطفه على أهل الإيمان، بل وعلى الناس جميعاً، ما لم يكونوا محاربين، أو ناكثي عهد" ٤٠٣.

ولا يخفى ما في الرحمة من إشاعة السلام بين أفراد المجتمع، وجمع شملهم.

المطلب الثاني: الصدق:

الصدق لغة: "ضد الكذب، وأصله من الشدة والصلابة والقوة" ٤٠٤

وهو "قول الحق ومطابقة الكلام للواقع" ٤٠٥.

واصطلاحاً: هو "الإخبار عن الشيء على ما هو به في الواقع المطابق للاعتقاد" ٤٠٦

والصدق خلق إسلامي نبيل، جاء الإسلام آمراً به، وأثنى على الصادقين، بقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا

الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

٤٠٣ ابن حميد وآخرون، نضرة النعيم، مرجع سابق، ج ٦، ص ٢٠٦١.

٤٠٤ الفيروزآبادي، ١٩٩٦ القاموس المحيط، مرجع سابق، ج ٢، ص ١١٦٢

٤٠٥ الغزالي، خلق المسلم، مرجع سابق، ص ١٣

٤٠٦ الحداد، احمد عبد العزيز، أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة . بيروت : دار الغرب الإسلامي . ج ١، ص ٤٠٣.

وهنا يخاطب الله تعالى الذين آمنوا ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ بالله ورسوله ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾ وراقبوه، بأداء فرائضه، وتجنب حدوده ﴿وَكُونُوا﴾ في الدنيا، من أهل ولاية الله وطاعته، تكونوا في الآخرة ﴿مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ في الجنة. يعني: مع من صدق الله الإيمان به، فحقق قوله بفعله، ولم يكن من أهل النفاق فيه، الذين يكذب قيلهم فعلهم^{٤٠٧}.

وقال ﷺ: "يطبع المؤمن على الخلال كلها، إلا الخيانة والكذب".^{٤٠٨}

ولذلك فإن خلق الصدق، من أعلى الأخلاق الإسلامية.

ومن الفضائل التربوية في الصدق، ما يأتي:

أولا "الثقة بالنفس، مع الطمأنينة وراحة الضمير:

"فالصدق يخرج الإنسان من حيز الشك والإرتياب"^{٤٠٩}.

يقول ﷺ: "دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة".^{٤١٠}

إضافة إلى أنه "سبيل إلى بناء الثقة بين الناس، ووسيلة من أنجع الوسائل في الإصلاح الاجتماعي

والحضاري"^{٤١١}.

ثانيا: الوفاء بالعزم:

^{٤٠٧} الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج٧، ص٣٧٥.

^{٤٠٨} أحمد، مسند الإمام أحمد، مرجع سابق، مسند الأنصار..

^{٤٠٩} حقي، المنتقى من الفوائد الإيمانية، مرجع سابق، ص١٤٧.

^{٤١٠} البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب البيوع، باب تفسير المشبهات، ح١٩٤٧. والترمذي، سنن الترمذي، مرجع

سابق، أبواب صفة القيامة، ح٢٦٣٧.

^{٤١١} مراد، د. مصطفى، خلق المؤمن، ط٢، ٥١٤٣١، ٢٠١٠م، ص٤٢، دار الفجر للتراث، القاهرة.

"فالمسلم إذا عزم على فعل ما ينبغي فعله، لا يتردد في ذلك، بل يمضي في عمله، غير ملتفت إلى شيء أو مبالٍ بآخر حتى ينجز عمله، فبعض الناس إذا حنَّ للجهاد المفروض تقدّم إليه وجلده مقشعر، وإن استخرجت منه الزكاة المفروضة أخذ يعدّها وأصابعه ترتعش، وهذه ليست من طبائع المؤمن"^{٤١٢}.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

ثالثاً: البراءة من الغش والخداع:

"فالمسلم إذا عامل أحداً صدقه، فلا يغش ولا يخدع ولا يزور، والصدق في الأقوال يفضي بصاحبه إلى الصدق في الأعمال والصلاح في الأحوال"^{٤١٣}.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ [الحجرات: ١٥].

وإنّ ديننا العظيم، هو الذي ربّ أصحابه ووصاهم بضرورة احترام العقود، وضرورة إنفاذ شروطها، فـ"المسلمون عند شروطهم" كما دلنا على ذلك رسولنا الكريم ﷺ.

المطلب الثالث: الأمانة:

الأمانة: لغة "ضد الخيانة، ومعناها سكون القلب"^{٤١٤}. وهي مأخوذة من الأمن الذي هو ضد

الخوف، لأن الأمانة لا يخاف عليها، لأنها توضع عند أمين"^{٤١٥}.

^{٤١٢} سعد الدين، الأخلاق في الإسلام، مرجع سابق ص ١٨٢.

^{٤١٣} سعد الدين، الأخلاق في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٨٤.

^{٤١٤} ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، مرجع سابق، ج ١، ص ١٣٣.

^{٤١٥} الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مرجع سابق، ج ٤، ص ١٩٧.

والأمانة اصطلاحاً: "هي: صيانة الإنسان عن كل ما ينبغي صيانته، من حقوق أو فروض أو واجبات أو حدود، أو أشياء مادية أو معنوية، سواء كانت لله تعالى، أم للناس"^{٤١٦}.

ومن هنا، فـ"خلق الأمانة، داخل في كل ما افترضه الله على عباده، كالصلاة والزكاة والصيام وأداء الودائع، وأوكد الودائع كتم الأسرار"^{٤١٧}.

وهي خلق جليل من أخلاق الإسلام، نال من القرآن الكريم اهتماماً كبيراً، حتى بلغت الآيات المتحدثة عنه زهاء سبعة وأربعين آية.

والأمانة فريضة عظيمة حملها الإنسان، بينما أبت السماوات والأرض والجبال أن يحملنها لعظمتها وثقلها.

يقول تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ﴾ [الأحزاب: ٧٢]

والنبي ﷺ يؤكد على موضوع الأمانة بقوله: "لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له"^{٤١٨}. والإسلام الذي يهدف إلى تحقيق خيرية الإنسان في كل أمر من أمور حياته، يؤكد على التزام الأمانة، كسبيل لتحقيق ذلك، فيقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨].

"وهذا يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان، من حقوق الله عز وجل، على عباده، من الصلوات والزكوات، والكفارات والنذور والصيام، وغير ذلك، مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك مما يأتمنون به بعضهم على بعض"^{٤١٩}.

^{٤١٦} الشرباصي، أحمد، موسوعة أخلاق القرآن، ط٣، د.ت، دار الرائد العربي، بيروت، ج١، ص١٥.

^{٤١٧} ينظر الكفوي، الكليات، معجم المصطلحات والفروق اللغوية، مرجع سابق، ص١٧٦.

^{٤١٨} ابن حبان، صحيح ابن حبان، مرجع سابق، ذكر خير يدل على أن المراد بهذه الأخبار نفي الأمر عن الشيء للنقص عن الكمال،

ح١٩٤، ج١، ص٤٢٢، والبيهقي، السنن الكبرى، مرجع سابق، باب الوفاء بالعهد، ح١٨٦٣١.

^{٤١٩} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج٢، ص٣٣٨.

ومن الفضائل التربوية للأمانة:

ومن الفضائل التربوية للأمانة، ما يأتي:

أولاً: تحمّل المسؤولية:

المسئولية مأخوذة من السؤال، وقد عرفها البعض بأنها " تحمل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العملية، من الناحية الإيجابية والسلبية، أمام الله في الدرجة الأولى، وأمام ضميره في الدرجة الثانية وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة"^{٤٢٠}.

والربط بين المسئولية والأمانة، لأن " كل إنسان مسئول عن شيء يعتبر أمانة في عنقه، سواء أكان حاكماً أم والدًا أم ابناً، وسواء أكان رجلاً أم امرأة فهو راعٍ ومسئول عن رعيته، قال ﷺ: "ألا كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راعٍ وهو مسئول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته وهو مسئول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها"^{٤٢١} وولده وهي مسئولة عنهم، والعبد راعٍ على مال سيده وهو مسئول عنه، ألا فكلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته"^{٤٢٢} ٤٢٣

والمسلم يؤدي ما عليه على خير وجه، فالعامل يتقن عمله ويؤديه بإجادة وأمانة، والطالب يؤدي ما عليه من واجبات، ويجتهد في تحصيل علومه ودراسته، ويخفف عن والديه الأعباء، وهكذا يؤدي كل امرئٍ واجبه بمجد واجتهاد.

ولهذا فهي من أشد الأمور التصاقاً بالأمانة.

^{٤٢٠} يالجن، جوانب التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٣٣١.

^{٤٢١} بعلها: زوجها.

^{٤٢٢} البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، ح ٨٥٣، وأبو داود، سنن أبي داود، مرجع سابق، كتاب الخراج والفيء والإمارة، باب ما يلزم الإمام من حق رعيته، ح ٢٩٢٨.

^{٤٢٣} الغزالي، خلق المسلم، مرجع سابق، ص ٢٢.

ومن فضائلها التربوية: "أنها تجعل المسلم متحملاً لما يترتب على أدائه للتكاليف الشرعية الواجبة من العبادات والمعاملات، وما ينتج عن التزاماته وقراراته واختياراته الشخصية العملية أمام الله تعالى .. فوجود الأمانة تصان حقوق الله تعالى، وحقوق الناس، وتحرس بها الأعمال من دواعي التفريط والإهمال" ^{٤٢٤}.

ثانياً: الإلتزام بالتكاليف الشرعية.

فـ "المسلم يلتزم بالتكاليف، فيؤدي فروض الدين كما ينبغي، ويحافظ على الصلاة والصيام وبر الوالدين، وغير ذلك من الفروض التي يجب علينا أن نؤديها بأمانة لله رب العالمين" ^{٤٢٥}.

قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

ثالثاً: المحافظة على طهارة الجوارح:

"فالمسلم أن يعلم أن الجوارح والأعضاء كلها أمانات، يجب عليه أن يحافظ عليها، ولا يستعملها فيما يغضب الله - سبحانه -؛ فالعين أمانة يجب عليه أن يعضها عن الحرام، والأذن أمانة يجب عليه أن يجنبها سماع الحرام، واليد أمانة، والرجل أمانة... وهكذا." ^{٤٢٦}.

قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

"وسبل الإدراك وهي السمع والبصر والفؤاد، لمعرفة أحوال البيئة التي يعيش فيها، وجعل الله العقل للإنسان مفتاح الفهم وتمييز الخير من الشر، والنفع من الضرر، والله أمدكم أيها الناس بهذه النعم لتشكروا

^{٤٢٤} سعد الدين، الاخلاق في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٨٨.

^{٤٢٥} الغزالي، خلق المسلم، مرجع سابق، ص ٢١.

^{٤٢٦} المرجع السابق، ص ٢١.

نعم الله عليكم، باستعمال كل عضو فيما خلق من أجله، ولتتمكنوا من عبادة ربكم، وتطيعوه فيما أمركم، وليس الشكر مجرد تردد التعبير باللسان، وإنما امتثال لحكم الله وأمره^{٤٢٧}.

رابعاً: حفظ العقل:

"ومن فروع الأمانة حفظ العقل، والمحافظة عليه من التلف، وتنظيمه بالعلم والمعرفة، وإطلاقه من قيود الجهل والجمود، ومن ردود الفعل، وعقد النفس، ودوافع العصبية، والانتصارات للذات والسير مع الأغراض والأهواء^{٤٢٨}."

وحرص الإسلام على مكتسبات العقل من المعرفة، أن تقوم على التفكير، والتدبير، والتأمل، السليم، والتبصر النير في الأمور، "لأن العقيدة الإسلامية دعت إلى توخي الحقائق الصحيحة، بالاستناد إلى الحجة والبرهان^{٤٢٩}:"

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ

﴾ [يونس: ١٠١].

أي: "قل انظروا ماذا في السماوات والأرض، من الآيات الدالة على حقيقة ما أدعوكم إليه من التوحيد، ..^{٤٣٠}."

^{٤٢٧} الزحيلي، د. وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط، ط ١، ١٤٢٢هـ، دار الفكر دمشق، ج ٢، ص ١٢٨٦.

^{٤٢٨} العجوز، مناهج الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٦٥.

^{٤٢٩} ينظر المرجع السابق، ص ٦٥.

^{٤٣٠} القرطي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج ١١، ص ٢٠١.

وينشأ عن هذا، "أن يصبح المؤمن ذا نظرة واعية لجميع ما حوله، مستبصرا فيما بين يديه من حقائق الإيمان"^{٤٣١}، مهتديا إلى الطريق المستقيم، متحققا بالإيمان الصحيح. مستقيما على منهج الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ.

خامسا: نبيل ثقة الناس ومحبتهم:

فمن اتصف بخلق الأمانة، وراعى عهده مع الناس، أحبه الناس ووثقوا به، ولهذا كان من الفضائل التربوية للأمانة " إيجاد الثقة والطمأنينة بين أفراد المجتمع، وتقوية أواصر المحبة والأخوة والتعاون بينهم"^{٤٣٢}

" مثلما فعل الرسول ﷺ مع المشركين، فقد كانوا يتركون ودائعهم عند الرسول ﷺ ليحفظها لهم؛ فقد عُرِفَ الرسول ﷺ بصدقه وأمانته بين أهل مكة، فكانوا يلقبونه قبل البعثة بالصادق الأمين، وحينما هاجر الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة، ترك علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- ليعطي المشركين الودائع والأمانات التي تركوها عنده"^{٤٣٣}.

المطلب الرابع: العفة:

العفة: "هي كف النفس عن المحرم، وعمّا لا يحل للإنسان فعله"^{٤٣٤}.

^{٤٣١} العجوز، مناهج الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٦٥. وينظر سعد الدين، الأخلاق في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٨٩.

^{٤٣٢} سعد الدين، الأخلاق في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٩٠.

^{٤٣٣} الغزالي، خلق المسلم، مرجع سابق، ص ٢٢.

^{٤٣٤} حقي، مصطفى إبراهيم، المنتقى من الفوائد الإيمانية، مرجع سابق، ص ٢٦٤.

والمسلم يعف يده ورجله وعينه وأذنه وفرجه عن الحرام فلا تغلبه شهواته، وهو في هذا ممتثل لأمر الله سبحانه وتعالى، وهو الذي لا يأمره بشيء إلا بما يحقق المصلحة الله، ويدفع المضرة عنه.

ومن الفضائل التربوية للعفة:

أولاً: حفظ الحواس والجوارح عن الوقوع في الحرام:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا

﴿ [الإسراء: ٣٦]

" ولا تتبع - أيها المرء - ما لا علم لك به من قول أو فعل ، فلا تقل : سمعت ، وأنت لم تسمع ، أو علمت ، وأنت لم تعلم ، فإن نَعَمَ السمع والبصر والقلب يسأل صاحبها عما يفعل بكل منها يوم القيامة

٤٣٥١

ولذلك يسأل المرء عن كل حواسه وأعضائه في استعماله لها، كان قد استعملها في غير مرضي الله تعالى.

والعفيف تظهر عفته فيها كلها، وتعود عليه عفته بالخير في الدنيا والآخرة، ممتثلاً أمر الشارع الحكيم،

وقد "أمره الله تعالى أن يعف نفسه ويحفظ فرجه حتى يتيسر له الزواج" ٤٣٦، فقال تعالى: ﴿وَلَيْسَتَعَفِيفِ الَّذِينَ

لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النور: ٣٣] ..

وأمره أن يستر جسده، ويتعد عن إظهار عوراته؛ والمسلمة العفيفة تلتزم بالحجاب، لأن شيمتها العفة

والوقار، وقد قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لَأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْنَّ مِنْ

جَلْبَابِهِنَّ ذَلِكَ آدَبٌ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذِنَنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩] ..

٤٣٥ لجنة من علماء الأزهر، تفسير المنتخب، ج ١، ص ٤٧٣.

٤٣٦ ينظر سعد الدين، الأخلاق في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٨٩.

"وبذلك يتطهر الإنسان والمجتمع من الشرور والآفات، ومن انتشار الفساد والأمراض الفتاكة كالإيدز والزهري، والسيلان ونحوها، لأنها تدعو المسلم للإمتناع عن المحرمات والنواهي الشرعية".^{٤٣٧}

قال تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَهْرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠].

"أي قليله وكثيره، سره وعلايته، فيدخل فيه المعصية، ونكاح ذوات المحارم".^{٤٣٨}

وأمره أن يعف عن أموال غيره لا يأخذها بغير حق .

"فقد طلب الله تعالى من المسلم، أن يكف يده عن الحرام، ويحفظ بطنه من الشراهة، وكثرة تناول الطعام، وحفظها من أكل ما حرم الله سبحانه وتعالى، وحفظ الفرج من الزنا والرفث"^{٤٣٩}.

قال تعالى: ﴿كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [البقرة: ٥٧] .

"وأمر الله تعالى المسلم أن يتعفف عن مال اليتيم إذا كان يرعاه ويقوم على شئونه، فإن كان غنياً فلا يأخذ منه شيئاً، بل ينميّه ويحسن إليه طلباً لمرضاة الله -عز وجل-، يقول تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا﴾

[النساء: ٦]

وأمره أن يعف نفسه ويمتنع عن وضع اللقمة الحرام في جوفه، لأن من وضع لقمة حراماً في فمه لا يتقبل الله منه عبادة أربعين يوماً، وكل لحم نبت من حرام فالنار أولى به، يقول تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

وسئل النبي ﷺ: أي الإسلام أفضل؟ فقال الله ﷻ: "مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ"^{٤٤٠}

^{٤٣٧} ينظر حقي، المنتقى من الفوائد الإيمانية، مرجع سابق، ص ٢٦٧.

^{٤٣٨} ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ٣، ص ٣٢٣.

^{٤٣٩} حقي، المنتقى من الفوائد الإيمانية، مرجع سابق، ص ٢٢٤.

^{٤٤٠} البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، باب أي الإسلام أفضل، ح ٦١١٩، ومسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الإيمان، باب بيان تفاضل الإسلام، وأي صورته أفضل، ح ٤٢.

وهكذا يحفظ المجتمع المسلم من البغي، والإعتداء على أموال الناس بغير حق، وما يسببه ذلك من قطع العلاقات بين المسلمين.

وأمر الله تعالى المسلم أن يعف لسانه عن السب والشتم، فلا يقول إلا طيباً، ولا يتكلم إلا بخير، والله تعالى يصف المسلمين بقوله: ﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ [الحج: ٢٤] ويأمرنا الله - سبحانه - أن نقول الخير دائماً، فيقول تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].^{٤٤١}

ولذلك "المؤمن يقلل الكلام ويكثر العمل، بينما المنافق يكثر من الكلام ويقلل من العمل".^{٤٤٢}
 "ومن ثمرات الصمت اكتساب الحكمة، التي يفتقدها صاحب الكلام الكثير، فالصمت يمنح العقل التفكير، ويتيح له التدبُّر والتأمُّل"^{٤٤٣}.

ومن صفات المؤمنين أنهم يحفظون لسانهم من الخوض في أعراض الناس، ويتعدون عن اللغو في الكلام، قال الله - عز وجل - : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]
 وقال ﷺ: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت"^{٤٤٤}

والإنسان مسئول عن كل لفظ يخرج من فمه؛ حيث يسجله الله ويحاسبه عليه، يقول الله تعالى: ﴿مَا

يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

وكثيراً ما يفضي اللسان إلى إفشاء الأسرار، والاستهانة بحقوق المجالس.

ف"كم من مصالح قطعت، وحبالٍ تقطعت لاستهانة بعض الناس بأمانة المجلس، وعماً يدور به.

^{٤٤١} حقي، المنتقى من الفوائد الإيمانية، مرجع سابق، ص ٢٢٤.

^{٤٤٢} حقي، المنتقى من الفوائد الإيمانية، مرجع سابق، ص ٢٢٤.

^{٤٤٣} حقي، المرجع السابق، ص ٢٢٤.

^{٤٤٤} مالك، الموطأ، مرجع سابق، كتاب صفة النبي ﷺ، باب جامع ما جاء في الطعام والشراب، عن أبي شريح الكعبي رضي الله عنه.

^{٤٤٥} الغزالي، خلق المسلم، مرجع سابق، ص ٧٣.

وقد قال رسول الله ﷺ: "المجالس بالأمانة إلا ثلاث، سفك دم حرام، أو فرج حرام، أو اقتطاع مال بغير حق" ٤٤٦.

وقال عليه الصلاة والسلام: "إن من أعظم الأمانة عند الله تعالى يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته، وتفضي إليه، ثم ينشر سرّها" ٤٤٧.

وقال ﷺ: "لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه" ٤٤٨.

وقال ابن مسعود: والذي لا إله غيره، ما على ظهر الأرض شيء أحوج إلى طول سجن من لسان" ٤٤٩.

"وفي اللسان أكثر من عشرة أخطاء إذا لم يتحكم فيه: وهي: الكذب، والغيبة، والنميمة، والبذاء،

والسب، والشتم، والفحش، والزور، واللعن، والسخرية والإستهزاء، وغيرها..

وأمر الله تعالى المسلم أن يعض بصره عن الوقوع في الحرام، وحرّم النظر إلى المرأة الأجنبية، فقال تعالى:

﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۖ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ

وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ۗ ﴾ [النور: ٣٠-٣١]..

والمعنى: "قل يا أيها النبي للمؤمنين، محذراً لهم مما يوصل إلى الزنا ويعرض للتهم: إنهم مأمورون ألا ينظروا

إلى ما يجرم النظر إليه من عورات النساء ومواطن الزينة منهن، وأن يصونوا فروجهم بسترها وبعدم

الاتصال غير المشروع، ذلك الأدب أكرم بهم وأظهر لهم وأبعد عن الوقوع في المعصية والتهم. إن الله عالم

أتم العلم بجميع ما يعملون ومجازيهم على ذلك" ٤٥٠.

^{٤٤٦} أبو داود، سنن أبي داود، مرجع سابق، كتاب الأدب، باب في نقل الحديث، ح ٤٨٦٩، والترمذي، سنن الترمذي، أبواب البر

والصلة، باب ما جاء في إمطة الأذى عن الطريق، ح ٢٠٩٥١.

^{٤٤٧} مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب النكاح، باب تحريم إفشاء سرّ المرأة، ح ٤٣٧١، وأبو داود، سنن أبي داود، مرجع

سابق، كتاب الأدب، باب ما جاء في نقل الحديث، ح ٤٨٧٠.

^{٤٤٨} أحمد. المستند، مستند أنس بن مالك رضي الله عنه،

^{٤٤٩} الغزالي، خلق المسلم، مرجع سابق، ص ٧١.

^{٤٥٠} لجنة من علماء الأزهر، تفسير المنتخب، مرجع سابق، ج ١، ص ١٠١.

وهكذا، حذر الله تعالى الإنسان من أن يطلق لحواسه العنان، بلا ضابط شرعي أو أخلاقي، بحيث لا يغض بصرا، ولا يحفظ حرمة، أو أن تقوم حواسه بما يذم به الإنسان.

ومن فوائد غض البصر أنه "يورث نور القلب والفراسة"^{٤٥١}، بخلاف الذين يتجرؤون على حرمان الله.

فقد قال الله تعالى عن قوم لوط: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

بينما "التعلق بالصور يوجب فساد العقل، وعمى البصيرة"^{٤٥٢}.

وذكر الله سبحانه وتعالى آية النور عقيب آيات غض البصر، فقال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ...﴾ [النور: ٣٥].

أضف إلى هذا، أن غض البصر يورث قوة القلب وثباته وشجاعته..

إذ يجعل الله سبحانه وتعالى لمن غض بصره سلطان البصيرة مع سلطان الحجة، وجعل العزة لمن أطاعه، والذلة لمن عصاه"^{٤٥٣}.

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون:

٨].

وفي ذلك حفظ النفس من الوقوع في الزلات، "فأكثر الذين يفقدون عفتهم، يتبعون نزواتهم، ويعيشون للمتعة وحدها بلا ضوابط ولا أخلاق، همهم الدنيا، ومتع الدنيا"^{٤٥٤}.

^{٤٥١} حقي، المنتقى من الفوائد الإيمانية، ص ٣٤.

^{٤٥٢} المرجع السابق، ص ٣٤.

^{٤٥٣} حقي، المنتقى من الفوائد الإيمانية، مرجع سابق، ص ٣٤.

^{٤٥٤} سعد الدين، الأخلاق في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٧٦.

يقول الله تعالى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوِ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا

وَيُلْهِمُهُمُ الْأَمْلَ فَسَوْفَ يَعْمُونَ ﴿٣﴾ [الحجر: ٢-٣].

وأمر الله تعالى المسلم أن يعف نفسه عن سؤال الناس إذا احتاج، فلا يتسول ولا يطلب المال بدون عمل، وقد مدح الله أناساً من الفقراء لا يسألون الناس لكثرة عفتهم، فقال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ

أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴿٢٧٣﴾ [البقرة: ٢٧٣].

"فقوله تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ أي: الجاهل بأمرهم وحالهم يحسبهم

أغنياء، من تعففهم في لباسهم وحالهم ومقالمهم. ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾ أي: بما يظهر لذوي الأبواب من

صفتهم، كما قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ [الفتح: ٢٩] ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ

إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣]. أي: لا يلحون في المسألة ويكلفون الناس ما لا يحتاجون إليه، فإن من سأل

وله ما يغنيه عن السؤال، فقد ألحف في المسألة"٤٥٥.

وقال الله ﷻ: "اليد العليا خير من اليد السفلى، وابدأ بمن تعول وخير الصدقة ما كان عن ظهر غنى،

ومن يستعفف يُعفه الله، ومن يستغن يُغن الله" ٤٥٦

ومن العفة، عفة المسلم عن التظنر والتطلع إلى ما لدى الغير من متع الحياة الدنيا، من مختلف الأصناف،

وفي ذلك قوله تعالى:

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفِثَنَّهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ

﴿[طه: ١٣١]. ٤٥٧﴾

٤٥٥ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ١، ص ٧٠٤.

٤٥٦ مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر، ح ١٠٣٥، وأبو داود، سنن أبي داود، كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة، ح ١٦٤٤.

يضاف إلى ذلك عفة المسلم عن ممارسة ما لا يليق بالإنسان أن يفعله، مما لا يتناسب مع عقيدته الإسلامية، ومكانته الاجتماعية، ومما لا يرضاه الناس من الدناءات، كالجشع في الولائم، والتسابق إلى التجارة، ومزاحمة صغار الكسبة في مجالهم القليلة الموارد والأرباح^{٤٥٨}.

وفي هذا، تمثل كامل بخلق المروءة، فـ"من علامات وجود العفة في النفس البشرية السويّة، "فالمسلم الحق عفيف مستغن، لا يتطلع إلى المسألة، ولا يريق ماء وجهه، بل يصون كرامته، ويحفظ ماء وجهه، مهما ساءت به الظروف، وألمّ به سوء الأحوال، فنجدته يتذرّع بالصبر حتى يفك الله عنه الضيق، ومن توكل على الله جعل الله له مخرجا، ورزقه من حيث لا يحتسب"^{٤٥٩}.

ثانيا: قوة الإرادة:

"ذلك أن العفاف يتطلب قدرا كبيرا من الإرادة القوية والعزيمة الصادقة، ليقهر سلطان الهوى..

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾

[النازعات: ٤٠ - ٤١]..

فمن وجدت عنده فضيلة العفة، واستطاع تمميتها، اكتسب قوة في الإرادة، وشجاعة منقطعة النظير. ولهذا، فالعفة من الأسس الهامة لبناء الشخصية الإسلامية، فهي التي تمكن المسلم من التحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل^{٤٦٠}.

وهكذا باقي أخلاق الإسلام.

^{٤٥٧} عليان، الأخلاق في الشريعة الإسلامية. الرياض: دار النشر الدولي لنشر والتوزيع. الرياض، ص ٢١٥..

^{٤٥٨} حقي، المنتقى من الفوائد الإيمانية، ص ٢٦٤.

^{٤٥٩} سعد الدين، الأخلاق في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٧٦.

^{٤٦٠} حقي، مصطفى إبراهيم، المنتقى من الفوائد الإيمانية، ط ١، ٥١٤٢٤، ٢٠٠٣م، دار طويق للنشر والتوزيع، ص ٢٦٧.

المطلب الخامس: التواضع:

التواضع لغة: "التذلل" ^{٤٦١}.

و اصطلاحاً: "هو خفض الجناح ولين الجانب" ^{٤٦٢}.

وقيل: "التواضع أن لا ترى لنفسك قيمة فمن رأى لنفسه قيمة فليس له في التواضع نصيب" ^{٤٦٣}.

وقد عني القرآن الكريم بالتواضع عنايةً كبيرةً، فحث عليه، ونوّه بأهله، وحذّر من ضده .

قال تعالى: ﴿وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء:

٣٧].

"فنهى سبحانه عن التجبر والتبختر في المشية منبها إلى أن الإنسان لن يستطيع قطع الأرض أو بلوغ

طول الجبال بهذا التمايل والتفاخر والعجب بالنفس" ^{٤٦٤}.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾

[لقمان: ١٨]

"فيحذر سبحانه على لقمان الحكيم من تصعير الخد إي إمالته للناس كبراً عليهم وإعجاباً واحتقاراً

لهم ، ثم يدلهم على طريق الخلق القويم وهو القصد في المشي إي التوسط فيه بين الإسراع والبطء وكذلك

غض الصوت إي إنقاصه بحيث لا يتكلف رفع الصوت والمراد بذلك التواضع" ^{٤٦٥}.

والتواضع من اجل أخلاق المؤمنين .

^{٤٦١} ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ٨، ص ٣٩٧.

^{٤٦٢} ابن القيم، مدارج السالكين، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٢٥.

^{٤٦٣} المرجع السابق، ج ٢، ص ٣٢٩.

^{٤٦٤} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٣، ص ٤١.

^{٤٦٥} القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مصدر سابق، ج ١٤، ص ٧١.

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا

سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣]

"وهذا في مقام ذكر صفات عباد الرحمن، وصفهم سبحانه بأنهم يمشون هينين، في تَوَدُّه وسكينته ووقار وحسن سميت، لا يضربون بأقدامهم أشراً وبطراً" ^{٤٦٦}.

فهذه صفات المؤمنين الكامل، أن يكون أحدهم متواضعا لأخيه ووليه، متعززا على خصمه وعدوه، كما

قال تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ﴾ [الفتح: ٢٩] ^{٤٦٧}.

-عن عياض بن حمار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا

يفخر أحد على أحد" ^{٤٦٨}

والتواضع من الأخلاق التي تظهر على الإنسان عند مخالطة الناس ومجالستهم والاحتكاك بهم، ولذلك

وضع العلماء له مؤشراً بأن يكون الإنسان في حال يرى أن كل من مر به في طريقه له الفضل عليه، وهذا

منتهى التواضع" ^{٤٦٩}.

ومن الفضائل التربوية للتواضع:

أولاً: كسب محبة الآخرين وودهم:

فالمتواضع كما هو حبيب إلى الله تعالى، هو حبيب إلى عباد الله.

^{٤٦٦} الألويسي، روح المعاني، مرجع سابق، ج ١٩، ص ٤٤.

^{٤٦٧} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ٢، ص ٧١.

^{٤٦٨} مسلم، شرح المنهاج على صحيح مسلم بن الحجاج، مرجع سابق، ج ١، ص ٩٣، وغمط الناس: أي احتقارهم وبطرح الحق إي دفعه وإنكاره ترفعا وتجبرا".

^{٤٦٩} المحاسبي، حارث بن أسد، أداب النفوس، تحقيق: عبدالقادر عطا، دار الجليل، بيروت، ج ١، ص ١٨٦.

"فالتواضع يسلم على الصغير والكبير، والشريف والوضيع، ويقبل بوجهه وقوله، لقضاء حاجة ذي الحاجة"^{٤٧٠}.

"والتواضع هو أحد الصفات الأساسية التي تساعد على المعاشرة الحسنة، لأن "التواضع يعيش مقدرًا لنفسه وللناس، ومقدرًا من الآخرين، ومن هذا المنطق لا يبدو متعالياً قط، ولا يكون ضيعاً أبداً، ويحسُّ أنَّ المساواة الأصيلة هي الروح المسيطرة، فيألف ويؤلف، ويأنس ويؤتنس به"^{٤٧١}.

ثانياً: تحقيق العزة والرفعة:

"فمن تواضع لله ولعباد الله، كانت جميع اجتماعاته بالناس مغنماً، يكسب بها الخيرات والمثوبة من الله تعالى"^{٤٧٢}.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاء، وما تواضع أحد لله إلا رفعة"^{٤٧٣}.

ثالثاً: سلامة الفهم، وصحة المعرفة:

"ينشأ التواضع في النفس بسبب يقينها بأنها والناس جميعاً من نفس واحدة، وما انقسمت إلى القبائل والشعوب إلا لأجل التعارف واللقاء والتآلف، حفاظاً على ما يمليه الإحساس الواقعي بالأصل الواحد، واتباعاً لتعاليم الله تعالى الذي كفل للناس فرصة متكافئة، فلا يتميِّزون بخلقهم، أو بلوهم، أو ثقافتهم، وإنما

^{٤٧٠} ينظر حقي، المنتقى من الفوائد الإيمانية، مرجع سابق، ص ٢٤٥.

^{٤٧١} غلوش، الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤٥٦.

^{٤٧٢} حقي، المنتقى من الفوائد الإيمانية، مرجع سابق، ص ٢٤٦.

^{٤٧٣} حقي، المنتقى من الفوائد الإيمانية، مرجع سابق، ص ٢٤٦.

جعل التمايز تابعاً للإيمان والعمل، وحتى مع التميّز بالإيمان والعمل، فإنّ المتواضع يرى ضرورة التمسك بالتواضع حتى النهاية لما يحققه من فائدة^{٤٧٤}.

قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ

اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ [الحجرات: ١٣].

فالجميع من أصل واحد، والتفرق للتعارف، والكريم هو التقى، والذي يحكم بالدرجة الصادقة هو الله

العليم الخبير، أما هذا الذي يتعالى حتى ولو بتقواه، فلا يعتدُّ به، لأنّه زكى نفسه مخالفاً أمر الله القائل: ﴿فَلَا

تُرْكُوا أَنْفُسَكُمْ ﴿٣٢﴾ [النجم: ٣٢] ^{٤٧٥}.

ثم، إن "المتواضع لا يتكبر على كلمة الحق، ولو كانت عند أجهل الناس، ويبحث عن الحكمة، ولو

كانت صادرة من فم صبي يقبلها"^{٤٧٦}.

ولله در اخلاق الإسلام، بكل ما فيها من توجيهات وفضائل.

^{٤٧٤} ينظر غلوش، الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤٥٧.

^{٤٧٥} غلوش، الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤٥٤.

^{٤٧٦} ينظر حقي، المنتقى من الفوائد الإيمانية، مرجع سابق، ص ٢٤٦.

المطلب الأول: النهي عن إحتقار المسلم لأخيه المسلم، أو الانتقاص من قدره:

الاحتقار لغة: " من حقر الشيء، أي قلل من شأنه، ونسبه إلى الحقارة..

واصطلاحاً: هو أن يستصغر شخص شخصاً آخر، وما يصدر عنه من معروف يسديه، أو هدية يعطيها"^{٤٧٧}.

"والإحتقار بكل مظاهره وأسمائه وأصنافه، سلوك تهدمي لا ينطوي على أي خير أو تقويم للشخص المحتقر خاصة، ولا للوضع الاجتماعي عامة ، بل هو ينطوي على نقيض ذلك ، إذ هو يحمل إلى المجتمع بذور الحقد وأسباب التصدع و التدابر، جراء التماس النقائص والعيوب، بدل استشعار الفضائل والمحسن . أو تقويم الأخطاء بوجه من الإصلاح والنقد"^{٤٧٨} .

ولهذا، نهي الإسلام نهيًا شديدًا عن احتقار المسلم وازدراءه.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِّن نِّسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

أي: لا يسخر رجال منكم من رجال آخرين ، عسى أن يكونوا عند الله خيراً من الساخرين . ولا يسخر نساء مؤمنات من نساء مؤمنات عسى أن يكنَّ عند الله خيراً من الساخرات ﴿ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ﴾ ولا يعب بعضكم بعضاً ، ولا يدعُ الواحد أحاه بما يستكره من الألقاب . ﴿ بئسَ الأسمُ الفسوقُ بعدَ

^{٤٧٧} ابن حميد وأخرون، موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم ﷺ مرجع سابق، ج ١، ص ٤.

^{٤٧٨} البوطي، من أسرار المنهج الرباني، مرجع سابق ، ص ١٦.

﴿يُؤْمِنُونَ﴾ بِئْسَ الذِّكْرُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَنْ يُذَكَّرُوا بِالْفُسُوقِ بَعْدَ اتِّصَافِهِمْ بِالْإِيمَانِ ، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَنْبَأْ فَأُولَئِكَ هُمُ

الظَّالِمُونَ﴾ وَمَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَمَّا نَهَى عَنْهُ فَأُولَئِكَ هُمْ - وَحْدَهُمْ - الظَّالِمُونَ أَنفُسَهُمْ وَغَيْرَهُمْ^{٤٧٩}

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه

المسلم"^{٤٨٠}.

والإحتقار أثر من آثار الجهل بالنفس والغرور بها ، وهو دليل الكبر والعجب بالنفس، وعادة ما يؤدي

المحتقرين الآخرين فيتسلطون عليه.

وهو على جميع الأحوال " يفسد المودّة، ويقطع أواصر القربى، ويجعل صاحبه منعزلاً، مكروهاً من

الناس"^{٤٨١}.

ولا بد من النظر في الدوافع التي تؤدي بالآخرين إلى الإحتقار لمعالجتها.

"فمن أخطر المشاعر المرضية التي تفرز نتائج عدوانية عند الكثير من الناس، هو شعور الإنسان برفض

الآخرين له وعدم احترام شخصيته فمثل هذه المواقف من الآخرين، ومثل هذه المشاعر من الإنسان تصنع

حالة مرضية تزيد في شقائه ومعاناته، لذا دعا الإسلام إلى المواساة والرحمة، وتفقد الغائب، وحثّ على

التزاور، وأكد على زيارة المريض وصلة الرحم والجار واتخاذ الإخوان والأصدقاء، فيما يزرع مشاعر الحب

والاحترام للشخصية الأمر الذي يساهم في بناء السلوك القويم، ويعالج حالات الانحراف"^{٤٨٢}.

^{٤٧٩} لجنة من علماء الأزهر، تفسير المنتخب، صادر عن المجلس الأعلى المصري للشؤون الإسلامية، د، ج ٢، ص ٤٠٤.

^{٤٨٠} مسلم، صحيح مسلم، مرجع سابق، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، ح ٢٥٦٤، ج ٤، ص ١٩٨٦، وأبي داود، سنن أبي

داود، مرجع سابق، كتاب الأدب، ح ٤٨٨٢، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، مرجع سابق، كتاب الزهد، باب البغي،

ح ٤٢١٣، ج ١، ص ٥٢٥.

^{٤٨١} ابن حميد وآخرون، موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم ﷺ، ج ١، ص ٤.

^{٤٨٢} الغامبي، منهج التربية الإجتماعية في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ٥٥.

المطلب الثاني: النهي عن سوء الظن:

سوء الظن: "هو ترجيح جانب الشر على جانب الخير"^{٤٨٣}. لأن الظن: "عبارة عن تردد بين أمرين استويا، أو ترجح أحدهما على الآخر"^{٤٨٤}.

فقد أمرت الشريعة الإسلامية المسلم، من الثبوت والتأكد مما يسمع، وحذرت من أن يسارع إلى تصديق كل ما قد يبلغه، فيقع في ندامة من أمره"^{٤٨٥}.

وهذا في قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّأُ الَّذِينَ آمَنُوا أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ [الحجرات ١٢].

فكان الله تعالى يقول للذين آمنوا: ﴿أَجْتَبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾ "ابتعدوا عن كثير من ظن السوء بأهل الخير" ﴿إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾ أي: إثم يستوجب العقوبة"^{٤٨٦}.

ومبعث الأهمية في هذا الأمر، هو ما ينبغي أن يكون عليه المجتمع من التضامن والتآلف وما ينبغي أن يشيع فيه من الوداد، وإلا فإن "سوء الظن يؤدي إلى تفكك المجتمع، والتنافر بين أفرادها، ويكفي أنه طريق إلى الوقوع في أعراض المسلمين"^{٤٨٧}.

لذلك قال رسول الله ﷺ: "حصلتان في الخير ليس بعدهما في الخير خصلة: حسن الظن بالله، وحسن الظن بعباد الله، وخصلتان في الشر ليس بعدهما في الشر خصلة: سوء الظن بالله، وسوء الظن بعباد الله"^{٤٨٨}.

^{٤٨٣} ابن حميد وآخرون، موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم ﷺ، مرجع سابق، ج ٥، ص ١٥٩٧.

^{٤٨٤} التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، مرجع سابق، ج ٣، ص ١٥٤٧.

^{٤٨٥} البوطي، من أسرار المنهج الرباني، مرجع سابق، ص ٩.

^{٤٨٦} لجنة من علماء الأزهر، تفسير المنتخب، ج ٢، ص ٤٠٤.

^{٤٨٧} ينظر ابن حميد وآخرون، موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم ﷺ، مرجع سابق، ج ٥، ص ١٦٠٨.

^{٤٨٨}

المطلب الثالث: النهي عن التجسس:

التجسس لغة: " من جسَّ الخبر، وتجسَّسه، بحث عنه وفحص، والجاسوس: الذي يتجسس الأخبار"^{٤٨٩}.

وإصطلاحاً: "هو أن تتبّع عيب أخيك، فتطلع على سرّه"^{٤٩٠}.

وإنّ من شفافية النظام الإسلامي، ما جاء فيه من محاربة التجسس بكل أشكاله وألوانه، الخفي منه والظاهر، حيث "ترقى القرآن الكريم بالسلوك الاجتماعي إلى الترفع عن البحث عن النقائص في أوساط المجتمع، والتعامل مع الناس وفق ظواهرهم، وعلى أن الأصل فيهم السلامة فجاء النهي عن التجسس لما قد يوصل إليه من نتائج قد تلحق الضرر بالآخرين"^{٤٩١}.

وهذا في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُّبُّ إِلَيْكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ

مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ [الحجرات ١٢].

فقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا ..﴾ أي: ولا تتبعوا عورات المسلمين ﴿أَيُّبُّ إِلَيْكُمْ أَنْ يَأْكُلَ

لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ فقد كرهتموه؟! فاكروهوا الغيبة فإنها مماثلة له ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾

﴿وقوا أنفسكم عذاب الله بامثال ما أمر، واجتنبوا ما نهى. إن الله عظيم في قبول توبة التائبين ذو رحمة

واسعة بالعالمين"^{٤٩٢}.

ومن هنا، لا يصح أن تنتشر في المجتمع الإسلامي المثالي أيّ لون من ألوان الغيبة والنميمة، فقد جاء

منهج التشريع الإسلامي متضمناً النهي عن الغيبة والنميمة وذمها، وقوفاً بوجه الدوافع النفسية غير

السليمة، حيث إنّ العلاقات الاجتماعية ضمن نتائجها التنافس بين الأفراد، والذي قد يترتب عليه الحسد

^{٤٨٩} ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ج ٦، ص ٨.

^{٤٩٠} السيوطي، الدر المنثور، مرجع سابق، ج ٧، ص ٧١.

^{٤٩١} عمق، د. ضو، مفتاح محمد، العقيدة والشريعة في الإسلام، مرجع سابق، ص ٢٠٢.

^{٤٩٢} لجنة من علماء الأزهر، تفسير المنتخب، ج ٢، ص ٤٠٤.

وبالتالي محاولة الاعتداء على الآخرين أو انتقاصهم والنيل من أعراضهم حال غيبتهم، ونقل ما يدار في المجالس بين الناس، مما قد يترتب عليه فساد العلاقات الاجتماعية^{٤٩٣}.

وهو "دليل على ضعف الإيمان، وفساد الخلق، ودناءة النفس، بسبب ما يوغره في الصدور، وما يورثه من فجور، ومن ذلك كشف العورات، واستباحة المحرمات"^{٤٩٤}.
لذلك نهي عنه الإسلام أشد النهي.

المطلب الرابع: النهي عن الغيبة:

الغيبة لغة: "من الاغتيال ، كالغيلة من الاغتيال"^{٤٩٥}.

واصطلاحاً: "أن تذكر أخاك بما يكرهه، لو بلغه، سواء ذكرت نقصاً في بدنه أو في لبسه، أو في خلقه، أو في فعله، أو في قوله، أو في دينه، أو في دنياه، أو في ولده، أو في ثوبه، أو في داره، أو في دابته"^{٤٩٦}.
وقال التهاوني: "ولا تقتصر الغيبة على القول، بل تجري أيضاً في الفعل، كالحركة، والإشارة، والكناية، لما ورد عن عائشة — رضي الله عنها — أنها أشارت بيدها إلى امرأة أنها قصيرة، فقال لها رسول الله ﷺ: "اغتبتها" والتصديق بالغيبة غيبة"^{٤٩٧}.

ولقد حذر الله تعالى من الغيبة أشد تحذير، بضرب تلك الصورة المنفرة للواقع فيه، وفي أمثاله، من احتقار، وسوء ظن، وتجسس، وغيره، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: ولا تتبعوا عورات المسلمين ، ولا يذكر بعضكم بعضاً بما يكره في غيبته ﴿يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ

مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ فقد كرهتموه؟! ..^{٤٩٨}.

^{٤٩٣} البوطي، من أسرار المنهج الرباني، مرجع سابق، ص ٩.

^{٤٩٤} ينظر ابن حميد وآخرون، موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم ﷺ، مرجع سابق، ج ١، ص ٤.

^{٤٩٥} الزمخشري: الكشاف، ج ٤، ص ٣٧٣.

^{٤٩٦} التهاوني، كشاف اصطلاحات الفنون، مرجع سابق، ج ٣، ص ١.

^{٤٩٧} المرجع السابق، ج ٣، ص ١.

^{٤٩٨} لجنة من علماء الأزهر، تفسير المنتخب، ج ٢، ص ٤٠٤.

- وفي تصوير الغيبة بأكل المسلم أخيه المسلم فنون تعبيرية عجيبة تعرض إليها الإمام الزمخشري بالقول:
- "في الآية تمثيل وتصوير لما يناله المغتاب من عرض المغتاب على أفضع وجه وأفحشه. وفيه مبالغات شتى: منها
- أ — الاستفهام الذي معناه التقرير..
- ب — ومنها جعل ما هو في الغاية من الكراهة موصولا بالحبّة. .
- ج — ومنها إسناد الفعل إلى أحدكم، والإشعار بأن أحدا من الأحدين لا يجب ذلك..
- د — ومنها أن لم يقتصر على تمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان ، حتى جعل الإنسان أخا.
- هـ — ومنها أن لم يقتصر على أكل لحم الأخ حتى جعل ميتا..
- وعن قتادة : كما تكره إن وجدت جيفة مدوذة أن تأكل منها ، كذلك فاكره لحم أخيك وهو
- حتى^{٤٩٩} .

ثم عقب ذلك بقوله تعالى: ﴿فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ ..معناه : فقد كرهتموه واستقرّ ذلك. وفيه معنى الشرط ، أى :

إن صحّ هذا فكارهوا الغيبة فإنها مماثلة له ﴿وَأَنْقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ وقوا أنفسكم عذاب الله بامثال ما أمر ، واحتتاب ما نهى . إن الله عظيم في قبول توبة التائبين ذو رحمة واسعة بالعالمين^{٥٠٠} .

والغيبة لها أضرار كبيرة على الفرد والمجتمع، حيث تعتبر بمثابة معول هدم، وهي بحد ذاتها شرٌّ مستطير، ومرض اجتماعي خطير، إذ "إنها تقطع أواصر الحبّة بين المسلمين، وهي دليل ظاهر على حسنة المغتاب ودناءة نفسه"^{٥٠١}، ويتعرض صاحبه إلى أشد العذاب يوم القيامة، إضافة إلى خسارته علاقته مع أفراد جنسه الذي يعيش معهم، فيقطعونه ولا يضافونه أو يحبوه. نسأل الله تعالى العفو والعافية والمعافة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.

^{٤٩٩} الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص٣٧٣.

^{٥٠٠} لجنة من علماء الأزهر، تفسير المنتخب، ج٢، ص٤٠٤.

^{٥٠١} ابن حميد وآخرون، موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم ﷺ، مرجع سابق، ج١، ص٨.

الفصل الخامس:

الفضائل التربوية

في

القدوة الحسنة.

الفصل الخامس:

الفضائل التربوية في القدوة الحسنة:

ويشتمل هذا الفصل على تمهيد، وثلاثة مباحث مهمة:

المبحث الأول: القدوة الحسنة في الأنبياء عليهم السلام:

المبحث الثاني: القدوة الحسنة في سيد الخلق ﷺ:

المبحث الثالث: تطبيقات عملية في الأسوة الحسنة:

تمهيد:

القدوة: "هي الأسوة"^{٥٠٢}. وللأسوة في اللغة، ثلاثة معان، هي:

أ_ المساواة، ومعناها أن يساوي المرء حاله بحال من يقتدي به في عمله وخلقه وشعوره.

وهذا بطبيعة الحال، لا يتحقق في جانب الإقتداء بالرسول عليهم الصلاة والسلام، لأن الكمال الإنساني فقط للرسول ولن يبلغ ما بلغوا وهذه بديهية لا تحتاج إلى مناقشة. ولكن قد يعني أن نساويهم في السير على نفس الطريق التي ساروا عليها، لا أن نسير بنفس سرعتهم ولا أن نبليغ ما بلغوا عليهم الصلاة والسلام، فهم وعلى رأسهم رسول الله ﷺ القمة العالية التي ليس لها مثل على الإطلاق، فالطريق الواحد يسير عليها وسائل النقل المختلفة منها الكبيرة ومنها الصغيرة، منها السريعة ومنها البطيئة وهكذا لكنها جميعا متساوية في السير على نفس الطريق

ب ومن معاني الأسوة، القدوة، كما قال سبحانه ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنِهِمْ أقتَدِهٖ

قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرًا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

فقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ﴾ يعني: الأنبياء المذكورين مع من أضيف إليهم من الآباء والذرية والإخوان وهم

الأشباه ﴿الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ﴾ أي: هم أهل الهداية لا غيرهم، ﴿فَبِهِدْنِهِمْ أقتَدِهٖ﴾ أي: اقتد واتبع..

وإذا كان هذا أمرا للرسول ﷺ، فأتمته تبع له فيما يشرعه لهم، ويأمرهم به^{٥٠٣}.

ج ومن معاني الأسوة، المثل الأعلى، والمراد بالمثل الأعلى النموذج الفائق الذي وصل حد الكمال،

ومثل المنهج أو في تمثيله، بحيث تعتبر الزيادة عليه خروجاً على المنهاج وابتداعاً، لأن هذا السلوك حينئذ

يتضمن معنى الانتقاص من تمثيل القدوة للمنهج^{٥٠٤}.

^{٥٠٢} سعد، هاني صلاح حسن، القدوة في التربية الإسلامية، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التربية، جامعة اليرموك، ص ١١.

^{٥٠٣} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ٣، ص ٢٩٩.

ومن كان هذا مثله، يكون مهيباً لدعوة قومه إلى مجامع الأخلاق الحميدة، ويحذرهم من الأخلاق السيئة، ويسلك بهم إلى أن يكونوا أذكاء صالحين، وهم يرونه المثال الذي يستحق أن يحتذى به في أفعاله وتصرفاته^{٥٠٥}.

ولذا نجد أن وجود الرسول، والذي هو مرشد تربوي، ودليل إلى الخير، مطلوب شرعاً وعقلاً وعملاً في العملية التربوية والروحية، والسلوك الإيماني، والتركية العملية. و"القدوة الحسنة التي يحققها الداعي بسيرته الطيبة هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام، بكل ما يحمله من مبادئ وقيم تدعو إلى الخير وتحث على الفضيلة"^{٥٠٦}.

ولهذا كان الإقتداء به ﷺ وياخوانه النبيين من بعده، حاجة ضرورية ملحة، لأجلها أرسل الله تعالى الأنبياء والمرسلين، من لدن آدم إلى محمد، صلوات الله عليهم أجمعين، ليكونوا قادة للبشرية، وقدوة لها. وكان "كلما طال الزمن، وخلا رسول، وضلت البشرية طريقها، يُرسل الله رسولاً، مجدداً للمبادئ، وموقفاً للضمائر، وبعثاً للهمم، وقائداً وقدوة على الطريق.

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤] .

وجرت سنة الله تعالى، أن يكون المبعوثون إلى الناس بشرا، ليتمكن أتباعهم من تقليدهم، والتأسي بهم، والسير على منهجهم .

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾

[الأنبياء: ٧] .

^{٥٠٤} محاضرة للدكتور احمد نوفل في القصص القرآني مسجلة على شريط كاسيت.

^{٥٠٥} ينظر النقشبندي، الشيخ علاء الدين أمين، ما هو التصوف، ط ١٩٨٨م، الدار العربية ببغداد ص ٧٣. وابن حميد، مبادئ ونماذج

في القدوة، الشيخ صالح، بن عبد الله ابن حميد، د. ط، ص ٨.

^{٥٠٦} ابن حميد، مبادئ ونماذج في القدوة، مرجع سابق، ص ٨.

ومن المعني ذكره، أن بعثة الأنبياء والمرسلين لا يغني عنها العقل، لوجود ما يضاده وهو الهوى، فجعل الوحي مسددا لسلوك الإنسان، ودالا له على أبواب الهدى، ومنها الأخلاق.

يقول سيد قطب رحمه الله تعالى: "ورحمة من الله للإنسان، لم يدعه لاستعداد فطرته الإلهامي، ولا للقوة الواعية المألقة للتصرف، فأعانه بالرسالات التي تضع له الموازين الثابتة الدقيقة، وتكشف له عن موحيات الإيمان، ودلائل الهدى في نفسه وفي الآفاق من حوله، وتجلو عنه غواشي الهوى، فيبصر الحق في صورته الصحيحة"^{٥٠٧} وللحديث عن الفضائل التربوية التي يحققها الاقتداء بالنبين والمرسلين، نفع البحث إلى قسمين، قسم نتحدث فيه عن الفضائل التربوية في القدوة الحسنة في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والقسم الثاني، القدوة الحسنة في سيد الخلق ﷺ، فإلى هناك.

^{٥٠٧} قطب، في ظلال القرآن، ج ٣، ص ٣٩١٨.

المبحث الأول:

القدوة الحسنة في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

قد أشار القرآن الكريم إلى القدوة الحسنة للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ودورهم في التربية

والإصلاح، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ

لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ

بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]

يقول جل جلاله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ﴾

أي بالمفصّلات من البيان والدلائل، أي بالأحكام والشرائع، بالعدل^{٥٠٨}. وبين أن قيام الناس

بالقسط، كان من الأهداف الرئيسة لإرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام .

إضافة إلى دورهم الجليل في تركية النفوس وتنمية الأخلاق الفاضلة فيها، حيث "اتخذ سائر

الأنبياء، عليهم السلام طريق تهذيب النفوس والأخلاق، والتي تكمن فيها سعادة الإنسان، حتى وصل

^{٥٠٨} الطبري، جامع البيان، ج ٢٧٢٨، ص ٢٧٤.

الأمر إلى السيّد المسيح عليه السلام ، حيث كان القسم الأعظم من تعاليمه، هو أبحاثٌ أخلاقيةٌ، فنَعَتَهُ حوارِيّوه و أصحابه بالمعلّم الأكبر للأخلاق^{٥٠٩} وهذا في زمانه عليه الصلاة والسلام.

"والرسل سفراء الله إلى خلقه وحملة الأمانة العظمى إلى عباده ولهذا اختارهم الله من عباده أحسن اختيار ... ليقوموا بوظيفتهم على أتم وجه.."

قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾

[الحج: ٧٥].

اختارهم الله من أوسط قومهم نسباً، وأعلاهم شرفاً، وبرأهم من جميع العيوب الجسمية المشوهة وأعطاهم أكمل صفات الرجولة، من العقول الراجحة، والذكاء الفذ الحاد، واللسان المبين العذب، والحجة القوية الواضحة، والبديهة الحاضرة، وأعطاهم من الشجاعة، وصدق العزيمة، وقوة الإرادة، وشدة البأس، وسعة الصدر، وغير ذلك من المواهب والقدرات، التي لا بد منها لتحمل الرسالة، ثم إبلاغها، ومتابعة الذين تقبلوها بالتوجيه والتربية، حتى يكون المختار لرسالة ربه أكمل الرجال في قومه وقبيلته، وأملأهم للإسماع والإبصار..

ولهذا جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام كانوا قدوة للناس وترجمة حية للعقيدة التي يحملونها لهم، فهم يمثلون الكمال الإنساني في أرقى صورته، في الخلق، والخلق، والمواهب، وكذلك يمثلونه في تحقيق العبودية لله في أنفسهم، إلى غير ذلك من أسباب مهياة للإقتداء^{٥١٠}.

وللتفصيل في أهمية القدوة في الجانب النبوي عموماً، وما لها من دور تربوي، نحدد البحث

ضمن النقاط الآتية:

^{٥٠٩} ينظر الأخلاق الإسلامية، ناصر مكارم الشيرازي، ص ٢٩.

^{٥١٠} الشعراوي، تفسير الشعراوي، د. ط، ج ٢١، ص ٢١٠٧.

المطلب الأول: تحقيق الصلة بالله عز وجل:

لا يخفى ما للأنبياء عليهم الصلاة والسلام من فضائل تربوية جمّة، إيمانية كانت، أو اجتماعية، قدموها لأقوامهم، لتحقيق صلتهم برهم تبارك وتعالى أولاً، ثم لتنظيم شؤون حياتهم المختلفة، وفق المنهج الرباني.

فقد بعث الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إلى أقوام ألفوا من آبائهم معتقدات وعادات وتقاليد خارجة عن الفطرة، وعن السلوك السوي الصحيح، فاحتاجوا إلى الموجهين المرين القدوة.

وأما أهم الفضائل التربوية، التي ظهرت في شخصية الرسل عليهم الصلاة والسلام، لتحقيق الصلة بالله تعالى، وهم يدعون قومهم إلى العقيدة الإسلامية الصحيحة، وتصحيح العبادة والسلوك، فأبرزها ما يأتي:

أولاً: الإخلاص في التوحيد والدعوة إليه:

أول ما بدأ به الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في توجيه الناس إليه هو التوحيد، لما له من أثر تربوي عظيم في توجيه القصد لله وحده، بالدعاء والعبادة، ومن ثم التوكل عليه، وتسليم الأمر له سبحانه وتعالى..

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ولقد أحسن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام القيام بهذا الدور العظيم في دعوة الناس إلى الله تعالى، وتوحيده، وإخلاص العبادة له، "وفاء للحق والقيام على أمره، ومواجهة الناس به، وكان ذلك من أول السمات التي عاش بها رسل الله أجمعين، حتى كان هو الجزء الأساسي في كيانهم كلّهم..

قال تعالى عن سيدنا موسى عليه السلام: ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا

﴿٥١﴾ [مریم: ٥١].

. ووصف الله عز وجل سيدنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب -عليهم السلام- بالإخلاص، فقال تعالى:

﴿وَأَذْكُرُ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذُكِّرَى الدَّارِ

﴿٤٦﴾ [ص: ٤٥-٤٧].

وقد استمر الرسل عليهم الصلاة والسلام في إخلاصهم لدعوة الله تعالى، من توحيد يدعون فيه إلى عبادة الله الواحد القهار، ومن إثبات رسالتهم بالمعجزة، لإثبات الوحي، وتصديق الناس لهم في كل ما يأمرون به، وكل ما ينهون عنه، لا يخافون من اضطهاد، ولا يملون من معارضة الناس، ولا يهتمون بنوعيّة المستمع إليهم^{٥١١}.

فسيّدنا نوح عليه السّلام دعا قومه طويلا، بلا كلل ولا ملل، وكان كلما أعرضوا عنه لم يتركهم،

يشير إلى ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾

قَالَ يَفْعُولُ لِيكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢﴾ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخَخِّرْكُمْ إِلَىٰ آجَلٍ

مُسَمًّى إِنَّ آجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَرْزُقْهُمْ دَعَائِي

إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْصِعُهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَأَسْتَعْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا

أَسْتَكْبَرُوا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ [نوح: ١ - ٩].

وعلى نمط سيدنا نوح كان رسل الله أجمعين، يتصدون للناس في صبر وإصرار، وثبات على الحق.

^{٥١١} غلوش، د. أحمد، الدعوة الإسلامية، د. ط، ت، دار الكتاب المصري، القاهرة، ص ١٥٠.

وهذا سيدنا يوسف عليه الصلاة والسلام، يدخل السجن، بين آصرة قوم لا يعرفون الله تعالى، يدعو إلى توحيد الله تعالى، ولم يخش من بطش القوم الظالمين، مع أن في السجن هو مراقب لكل حركات أهله ولكنه الصدق والإخلاص في الدعوة إلى الله تعالى، فهذا هو يقول لأصحابه في السجن: ﴿يَصْحَبِي السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

وغيرهم من الأنبياء جميعا عليهم الصلاة والسلام، كانوا جميعا يتسمون بالحلم والعفو عن أقومهم".^{٥١٢} ولهذا، كان الإخلاص التام، في سيرة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام شيئا واقعا أبدا، يترجمه الثبات على التوحيد، والصبر في مواجهة الباطل، والحلم على القوم، والعفو والصفح عنهم، لعلهم يوما يدخلون في دين الله تعالى ويرجون اليوم الآخر.

ثانيا: الإنقياد التام بالعبودية:

"إن أعلى درجات الرقي في سلم الكمال الإنساني درجة العبودية الكاملة لله تعالى، والأنبياء عليهم الصلاة والسلام قد حازوا هذا الكمال"^{٥١٣}

"وكما اتفق الرسل عليهم الصلاة والسلام في إثبات وحدانية الله عز وجل، اتفقوا على حتمية التوجه إلى الله الواحد بالعبادة الخالصة، التي تشعر الإنسان المخلوق باحتياجه إلى الله الخالق، وضرورة العيش في حقيقة العبودية وصدقها"^{٥١٤}.

^{٥١٢} سعد الدين، الأخلاق في الإسلام، النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص ١٩٢.

^{٥١٣} الرازي، عصمة الأنبياء، مرجع سابق، ص ٢٢٥، والأشقر، الرسل والرسالات، مرجع سابق، ص ٦٩٧٣.

^{٥١٤} غلوش، الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٥٥.

فهذا سيدنا إبراهيم عليه السلام، يدعو ربه أن يمكنه وذريته من إقامة الصلاة، فيقول: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي

مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾ [إبراهيم: ٤٠].

ومن الأوصاف التي استحق بها سيدنا إسماعيل عليه السلام المدح إقامة للصلاة، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ

يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾ [مريم: ٥٥].

وحيثما كلف موسى عليه السلام بالرسالة، كان أول ما أمر به هو الصلاة، حيث قال الله تعالى له: ﴿وَ

إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

وأمر هو وأخوه هارون عليهما السلام بها، فقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ

بُيُوتًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧].

والصلاة أول ما نطق به عيسى عليه السلام في المهدي، إذ قال: ﴿وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا

﴾ [مريم: ٣١]

ونلاحظ أن الرسل عليهم الصلاة والسلام، يؤمرون بإقامة التكاليف الشرعية، قبل أن يوجهوا الناس إليها،

ليكونوا قدوة بالفعل قبل القول، ومثالا حسنا في التقليد والتعلم.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ

الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٣]

فقله: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً ﴾ أي : يقتدى بهم ، ﴿ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ أي : يدعون إلى الله بإذنه ؛

ولهذا قال : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ أي

: فاعلين لما يأمرون الناس به^{٥١٥}.

ولا شك أن هذا الأمر، موضوع الإنقياد التام بالعبودية ، لدى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بالدرجة الأولى، علاقته المباشرة بخلق الشكر لله تعالى عندهم، "وكان لهم خلقا لازما -صلوات الله عليهم-.

يقول الله تعالى عن سيدنا إبراهيم -عليه السلام-: ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ خَنِيفًا وَلَمْ يَكُ

مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠].

ووصف الله -عز وجل- نوحًا -عليه السلام- بأنه شاكِر، فقال: ﴿ ذُرِّيَّةً مِّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ

كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾ [الإسراء: ٣].

وقال الله تعالى عن سليمان -عليه السلام-: ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ

إِلَيْكَ ظُرْفُكَ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا عِنْدَهُ، قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ۗ أَشْكُرْ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۗ

وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ [النمل: ٤٠].^{٥١٦}

ويعلمنا هذا الخلق لدى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، أن يكون الداعي، قدوة لغيره في طاعة الله

وعبادته، عارفا بحق ربه عليه، قائما بواجباته، على أتم ما يحبُّه الله ويرضاه.

^{٥١٥} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ٥، ص ٣٥٣.

^{٥١٦} سعد الدين، الأخلاق في الإسلام، مرجع سابق، ص ٦٧.

ثالثاً: إسلام الوجه لله، والتوكل عليه:

"الأنبياء عليهم الصلاة والسلام متيني الصلة بالله عز وجل، في يقين وقوة، يدفعهم إيمانهم إلى التفرغ الكامل لمولاهم عز وجل، والإرتباط المطلق به، والتوكل الراسخ عليه، والتسليم التام لكل ما يأتي به من غير ارتياب، أو حرج، لتكون الدعوة بذلك نابعة في قول الواحد منهم وفعله".^{٥١٧}

والتوكل سنة الأنبياء والرسل أجمعين. ومن أعلى مراتب التوكل، التوكل على الله تعالى في إعلاء

كلمة الله، وهو مرتبة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ

وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصِيرَبَكْ عَلَى مَاءٍ آذَيْنُمُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم: ١٢].

وقد كان توكل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، هو المعبر عن صدق إيمانهم بالله عز وجل، فإنه

وكما قال الإمام الغزالي رحمه الله: "اعلم أن التوكل من أبواب الإيمان وجميع أبواب الإيمان لا تنتظم إلا

بعلم، وحال، وعمل، والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الأصل، وعمل هو الثمرة، وحال هو المراد باسم

التوكل"^{٥١٨}

يقول الحق تعالى على لسان سيدنا إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ

نَفْسَهُ. وَلَقَدْ أَصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ

الْعَالَمِينَ ﴾ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنَئِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ

مُسْلِمُونَ ﴾ (١٣٢) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ

إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (١٣٣) [البقرة: ١٣٠

. [١٣٣

^{٥١٧} غلوش، الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤٤١.

^{٥١٨} الغزالي، إحياء علوم الدين، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢١١.

ويظهر في الآية الكريمة، موقفا جليلا لسيدنا إبراهيم وسيدنا يعقوب عليهما السلام، اللذين عاشا طيلة حياتهما مسلمين وجههما لله عز وجل، ثم لما حانت منيتهما، لم يقر لهما قرار، وعلموا أنهما لن يهدأ لهما حفن، حتى يرسخوا معاني التسليم في قلوب أبنائهما، مما كان له أكبر الأثر في نفوس أتباعهم، الذين وجدوا المصداقية المطلقة، لما ينادي به هؤلاء الأنبياء، من شيء عاشوا عليه، وماتوا عليه.

وهكذا كان تسليم الرسل المطلق في التمثيل بعبادة الله تعالى، يعلمنا أن المؤمن قائم بمقتضيات عقيدته، في جميع المعاني والمباديء التي تدعوه إليها، ثابت في عقيدته، قائم بعبوديته لربه على الوجه الحق، راسخ في إيمانه، يضحى بالغالي والنفيس لأجل هذه العقيدة، التي هي بالنسبة له بمثابة الروح من الجسد، والتي من خلال ثباته عليها يقنع المدعويين بصدقها، وحقيقة ما جاءت لأجله.

رابعا: الصبر في الدعوة إلى الله تعالى:

ضرب أنبياء الله -صلوات الله عليهم- أروع الأمثلة في الصبر وتحمل الأذى من أجل الدعوة إلى الله، وقد وصف الله -تعالى- كثيرا من أنبيائه بالصبر، فقال تعالى: ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ

مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ [الأنبياء: ٨٥ - ٨٦].

وتحمل أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام، كل أنواع الأذى والإضطهاد من أقوامهم، فلم يزداهم ذلك إلا ثباتا وضحية لأجل دين الله تعالى:

قال الله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرْنَا وَأُولُو الْعُرْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا

يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلِّغْ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾ [الأحقاف: ٣٥]

[الأحقاف: ٣٥].

وكان على رأس هؤلاء الأنبياء الصابرين، أولو العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام.

وأولو العزم من الرسل هم: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، وسيدنا محمد عليهم الصلاة والسلام^{٥١٩}

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَأُذُوا حَتَّىٰ أَنهَم نَصْرًا وَلَا مُبَدِّلَ

لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبَائِ الْمُرْسَلِينَ ﴿[الأنعام: ٣٤].

والخليل عليه الصلاة والسلام، قصته معروفة مع أبيه وقومه، وصبره على أذاهم، وتحمله الكثير من أبيه،

ودعائه له بالغفران..

قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُا مِنكُمْ وَمِمَّا

تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ

لِأَبِيهِ لَا سْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ [الممتحنة:

[٤]

والعجيب في الأمر، أن الصبر الذي أبداه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في سبيل الله تعالى، إقترن

بالحلم والعفو عن أقوامهم.

فهذا سيدنا نوح عليه السلام عصاه قومه، ومكروا مكرا كبيرا، فما كان منه إلا أنه دعا الله بالغفران

لمن تبعه .

قال تعالى، حكاية عن سيدنا نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلُ

السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَسِّنُّ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ [نوح: ١٠ - ١٢].

^{٥١٩} الأبيشي، شهاب الدين، محمد بن أحمد أبي الفتح، المستطرف من كل فن مستظرف، شرح. د. مفيد قمحية، ط ١، ١٤١٣هـ،

١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ٥٦٥.

وهكذا كان صبر الانبياء عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم، في حمل هم الدعوة، وإشغال الفكر بجميع الوسائل المناسبة لخدمة هذا الجهد من الدين، مع كل ما تحملوه من أذى قومهم واضطهادهم لهم وأتباعهم، يعلمنا أن الداعية إلى الله تعالى لا يأل جهدا، ولا يدخر طاقة لإيصال الناس إلى طريق الحق، مهما كلفه ذلك الأمر، فكله يهون في سبيل مرضاة الله عز وجل، وإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد، إلى عبادة ربّ العباد تبارك وتعالى.

خامسا: رجاء اليوم الآخر، والخشية من الله تعالى:

كثيرا ما أكد الرسل عليهم الصلاة والسلام على أقوامهم، وجود يوم يحق الله تعالى فيه وعده ووعيدته، وعده لمن آمن وعمل الصالحات بدخول الجنة، ووعيدته للذين أسأؤوا وكفروا وصدوا عن الدين بدخول النار.

"فهو أمر أجمعت الدعوات على تأكيد إثباته، حتى يشعر الإنسان بالمسؤولية الدائمة في كل شيء، ويعلم أن كل ما يفعله في حياته الدنيا، سوف يلقاه في الآخرة، إن خيرا فخير، وإن شرا فشر"^{٥٢٠}.

فهذا سيدنا نوح عليه السلام، يخاطب قومه بقوله: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].

قال تعالى: ﴿وَالِئِنَّ مَدِينَهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُومُ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٦].

^{٥٢٠} غلوش، الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٦٢.

كل هذا التذكير باليوم الآخر لما فيه فوائد تربوية كونه "يحد كثيراً من شرور الإنسان، ويمنعه من الاسترسال في ظلمه، لأنه يعتقد أنه محاسب على عمله، مجزي عنه، ولن يفلت من عذاب الله وانتقامه، وهو بنفس الوقت "أكبر باعث على فعل الخير والإكثار منه والمساواة فيه، ولو كلف العبد نفسه وولده وماله، لأنه ينتظر الجزاء والثوبة من الله سبحانه" ^{٥٢١}.

المطلب الثاني: توجيه الناس إلى الأخلاق الحميدة:

إن مهمة الرسل صلوات الله وسلامه عليهم هي الدعوة إلى مكارم الأخلاق، وتحويل هذه الدعوة إلى عمل وسلوك وتطبيق ليقبلي الناس بهم.

وقبل أن يبدأ المرابي، أو المعلم توجيهه للآخرين، يكون هو صاحب شخصية أخلاقية سوية، لا تأمر بأمر قبل أن تكون هي البادئة به بنفسها، وهكذا كان حال الرسل عليهم الصلاة والسلام، فقد عرفوا بين أقوامهم قبل البعثة بالصدق المنقطع النظر، وظهرت أمانتهم في القول والعمل والمال، وكانت عفتهم عن سائر المحارم. وكان العدل يملأ حياتهم، وبذلك كان كمالهم الذاتي مع أنفسهم ومع الناس، فاستحقوا أن يكون لهم دور إيجابي عظيم في التربية بالقدوة.

"تحقق الرسل عليهم الصلاة والسلام بإنصاف النفس عن كل ما يشينها ويرديها، ولذلك وجب بحق الرسل صفات فاضلة، لا يتحقق إيمان امريء إلا بإقرارها لهم، كركن من أركان الإيمان، ألا والتي هي من أمهات الفضائل، وهي الصدق، والأمانة، والتبليغ، والفتانة، وكان الصدق والأمانة،

^{٥٢١} مكّي، البيان في أركان الإسلام، مرجع سابق: ٣٠٣

من أهم موضوعات الأخلاق، إضافة إلى ما تحلى به الرسل عليهم الصلاة والسلام جميعاً، من حلم، وكرم، وشجاعة.

وبدأ الرسل عليهم الصلاة والسلام في دعوتهم إلى الأخلاق الحميدة مع بداية الدعوة، حتى يصنعوا بالأخلاق حاجزاً بين النفس وشهواتها، والقلب وهواه، ويرسموا للإنسانية طريقاً مليئاً بالفضائل والصلاح. وإنما بدأوا هكذا، لأن الإيمان بالله قرين الأخلاق، وكلاهما يستلزم خضوعاً وخشوعاً وطاعة مطلقة لله عز وجل^{٥٢٢}.

فها هو سيدنا هود عليه السلام، دعا قومه إلى توحيد الله تعالى وعبادته، وفي نفس الوقت أمرهم أن يتوبوا عن المعاصي، ويستغفروا الله تعالى من الذنوب، ولا يصروا على الإجرام والظلم، فقال لهم:

﴿وَيَقَوْمٍ أَسْتَعْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُرْبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدَّكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

ولوط عليه السلام يبدأ دعوته بأن يستنكر على قومه مفسادهم، فطالبهم بتقية أخلاقهم، قبل أن يطالبهم بالتوحيد، ذلك لأنهم "كانوا قد ابتدعوا من المنكرات ما لم يسبقهم إليه أحد من الناس، حيث كانوا يأتون الذكران من العالمين، شهوة من دون النساء، ولا يرون في ذلك سوءاً أو قبحاً فيعلنونه ولا يستترون"^{٥٢٣}.

وهذا سيدنا موسى عليه السلام يدعو الطاغية فرعون إلى الأخلاق، فيقول له: ﴿فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَهٌ إِلَّا أَن

تَزَكَّى﴾ [النازعات: ١٨].

^{٥٢٢} غلوش، الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٦٠. وينظر ابن كثير، قصص الأنبياء، مرجع سابق، ص ١١٣.

^{٥٢٣} ابن كثير، قصص الأنبياء، مرجع سابق، ص ١١٣.

"لقد بين له أن الهدف هو أن يتطهر من دنس الكفر والطغيان، عن طريق خشية الله تعالى، وقد خاطبه بأسلوب الإستفهام، ليستدعيه بالتلطف في القول، ويستترله بالمداراة من عتوه، تنفيذاً لقوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤] ٥٢٤.

ولهذا أمر الله تعالى نبيه المصطفى ﷺ، أن يسلك أثر الأنبياء الذين من قبله، اقتداءً بأخلاقهم الفاضلة، وصبرهم في الدعوة إلى الله تعالى، وثباتهم في الدين.

قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنِهِمْ آقَدَتْهُ﴾ [الأنعام: ٩٠]

يصف الله تعالى النبيين، عليهم الصلاة والسلام، بقوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﷻ﴾ يريد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام المتقدم ذكرهم . ﴿فَبِهِدْنِهِمْ آقَدَتْهُ﴾ فاختص طريقهم بالاعتداء والمراد بمداهم ما توافقوا عليه من التوحيد وأصول الدين دون الفروع المختلف فيها ٥٢٥
وسيدنا صالح عليه السلام، بعثه الله لقومه، فطلب منهم أن يعبدوا الله الواحد، وينبذوا فاسد الأخلاق، ويتوبوا عنها.

"وقد أخذت التوبة أهمية كبرى في دعوة سيدنا صالح عليه السلام، لأن قومه عتوا كثيراً، وأفسدوا في الأرض، وعبدوا الأوثان في الوقت الذي تمتعوا فيه بنعم من الله وفيرة، إذ خلفوا عاداً وطالت أعمارهم، وكثر رخاؤهم، ونحتوا من الجبال بيوتاً وحصوناً، واتخذوا من السهل قصوراً ومساكناً، فكان لا بد أن يذكرهم بهذه النعم عند دعوتهم ٥٢٦.

٥٢٤ غلوش، الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٦٢.

٥٢٥ البيضاوي، أنوار التنزيل، مرجع سابق، ج ٢، ص ١٩٣.

٥٢٦ غلوش، الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٦١.

قال تعالى: ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ

سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آيَاتَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾

[الأعراف: ٧٤].

وهكذا دعا سينا صالح عليه السلام قومه إلى التوحيد، وفي نفس الوقت دعاهم إلى ترك الفساد

والإستكبار.

وسيدنا شعيب عليه السلام، دعا قومه إلى التوحيد واستقامة الأخلاق.

قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا

الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَبُّكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَقَوْمِ أَوفُوا

الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾

﴿هود: ٨٤ - ٨٥﴾.

وهكذا اتفق منهج جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام، على بث الفضائل التربوية الأخلاقية في

نفوس أتباعهم، جنبا إلى جنب مع دعوتهم إلى التوحيد، وهذا إن دلّ على شيء، فإنما يدل على أن

الرسل عليهم الصلاة والسلام، من أولى أولويات دعوتهم إلى الله تعالى، الإصلاح، وهو سبيلهم إلى

تهيئة القبول في نفوس أتباعهم لهذا الدين العظيم.

قال تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيْنَةٍ مِنْ رَبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ

أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ

أُنِيبُ ﴿هود: ٨٨﴾.

المبحث الثاني:

القدوة الحسنة في سيد الخلق ﷺ :

تبين لنا من المبحث السابق، أن أفضل من مثل منهج الله تعالى، وسار عليه بأخلاقه الفاضلة تماماً، هم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والذين كانوا مضرب المثل لأقوامهم.

ولا شك أن على رأس هؤلاء السادة، هو رسول الله ﷺ، الذي جعله الله تعالى أسوة للعالمين جميعاً،

حيث احتوت ذاته الشريفة على الكمالات البشرية جميعها، بقوله تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾

[القلم: ٤] .

فقد كان ﷺ خلقه القرآن بامتثاله أمراً ونهياً، سجية له، وخلقاً تطبَّعه، وترك طبعه الجليلي، فمهما أمره القرآن فعله، ومهما نهاه عنه تركه. هذا مع ما جَبَله الله عليه من الخلق العظيم، من الحياء والكرم والشجاعة، والصفح والحلم، وكل خلق جميل^{٥٢٧}

كما ثبت في الصحيحين "عن أنس قال: خدمتُ رسولَ الله ﷺ عشر سنين فما قال لي: "أف" قط، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته؟ ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلته؟ وكان ﷺ أحسن الناس خلقاً ولا مَسَسْتُ خِزاً ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شَمَمْتُ مسكاً ولا عطرًا كان أطيب من عَرَق رسول الله ﷺ"^{٥٢٨}

^{٥٢٧} ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٨، ص ١٨٩.

^{٥٢٨} الدارمي، سنن الدارمي، مرجع سابق، كتاب الطهارة، باب فرض الوضوء والصلاة، ح ٧١٩، وأبي يعلى، مسند أبي يعلى، مسند ابن عباس رضي الله عنهما، كتاب الطهارة، ح ٢٩٩٢.

وهو الذي رفع شعار: "إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ"^{٥٢٩}، حيث أحسن ﷺ توجيهها، كما فعل الأنبياء من قبله ﷺ لتأسيس مجتمع فاضل تسود فيه لقيم الخلقية الإيجابية، وتنكر فيه القيم السلبية السفلية الرذيلة.

وقد أشار القرآن الكريم إلى جانب القدوة فيه ﷺ، فقال عز من قائل: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ

اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

يقول جل ثناؤه: "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ" أن تتأسوا به وتكونوا معه حيث كان، ولا تتخلّفوا عنه "لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ" أي من يرجو ثواب الله ورحمته في الآخرة لا يرغب بنفسه، ولكنه تكون له به أسوة في أن يكون معه حيث يكون هو^{٥٣٠}.

وأما أبرز الفضائل التربوية في جانب الإقتداء الخلقى به ﷺ، والظاهر في صفاته الشريفة ﷺ، في القرآن الكريم، فهي: الصدق، و الرحمة، والصبر، والحلم، والحكمة.

— أما الصدق، فالحديث فيه عن أوجب الأصول التي ينبغي أن يتحلّى بها القدوة، حتى يقتنع به الناس، الرحمة، وأن من مظاهر الصدق الثبات على المبدأ والتمسك به.

— أما الرحمة، فالحديث فيها عن شفقتة ﷺ على الخلق، لدخولهم في الإسلام، وتعليمهم وتربيتهم وتزكيتهم، ليكونوا في مأمن من عذاب الله تعالى، إضافة إلى مظاهر رحمته البشرية .

— وأما الحلم، فالحديث فيه عن عفوه وصفحه ﷺ عن أساء إليه.

— وأما الصبر، فالحديث فيه عن تحمله ﷺ ومعاناته في سبيل الدعوة، إلى المرحلة التي يطمئن بها النبي

ﷺ بدخول الناس أفواجا.

^{٥٢٩} البخارى، الأدب المفرد، مرجع سابق، عن أبي هريرة رضي الله عنه، والحديث سبق تحريجه.

^{٥٣٠} الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج ٢٠، ص ٢٣٤.

— وأما الحكمة، فنعني بها، دعوته ﷺ قومه بالحكمة والموعظة الحسنة، واستخدام أساليب الخطاب المحببة للنفوس من أجل ترغيب الناس في الإيمان، مع استغلال كافة السبل المتاحة في نشر الدعوة، إضافة إلى استخدام العقل والمنطق، والاعتماد على الإقناع بالحجة في نشر الدعوة.

وإلى هذه الصفات النبوية، التي كان بها ﷺ مضرب المثل لأمته، في الإقتداء والتربية، نبدأ أولاً بصفة الرحمة، وآثارها التربوية.

المطلب الأول: صفة الرحمة:

سمى الله تعالى نبيه المصطفى ﷺ باسمين من أسمائه وهما الرعوف الرحيم، إذ إن الرحمة كانت من أبرز أخلاق النبي ﷺ، فقال تعالى: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

فعن مالك بن أنس رضي الله عنه، قال: "أتينا إلى النبي ﷺ، ونحن شعبة متقاربون، فأقمنا عنده عشرين يوماً وليلة، وكان رسول الله ﷺ رحيماً رفيقاً" °٣١.

ووصلت رحمته ﷺ إلى قومه المشركين، فكثيراً ما كان يهتم بأمرهم، ويحرص أشد الحرص على دخولهم في الإسلام، وكان "يشق عليه ﷺ أن ينال قومه ما يضرهم في دينهم أو دنياهم" °٣٢.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ

عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ومعنى قوله عز وجل: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ أي: غالب عليه مشقتكم الشديدة، وهلاككم، وضرركم، وأذاكم، أي غالب على صبره ذلك، ولا يكون غالباً على صبره، إلا مما في قلبه نحوكم من رافة زائدة، ورحمة زائدة، وذلك لأن الألم الذي يتزل به حينما يراكم في عنت أقوى من قوة احتمال

°٣١ البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الأذان، باب الأذان للمسافر إذا كانوا جماعة، ح ٦٠٥.

°٣٢ ينظر ابن سعد، أبي عبد الله بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، د. ط، ت، دار صادر، بيروت، ج ٤، ص ١٣.

صبره، فهو يغلبه ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾ أن تدخلوا الجنة. وقيل : حريص عليكم أن تؤمنوا. وقال :

الفراء : شحيح بأن تدخلوا النار. والحريص على الشيء : الشح عليه أن يضع ويتلف "﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ

رَّحِيمٌ﴾ الرَّؤُوفُ : المبالغ في الرأفة والشفقة" ^{٥٣٣}.

بل لقد كان تحقيق الرحمة هو الغاية من رسالة نبينا محمد ﷺ .

فقد كان "مقصود البعثة ، هو تبليغ الرسول ﷺ تكاليف الله الى الخلق، هذا المقصود لم يكن ليتم لولا أن مالت قلوبهم إليه ﷺ وسكنت نفوسهم لديه، وحيث كان رحيمًا رءوفًا بهم، يتجاوز عن ذنبهم، ويعفو عن إساءتهم، ويخصهم بوجوه البر والمكرمة والشفقة، كثير القيام بإعانة الفقراء، كثير التجاوز عن سيئاتهم، كثير الصفح عن الزلات" ^{٥٣٤}.

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ولهذا، كان ﷺ رحمة مهداة ونعمة مسداة ، ولقد عمت رحمته ﷺ للعالمين على السواء. وكان عليه الصلاة والسلام القدوة في امتثال خلق الرحمة. وكان مثلاً أعلى في رحمته وفي حسن تعامله مع الناس صغيروهم وكبيرهم ومؤمنهم وكافرهم ، ولذلك أحبه الناس وآمنوا به والتفوا حوله.

وإن حياته ﷺ، كانت كلها رحمة وعفو، سواء مع أصحابه، أو مع أعدائه.

ومن مظاهر صفة الرحمة في حياة الحبيب ﷺ مع أصحابه، ما حكاه ربنا تبارك وتعالى، واصفا حال

النبي ﷺ في خطابه له:

^{٥٣٣} ينظر القرطبي، جامع أحكام القرآن، ج ٨، ص ٣٠١.

^{٥٣٤} ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، ج ٢، ص ١٠٥.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنْ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ بِآيَاتٍ لَأَنْفَعُكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ فَمَا تَتَدَوَّنَ بِآيَاتِهِ﴾

وَأَسْتَغْفِرُ لَهُمْ وَشَاوَرُهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿[آل عمران:

[١٥٩

"فالقوم لما انهزموا عن النبي ﷺ يوم أحد، ثم عادوا، لم يخاطبهم الرسول ﷺ بالتغليظ والتشديد، وإنما خاطبهم بالكلام اللين، ثم إنه سبحانه وتعالى لما أرشدهم في الآيات المتقدمة إلى ما ينفعهم في معاشهم ومعادهم، وكان من جملة ذلك أن عفا عنهم، زاد في الفضل والاحسان بأن مدح الرسول ﷺ على عفوه

عنهم، وتركه التغليظ عليهم فقال: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنْ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَأْتِ بِآيَاتٍ...﴾

"وتحكي السيرة الشريفة عن رحمة النبي ﷺ، ومما ورد فيها:

— " ما ضرب رسول الله ﷺ بيده خادماً له قط ولا امرأة" ^{٥٣٥}.

وكان ﷺ يدخل في الصلاة، وهو ينوي إطالتها، فإذا سمع طفلاً يبكي سرعان ما يخففها إشفاقاً ورحمة على الطفل وأمه. قال ﷺ: "إني لأدخل في الصلاة، فأريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي؛ فأجوز لما أعلم من شدة وجد ^{٥٣٦} أمه من بكائه" ^{٥٣٧}.

ومن الفضائل التربوية لصفة الرحمة، التي يتعلمها المسلمون من سيرته وصفاته الشريفة، " بذل المعروف، وإغاثة الملهوف، وإعانة المحروم، ومنع التعدي والبغي، لأن الرحيم بطبيعة الحال، ممتليء القلب بالشفقة والرحمة، لا بالكبر، والأنانية" ^{٥٣٨}.

^{٥٣٥} البيهقي، سنن البيهقي، مرجع سابق، كتاب النكاح، باب ما أمره الله تعالى من الدفع بالتي هي أحسن، ح ١٣٠٨١، وابن ماجه،

سنن ابن ماجه، مرجع سابق، باب ضرب النساء، ح ١٩٨٤.

^{٥٣٦} وجد، أي حزن.

^{٥٣٧} البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الجماعة والإمامة، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، ح ٦٧٥، وابو داود،

سنن أبي داود، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب تخفيف الصلاة للأمر يحدث، ح ٧٨٩، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، كتاب

إقامة الصلاة والسنة، باب الإمامة، ح ٩٨٩.

^{٥٣٨} ينظر الخضري، عبد المجيد أحمد، المبادئ التربوية المستنبطة من آيات الوصايا في القرآن الكريم، بحث تكميلي لنيل درجة

الماجستير، بقسم التربية الإسلامية والمقارنة، بجامعة أم القرى. بمكة المكرمة، ٥١٤١٧، غير منشور، ص ٩٥.

ومن الفضائل التربوية لهذه الصفة أيضا، من حياة النبي ﷺ، والتي يستفيد منها الدعاة إلى الله تعالى، على وجه الخصوص، هو: نيل ثقة المدعوين بالداعي. فالناس بالنسبة للداعي هم مجال دعوته، والمحيط الذي يتحرك فيه، ولذلك لزمه أن يكون على وفاق معهم، وأن يقدم من نفسه صورة أخلاقية تحقق التآلف والموودة، وتنزله في موطن الحب والتقدير، وتجعل الثقة هي أساس نظرهم إليه^{٥٣٩}.

قال تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِن لَّهُمْ لَوْلَا كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وكان الله سبحانه وتعالى يقول: "فبرحمة الله، يا محمد ﷺ، ورأفته بك وبمن آمن بك من أصحابك ﴿لَئِن لَّهُمْ لَأَيُّ لَاتِبَاعِكَ وَأَصْحَابِكَ، فَسُهِلَتْ لَهُمْ خَلَاتِقُكَ، وَحَسُنَتْ لَهُمْ أَخْلَاقُكَ، حَتَّى احْتَمَلَتْ أَدَى مِنْ نَالِكَ مِنْهُمْ أَذَاهُ، وَعَفَوْتَ عَنِ ذِي الْجُرْمِ مِنْهُمْ جُرْمَهُ، وَأَغْضَيْتَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّنْ لَوْ جَفَوْتَ بِهِ وَأَغْلَظْتَ عَلَيْهِ لِتَرْكِكَ فِفَارِقِكَ وَلَمْ يَتَّبِعَكَ وَلَا مَا بُعِثَ بِهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَلَكِنَّ اللَّهَ رَحِمَهُمْ وَرَحِمَكَ مَعَهُمْ

: فبرحمة من الله لنت لهم، كما وصفه الله به: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [سورة التوبة: ١٢٨].

وأما بحق أعدائه ﷺ فـ"من ذلك معاملة النبي ﷺ للمنافقين في المدينة، وموقفه مع المشركين يوم فتح مكة لما خاطبهم قائلاً: "اذهبوا فأنتم الطلقاء" فإن العفو من موضع الاقتدار لمن يستحقه قد يجوز به عقله وقلبه^{٥٤٠}.

^{٥٣٩} غلوش، الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤٥٠.

^{٥٤٠} الهيثمي، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب المغازي، باب دخول النبي ﷺ من أعلى مكة،

ح ٤٠٣٨، وينظر جبر، وآخرون، الثقافة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٣٦.

"ولهذا كانت الرحمة من أعظم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، وهي خلق ذو جذور عميقة في النفس، ومحلها القلب، ومما يضاف على فضائلها التربوية السابقة لين الجانب للناس، وهذا ما جعل القلوب تهفو إليه، وتؤمن به، وتتبعه، وتحميه ﷺ".^{٥٤١}

المطلب الثاني: صفة الصدق:

الصدق من أهم الأخلاق الفاضلة التي تحلى بها رسل الله عليهم الصلاة والسلام، ووجهوا أقوامهم إليها، وهو يظهر بالواقعية التي تحلى بها الرسل عليهم الصلاة والسلام، فما من خلق كريم دعوا إليه، إلا وكان هو المطبق عندهم قبل ذلك.

ولقد عرف رسول الله ﷺ قبل البعثة بالصادق الأمين، وكان الصدق صفة لازمة للرسول ﷺ، ولقد قالت له السيدة خديجة -رضي الله عنها- عند نزول الوحي عليه: **إِنَّكَ لَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ**..^{٥٤٢}

وقد ذكر النضر بن الحارث، بعض أوصافه لقومه، فقال: **"هو أصدقكم حديثاً"**^{٥٤٣}.

ولم يتسن لأحد من المشركين أن يمسكوا عليه مذمة حتى يطعنوا بدعوته عليه الصلاة والسلام، ثم لما بعث ﷺ أيد بمعجزة القرآن الكريم، وهو الكتاب العظيم الذي أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿ **وَمَا يَنْطِقُ عَنِ**

أَهْوَىٰ ۚ ۝٣٠ إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٣١﴾ [النجم: ٣٠-٣١]

"وعندما بعث النبي ﷺ بمنهج الله تعالى طَبَّقَ هذا المنهج في نفسه أولاً، فلم يكن يأمر أحداً بأمر، وهو عنه بِنَجْوَةٍ"^{٥٤٤}، بل هو إمامهم في القول والعمل^{٥٤٥}

^{٥٤١} الحديثي، حكمت فؤاد، خلق الرسول ﷺ في القرآن وصفًا وتربية، د. ط، ص ٤٦.

^{٥٤٢} سعد الدين، الأخلاق في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٣

^{٥٤٣} ابن هشام، أبي محمد، عبد الملك، سيرة النبي ﷺ، تحقيق محمد محيي الدين، ط ١٣٨٣هـ، د. د، ص ٣١٩.

^{٥٤٤} بنجوة، أي بمعزل.

^{٥٤٥} الشعراوي، الشيخ محمد متولي، تفسير الشعراوي، د. ت، ج ٢١، ص ٢١٠٧.

إضافة إلى ما ظهر عليه ﷺ من عمق في الإيمان بالله عز وجل، كان يدفعه إلى الثبات على المبدأ،
والتمسك بالمنهج.

حيث أنه "لما عرض عليه أهل مكة المال والملك أباه، ولما هددوه بالإيذاء والإهانة صبر، واستمر في طريقه إلى الله تعالى حتى تم له النصر، ودخل الناس في دين الله أفواجا"^{٥٤٦}.

.. كان نصره الأكبر ﷺ في مكة يوم أن قال لعمه: "يا عم لو وضعت الشمس في يميني والقمر في يساري ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله تعالى أو أهلك في طلبه"^{٥٤٧}.

ومن أعظم مظاهر صدقه ﷺ وفاؤه بالعهود والمواثيق مع الأعداء، إمتثالا لقوله تعالى بحق أهل

الذمة: ﴿فَاتَمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤]

فلم يكن النبي ﷺ يوما هو البادئ بنقص العهود، حتى في أشد الظروف حرجاً، وحتى للذين آذوه، إلا إن نقضوا العهد معه ﷺ، ثم وإن جاء إليهم لقتالهم، كان هم الدعوة إلى الله تعالى فوق كل اعتبار.

والدليل على هذا، ما وصى به النبي ﷺ سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم خيبر، بأن يعرض الإسلام قبل قتالهم قائلاً: "فو الله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيراً لك من أن يكون لك حمر النعم"^{٥٤٨}.

وتظهر هذه الصفات، صفة الصدق بالإيمان بالله عز وجل، وعمق الإتصال به سبحانه، في قوله تعالى:

﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا

^{٥٤٦} غلوش، الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٥٠١٥١.

^{٥٤٧} البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، ط ١، ٥١٤٠٨، دار الكتب العلمية، بيروت،

ج ١، ص ٣٠.

^{٥٤٨} البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ح ٣٦٦١، وأبو داود، سنن أبي داود، مرجع سابق، كتاب العلم، باب فضل نشر العلم، ح ٣٦٦١. وحمر النعم: أجود أنواع الأبل.

هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ

لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿ [الأعراف: ١٥٨].

ومن الفضائل التربوية لصفة الصدق، في شخصية النبي ﷺ هو ما اكتسبه من ثقة في دعوته إلى الله عز وجل، فمعلوم أن "الصدق منبع الثقة وأساس التسليم، لأن الصادق لا يخالف الواقع، وكل قوله مسلم لا يحوم حوله شك ولا تكذيب، والصدق في الداعية ضرورة، لأن ما يذكره ليس رأياً شخصياً، ولا اجتهاداً ذاتياً يستخرجه، وإنما هو مبلغ دعوة الله تعالى كما جاءت، مبيّن لغوامضها، وناقل كلّ بيان قيل في شأنها، وكل هذا يحتاج إلى صدق في التبليغ، ودقة في الثقل والبيان، حتى يتصور المدعو من أوّل لحظة أن كلّ ما يسمعه من الداعية هو رسالة الله، وأن الدعوة كما بدت من قوله، هي كما تركها رسول الله ﷺ، بلا تزويد ولا انتقاص"^{٥٤٩}. إضافة إلى أن "الإنسان بطبيعته البشرية يجب أن يقتدي بالماذج الفاضلة من البشر، فكان ﷺ — ولا يزال — هو النموذج العلمي الأعلى الذي ينير الطريق.. فكان ﷺ — وهو القدوة — تتحوّل كلمته إلى عمل بناء، أو إلى خلق فاضل، أو إلى تعديل في السلوك كما يحبه الله ويرضاه"^{٥٥٠}.

المطلب الثالث: صفة الصبر:

الصبر هو الوصية من الله تعالى لكل رسول من رسله، ولا يمكن أن يقوم على هذه الدعوة أحد إلا والصبر زاده وعتاده.. إنه جهاد مع النفس، وجهاد مع الأعداء ووسائلهم، وتديبيرهم، وكيدهم، وأذاهم، والداعية لا زاد له إلا الصبر أمام هذا كله.

^{٥٤٩} غلوش، الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤٥٠.

^{٥٥٠} حبر وآخرون، التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ١١٥. وعبود، عبد الغني، في التربية الإسلامية، ط ١٩٧٧م، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ١٥٧.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا

يَمَكُرُونَ﴾ [النحل: ١٢٧]

" وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ تَأْكِيدٌ لِلأَمْرِ بِالصَّبْرِ، وَإِخْبَارٌ بِأَنَّ ذَلِكَ لَا يَنَالُ إِلَّا بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَإِعَانَتِهِ،

وَحَوْلُهُ وَقُوَّتُهُ"^{٥٥١}، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ أَي: عَلَى مَنْ خَالَفَكَ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدَرَ ذَلِكَ

﴿وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ﴾ أَي: فِي غَمٍ ﴿مِّمَّا يَمَكُرُونَ﴾ أَي: مِمَّا يَجْهَدُونَ أَنْفُسَهُمْ فِي عِدَاوَتِكَ

وَإِصْطِلَ الشَّرُّ إِلَيْكَ، فَإِنَّ اللَّهَ كَافِيكَ وَنَاصِرَكَ وَمُؤَيِّدَكَ وَمُظْهِرَكَ وَمُظْفِرَكَ بِهِمْ.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨] أَي: مَعَهُمْ بِتَأْيِيدِهِ

وَنَصْرِهِ، وَمَعُونَتِهِ وَهَدْيِهِ وَسَعْيِهِ"^{٥٥٢}.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْفِقُونَ﴾ [الروم: ٦٠]

قال ابن كثير: "أَي: اصْبِرْ عَلَى مَخَالَفَتِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُنْجِزٌ لَكَ مَا وَعَدَكَ مِنْ نَصْرِهِ إِيَّاكَ

عَلَيْهِمْ، وَجَعَلَهُ الْعَاقِبَةُ لَكَ وَلِمَنْ اتَّبَعَكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ"^{٥٥٣}

ولما واجه الكفار رسول الله ﷺ بالتكذيب والإتهام بأنه شاعر وساحر وكاهن ومجنون، أمره الله بأن

يصبر على ما يقولون.

قال تعالى: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَأَهْرُجْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا﴾ [الزمل: ١٠].

أَي "اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ مِمَّا يَغِيظُ وَيَحْتَقُّ، وَأَهْرُجْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا، هَجْرًا لَا عِتَابَ مَعَهُ، وَلَا غَضَبَ،

بِأَنَّ تَجَانِبَهُمْ وَتَدَارِيهِمْ وَلَا تَكَافَتَهُمْ وَتَكَلُّ أَمْرَهُمْ إِلَى اللَّهِ فَاللَّهُ يَكْفِيكَهُمْ، وَالْهَجْرُ الْجَمِيلُ يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ بَعْدَ

الذِّكْرِ"^{٥٥٤}.

^{٥٥١} ينظر البيضاوي، أنوار التنزيل، مرجع سابق، ج ٣، ص ٤٤٢.

^{٥٥٢} ينظر البيضاوي، أنوار التنزيل، مرجع سابق، ج ٣، ص ٤٤٢.

^{٥٥٣} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ٧، ص ١٤٢.

وصبر ﷺ على أذى المشركين بالفعل والقول، "ولم تكن العقبات والمحن تعيق النبي ﷺ عن دعوته أو تدفعه إلى اليأس والتراجع، بل كانت تزيد إصراراً وثباتاً على دعوته" ^{٥٥٥}.

ففي غزوة الأحزاب، يثبت النبي ﷺ أمام أعدائه، الذين شددوا الخناق عليه وأصحابه، حتى كاد القلوب أن تنفطر لشدة الأهوال التي مر بها المسلمون، ولكنه ﷺ صبر وظفر، وأنزل الله تبارك وتعالى فيه

قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾

[الأحزاب: ٢١].

" وفي الآية عتاب للمتخلفين عن القتال، أي كان لكم قدوة في النبي ﷺ حيث بذل نفسه لنصرة دين الله، في خروجه إلى الخندق، والأسوة مايتأسى به أي يتعزى به، فيقتدى به في جميع أفعاله ويتعزى به في جميع أحواله، فلقد شج وجهه الشريف ﷺ وكسرت رباعيته، وقتل عمه حمزة وجاع بطنه ولم يلف إلا صابراً محتسباً، وشاكراً راضياً. ولما شج ﷺ قال: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون" ^{٥٥٦}.

ونجد في هذه الآية فضيلة تربوية، تضاف إلى الواقع الذي استشهدنا بما لأجله، وهو قوله تعالى:

﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ .. أن القدوة الحسنة لها أكبر الأثر في توجيه النفوس لرجاء ما

عند الله تعالى وابتغاء ثوابه. فقد ورد في تفسير الآية عن سعيد بن جبير قال: المعنى لمن كان يرجو لقاء الله

بإيمانه، ويصدق بالبعث الذي فيه جزاء الأفعال ﴿وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ خوفاً من عقابه ورجاء، لثوابه ^{٥٥٧}.

وهكذا كان صبر رسول الله ﷺ، وحلمه على قومه، بارزا من أول الدعوة إلى آخرها، وتحمل

منهم الكثير من الأذى والإستهزاء، وكان يدعو الله في النهاية: "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون" ^{٥٥٨}.

^{٥٥٤} ينظر البيضاوي، أنوار التنزيل، مرجع سابق، ج ٤، ص ٤٠٧.

^{٥٥٥} حبر وآخرون، الثقافة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٣٦.

^{٥٥٦} الهيثمي، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الأنبياء، باب كنتم خير أمة، ح ٣٢٩٠، والترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، أبواب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، ح ٤٠٨٨.

^{٥٥٧} القرطبي، جامع أحكام القرآن، مرجع سابق، ج ١٤، ص ١٥٣.

^{٥٥٨} الهيثمي، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الأنبياء، باب كنتم خير أمة، ح ٣٢٩٠، والترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، أبواب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، ح ٤٠٨٨.

وهكذا كانت رسالته ﷺ رحمة للعالمين، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١ - ١٠٧].

ومن الفضائل التربوية للصبر، إضافة إلى ما تقدم، أن الصبر يعزز في شخصية الداعي الثقة، وهي صفة تنبئ عن عمق ثبات الداعي في دعوته إلى الله تعالى، كالجبال الرواسي، لا يلين ولا يهتز، مما يبعده عن الذل والضعف، وعن الخوف والإضطراب، لأنه يثق بالقيم التي ربي عليها، والمفاهيم التي يدعو إليها^{٥٥٩}.

المطلب الرابع: صفة الحلم:

ومن الصفات الجليلة التي أدب الله تعالى رسوله المصطفى ﷺ خلق الحلم، والتي كان من مظاهرها الصَّفْح، والعفو، والدفع بالتي هي أحسن، والتي هي عنوان الشخصية السَّامِحَة، التي تترفع عن الدنيا والأذيّات.

"وكان الرسول ﷺ أحلم الناس، فلا يضيق صدره بما يصدر عن بعض المسلمين من أخطاء، وكان يعلم أصحابه ضبط النفس وكظم الغيظ^{٥٦٠}.

ولم يكن ﷺ يغضب، إلا غيرة على الدين، "فالحفوظ من سيرته ﷺ، أنه ما انتقم لنفسه قط، إلا أن تنتهك

^{٥٥٩} ينظر غلوش، الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤٦٠.

^{٥٦٠} الغزالي، خلق المسلم، مرجع سابق، ص ٤٤.

حرمة الله، فينتقم لله بها، فلما قال له أعرابي جلف وهو يقسم الغنائم: "إعدل، فإنّ هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى، لم يزد في جوابه أن يبين له ما جهله، ووعظ نفسه وذكرها بما قال له، فقال: "ويحك، فمن يعدل إن لم أعدل؟ خبت وخسرت إن لم أعدل"^{٥٦١}.. ونهى أصحابه أن يقتلوه، حين هم بعضهم بذلك..

وهكذا كان ﷺ إذا غضب لا يجاوز غضبه حدود التكرّم والإغضاء"^{٥٦٢}.

ومن مظاهر الحلم، والتي تعد من علاماته، العفو والصفح والدفع بالتي هي الأحسن، من الحلِيم تجاه الآخرين.

ولكل صفة من هذه الصفات فضائلها التربوية، والتي بودنا أن نستعرضها وآثارها التربوية في كتاب الله عز وجل، ونبدأ أولاً بخلق الصّفح.

أولاً: خلق الصّفح:

"الصفح: هو الإعراض عن مواجهة السيئة بمثلها، وقد كان رسول الله ﷺ أحمل الناس صفحا، يتلقى من قومه الأذى فيعرض عن تلويحهم وتعنيفهم، أو مقابلتهم بمثل عملهم، ثم يعود إلى دعوتهم ونصحهم، كأنما لم يلق منهم شيئا."^{٥٦٣}

وفي تأديب الله لرسوله ﷺ بهذا الأدب أنزل الله عليه في المرحلة المكية، قوله: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَأَنبِئُتُ

فَأَصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴿١٨٥﴾ [الحجر: ١٨٥].

ثم أنزل عليه قوله: ﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ١٨٩].

^{٥٦١} غلوش، الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٥٦.

^{٥٦٢} ينظر سعد الدين، الأخلاق في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٩٣.

^{٥٦٣} الحذيفي، خلق الرسول ﷺ في القرآن، مرجع سابق، ص ٥٥.

"فكان ﷺ يقابل أذى أهل الشرك بالصفح الجميل، وهو الصّفح الذي لا يكون مقرونا بغضب، أو كبير، أو تذمّر من المواقف المؤلمة، وكان كما أدّبه الله تعالى..
ثم كان يقابل أذاهم بالصفح الجميل، ويعرض قائلاً: "سلام" ^{٥٦٤}.

وفي العهد المدني لقي الرسول ﷺ من يهود المدينة أنواعاً من الخيانة، فأُنزل الله عليه قوله: ﴿فِيمَا

نَفَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهَا وَتَسُوأُ

حَظًا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُحْسِنِينَ ﴿المائدة: ١٣﴾.

فصبر الرسول ﷺ وعفا وصفح، حتى جاء الإذن الرباني بإجلالهم، ومعاقبة ناقضي العهد منهم.
وقد تحمل رسول الله ﷺ المشاق في سبيل نشر الإسلام، وكان أهل قريش يرفضون دعوته للإسلام
ويسبونونه، ولا يستجيبون له، ويؤذونه، فلا يقابل ذلك إلا بالصبر الجميل.

يقول عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- عن صبر الرسول ﷺ وتحمله للأذى: "كأني أنظر رسول
الله ﷺ يحكي ^{٥٦٥} نبياً من الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- ضربه قومه فأدموه ^{٥٦٦}، وهو يمسح الدم عن
وجهه ويقول: اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون ^{٥٦٧} ^{٥٦٨}."

ومن الفضائل التربوية لخلق الصفح من سيرة النبي ﷺ تقدير مرتبة النبوة للحالات البشرية في الرضا
والغضب، والنبي ﷺ مرب، واقع في نفوس الناس موقع التقدير والاحترام، فيكفي شعور أتباعه بالخطأ
لإصلاح ما بدر منهم، مادامت نتيجة الإصلاح المرجوة محققة ^{٥٦٩} والله تعالى أعلم.

^{٥٦٤} ينظر سعد الدين، الأخلاق في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٩٤.

^{٥٦٥} يحكي، أي: يُشبه.

^{٥٦٦} أدموه، أي: أصابوه وجرحوه.

^{٥٦٧} الهيثمي، ابن حجر، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الأنبياء، باب كنتم خير أمة، ح ٣٢٩٠، والترمذي، سنن الترمذي، مرجع سابق، أبواب تفسير القرآن، باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه، ح ٤٠٨٨.

^{٥٦٨} سعد الدين، الأخلاق في الإسلام، مرجع سابق، ص ٧.

ثانياً: خلق العفو:

والعفو أعلى مرتبة من الصفح، وهو "عندما يبذل المرء موقفه تبديلاً كاملاً، فلا يكتفي بالصفح، بل يحسن لمن أساء إليه، مدفوعاً بالرحمة التي تولدت في نفسه إشفاقاً على هذا الضعف"^{٥٧٠}، وذلك ما أرشد إليه ﷺ بقوله: "من كظم غيظاً وهو يقدر على إنقاذه ملاً الله قلبه أمناً وإيماناً"^{٥٧١}.

وقد أمر الله تعالى رسوله المصطفى ﷺ بهذا الخلق العظيم، بقوله تعالى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَأَصْفَحْ إِنَّ

اللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ١٣].

وعندما دخل النبي ﷺ مكة منتصراً، جلس ﷺ في المسجد، والمشركون ينظرون إليه، وقلوبهم مرتجفة خشية أن ينتقم منهم، أو يأخذ بالتأثر قصاصاً عما صنعوا به وبأصحابه. فقال لهم النبي ﷺ: "يا معشر قريش، ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيراً، أخ كريم، وابن أخ كريم.. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء"^{٥٧٢}.

والعفو هو السبيل الناجع بحق المسيء، إن كان الذي صدرت منه الإساءة كريم النفس، فإن عفوك عن كريم النفس خير وسيلة لعلاج^{٥٧٣}.

قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

"وهنا في قوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ أمره بالعفو والصفح عن المشركين عشر سنين، ثم أمره بالغلظة عليهم، وقيل: بل من أخلاق الناس وأعمالهم من غير تحسس"^{٥٧٤} يعني السهل الميسر من كلام الناس في المعاشرة والمعاملة والصحبة، ولا تطلب منهم التكلف، ولا تكلفهم الشاق من النداء. وحسبك

^{٥٦٩} ينظر القاضي، عناصر العلاقات الإنسانية في المجتمع الإنساني، مرجع سابق ٣٣.

^{٥٧٠} القاضي، عناصر العلاقات الإنسانية في المجتمع الإنساني، مرجع سابق، ص ٣٣.

^{٥٧١} أبو داود، سنن أبي داود، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٤٨، باب من كظم غيظاً، عن سهل ابن معاذ رضي الله عنه.

^{٥٧٢} الغزالي، خلق المسلم، مرجع سابق، ص ٨٠.

^{٥٧٣} غريب، الشيخ محمود، سلم أخلاق النبوة، ط ٢، ١٩٤١، ١٩٩٨م، دار القلم للتراث، القاهرة، ج ١، ص ٦٥.

^{٥٧٤} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ٣، ص ٥٣١.

أن يناديك أحدهم : يا رسول الله، اعف عن أخطائهم ، وتقصيرهم، واعلم أن الإيمان إن تمكّن في قلوبهم فسوف يتحوّل نداؤهم لك إلى خير نداء، وأدبهم إلى أعلى أدب..

قال تعالى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣]..

وبعد ثبوت الإيمان في قلوبهم ، كان الواحد منهم يجيب نداء النبي ﷺ بقوله : فداك أبي وأمي يا رسول الله".^{٥٧٥}

وفي قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ فهنا "أمر الله نبيه ﷺ أن يأمر عباده بالمعروف ، ويدخل في ذلك جميع الطاعات ، وبالإعراض عن الجاهلين ، وذلك وإن كان أمرا لنبيه ﷺ فإنه تأديب لخلقه باحتمال من ظلمهم واعتدى عليهم ، لا بالإعراض عن جهل الحق الواجب من حق الله ، ولا بالصفح عن كفر بالله وجهل وحدانيته ، وهو للمسلمين حرب.

والإعراض إنما يكون عن الأحوال، لا عن الذوات، كما قال ابن عاشور: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ أي أعرض عن أحوالهم لا عن ذواتهم، وأعرض عن إياهم إعلان الدعوة وكانت الدعوة سرا في دار الأرقم بن أبي الأرقم ، حتى نزلت هذه الآيات.^{٥٧٦} .

"ومع الأمر بالإعراض عنهم طلب الله منه ﷺ أن يعظهم وأن يقول لهم كلاماً يستقر في قلوبهم ونفوسهم﴾ ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ ..

والإعراض عنهم إنما يعني عدم كشف ما يخفونه من نفاق وكفر"^{٥٧٧} .

وفي سورة الأحزاب، أمر الله تعالى النبي ﷺ أن يُعرض عن الذين تخلفوا عن القتال في غزوة تبوك ،

ثم كاذبوا عندما رجع النبي إليهم، والآيات تبدأ بقوله تعالى : ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ

^{٥٧٥} القاضي، عناصر العلاقات الإنسانية في المجتمع الإنساني، مرجع سابق، ص ٦٦.

^{٥٧٦} ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ١٤، ص ٨٨.

^{٥٧٧} غريب، سلم أخلاق النبوة، مرجع سابق، ج ١، ص ١٠٨.

لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿التوبة: ٩٠﴾.. إلى أن قال رب العالمين للنبي ﷺ: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَابْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ [التوبة: ٩٥].. أعرض عنهم ، حتى تحافظ على الجبهة الداخلية ، واتركهم للمجتمع يؤذيهم بمعاملته لهم^{٥٧٨}.

وهذا كله حيث كان الغضب لحظ النفس، أما إذا انتهكت حرمت الله فالغضب واجب في هذه الحالة؛ فقد "كان المصطفى ﷺ إذا غضب لا يغضب إلا لله، ولم يقم لغضبه شيء، وكان بين عينيه عرق يظهره الغضب، فلا يسكن حتى يكون الأمر على ما يرضي الرب"^{٥٧٩} ولهذا قال ﷺ: "ثلاث من أخلاق الإيمان: من إذا غضب لم يدخله غضبه في باطل، ومن رضي لم يخرجه رضاه من حق، ومن إذا قدر لم يتعاط ما ليس له"^{٥٨٠}.
ومن الفضائل التربوية لخلق العفو من سيرته ﷺ إمتلاك قلوب المدعوين جراء ذهولهم من الأخلاق الكريمة التي تصدر منه ﷺ مقابل ما بدر منهم من أخطاء، بالإضافة إلى "حرصه ﷺ الإبقاء على العلاقات بينه وبين أصحابه عليهم الرضوان ألا يكدر صفوها شيء"^{٥٨١}.

ثالثاً: الدفع بالتي هي أحسن:

ومما أدب الله رسوله المصطفى ﷺ أن يدفع بالتي هي أحسن، أي أن يدفع أية إساءة توجه له، وأية معاملة يقابل بها، وأية كلمة يواجه بها، وأي خلق، وأية خصلة تسوؤه من غيره، بالتي هي أحسن، أي بالخصلة التي هي أحسن، وبالکلمة وبالطريقة وبالمعاملة التي هي أحسن، وهذا الأدب الموجه للرسول ﷺ

^{٥٧٨} المرجع السابق، ج ١، ص ١٠٨.

^{٥٧٩} حبر وآخرون، الثقافة الإسلامية، مرجع سابق، ص ١٤٠.

^{٥٨٠} الهيثمي، مجمع الزوائد، مرجع سابق، ج ١، ص ٩٥، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه.

^{٥٨١} ينظر القاضي، عناصر العلاقات الإنسانية في المجتمع الإنساني، مرجع سابق، ص ٣٣.

موجه أيضا لكل المؤمنين، فقد أنزل الله تعالى على رسوله ﷺ قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا

السَّيِّئَةُ أَدْفَعُ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الَّذِينَ

صَبَرُوا وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ [فصلت: ٣٤-٣٥].

"فقد قال تعالى مرشداً له إلى التَّرياقِ النافع في مخالطة الناس ، وهو الإحسان إلى من يسيء ، ليستجلب خاطره ،

فتعود عداوته صداقة وبغضه محبة ، فقال: ﴿أَدْفَعُ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ﴾^{٥٨٢} ، وهذا كما قال في الآية

الأخرى : ﴿أَدْفَعُ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^{٥٨٣} وَمَا يُلْقِنَهَا

﴿أي: وما يلهم هذه الوصية أو الخصلة ، أو الصفة ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾^{٥٨٤} أي : على أذى الناس ، فعاملوهم

بالجميل مع إسدائهم إليهم القبيح ﴿وَمَا يُلْقِنَهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ﴾^{٥٨٢} أي : في الدنيا والآخرة"^{٥٨٢}.

ولهذا، فمن الفضائل التربوية لقيمة الدفع بالتي هي أحسن تحويل الأصدقاء إلى أعداء، وقبل هذا

للمحافظة على مودة الأتباع والأصدقاء، حتى لا ينفروا، ويقوا على محبة الإستماع إلى الداعي وتفهم

دعوته"^{٥٨٣} ، ويكفي الدعاة، وغيرهم، أن يتعلموا من توجيهات القرآن الكريم المؤكدة نحو الحلم والعفو،

قوله تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢].

المطلب السادس: صفة الحكمة:

لم يكن أحد في الحكمة مثل رسول الله ﷺ ، فقد أصاب الحق بالعلم والعقل"^{٥٨٤} وعلمه غيره، بأحسن

أساليب التعليم.

^{٥٨٢} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ٥، ص ٤٩٢.

^{٥٨٣} غلوش، الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤٥٤.

^{٥٨٤} ينظر الراغب الأصفهاني، المفردات، مرجع سابق، ص ٧٦.

ومما يدل على استحقاق النبي ﷺ صفة الحكمة، قوله تعالى:

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩].

وهل أحد أوجب للحكمة من رسول الله ﷺ بما هيأه للدعوة إلى الله تعالى على بينة وبصيرة،.. "مدّ الله قلبه بنور يرى به حقائق الأشياء وبواطنها، إضافة إلى إدراك المعقولات"^{٥٨٥} وتبينها للناس بشكلها الواقعي المبسّط.

قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

وهذا ما يظهر لنا من خلال منهجه ﷺ في تعليم أمته الفضائل والخير. "فقد كان للنبي ﷺ طريقة مميزة في تبليغ رسالة الإسلام من خلال ما يصدر عنه، مما ساعد على وضوح سيرته؛ ومن ذلك، أن النبي ﷺ لم يكن يسرد الحديث سرداً، بل كان يتأني في كلامه حتى يحفظ عنه، وكذا الأمر في أفعاله؛ فقد صلى ﷺ يوماً على المنبر أمام المسلمين، ثم أخبرهم أنه فعل ذلك ليتعلموا صلاته، ولتتقدوا به، وخاطبهم قائلاً: "صلوا كما رأيتموني أصلي"^{٥٨٦}، وكذلك في حجة، وسائر التكاليف الشرعية، لأنه المكلف من الله تعالى ببيان القرآن الكريم، وتفصيل أحكامه للمسلمين"^{٥٨٧}

إضافة إلى أن النبي ﷺ كان في جميع أخلاقه وصفاته الطيبة، يضع كل شيء في محله، فإذا كان العفو غير محمود فلا عفو، وإذا كانت الرحمة غير محمودة فلا رحمة، وهكذا، فرسول الله ﷺ هو الميزان الذي توزن بتصرفاته أخلاق البشر، بحيث لا يطغى خلق على خلق، ولهذا كان المصطفى ﷺ ولا يزال المثل الإنساني الكامل، والقدوة للمسلمين جميعاً، في الحكمة وغيرها"^{٥٨٨}.

^{٥٨٥} ينظر الكفوي، الكليات، مرجع سابق، ج ١، ص ٩.

^{٥٨٦} البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الآداب، باب رحمة الناس والبهائم.

^{٥٨٧} حبر وآخرون، التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ١١٣.

^{٥٨٨} الدوسري، صفوة الآثار، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣٦٠.

ومن الفضائل التربوية لوجود الحكمة والبصيرة القلبية لدى المعلم المربي القدوة، حسن التربية والنفع،
 "فإن الله تعالى ينفع بصاحب الحكمة طلاب العلم، ومربي الخير، ويدراً الله بصاحبها أبواباً كثيرة من
 الشر، كيف لا وصاحبها قد تحلى بالإصابة في القول، والسداد في الفعل، والسير على هدى" ^{٥٨٩}.

المطلب السابع: صفة الحياء:

"كان النبي ﷺ أشد الناس حياءً، وكان إذا كره شيئاً عرفه الصحابة في وجهه. وكان إذا بلغه عن أحد
 من المسلمين ما يكرهه لم يوجه له الكلام، ولم يقل: ما بال فلان فعل كذا وكذا، بل كان يقول: ما بال
 أقوام يصنعون كذا، دون أن يذكر اسم أحد حتى لا يفضحه، ولم يكن الرسول ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً،
 ولا صخاباً" ^{٥٩٠} في الأسواق" ^{٥٩١}.

" وكان ﷺ لطيف البشرية، رقيق الظاهر لا يشافه أحداً بما يكرهه حياء وكرم نفس."

ومن الفضائل التربوية للحياء، أنه أن "الحياء يدفع المرء إلى التحلي بكل جميل محبوب. فإذا تخلق الإنسان
 بالحياء سارع إلى مكارم الأخلاق" ^{٥٩٢}، وهكذا كان عليه الصلاة والسلام.

المطلب الثامن: صفة التواضع:

قد كان الرسول ﷺ مثالا للتواضع ولين الجانب، إمتثالاً لأمر ربه تبارك وتعالى :

﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٥].

أي " تواضع لهم وارفق بهم وألن جانبك لهم وطب نفساً من إيمان الأغنياء" ^{٥٩٣}

^{٥٨٩} ابن حميد وآخرون، نضرة النعيم ، مرجع سابق، ج ١٠، ص ٥٩.

^{٥٩٠} صخاباً: يحدث ضحيجا.

^{٥٩١} ينظر الغزالي، خلق المسلم، مرجع سابق، ص ٥٦.

^{٥٩٢} أبو العينين، علي خليل، التربية الإسلامية وتنمية المجتمع ، ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م. مكتبة إبراهيم حلي المدينة المنورة. ص ١٣٤.

وقد امتلأت سيرة النبي ﷺ بالأحاديث في تواضعه ﷺ، وخالصتها:

" كان النبي ﷺ أشد الناس تواضعاً، وأبعدهم عن الكبر، يمنع عن القيام له كما يقومون للملوك، وكان ﷺ يعود المساكين، ويجالس الفقراء، ويجيب دعوة العبد، ويجلس بين أصحابه كأحدهم، وكان يخضع نعله ويخيط ثوبه، ويعمل بيده، كما يعمل احدكم في بيته، وكان بشراً من البشر!؟ يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه، وكان ﷺ لا يدع أحداً يمشي خلفه، وكان لا يترفع على عبيده وإمائه في مأكل ولا ملبس، ويخدم من خدمه، ولم يقل لخدام أف قط، ولم يعاتبه على فعل شيء أو تركه، وكان يحب المساكين ويجالسهم، ويشهد جنائزهم، ولا يُحقر فقيراً لفقره".^{٥٩٤}

وعن أنس رضي الله عنه قال: "إن رسول الله ﷺ مر على صبيان يلعبون فسلم عليهم"^{٥٩٥}.

"وهذا من تواضعه عليه الصلاة والسلام لأن العلماء يقولون: " أن السلام على الصبيان يطرح رداء الكبر عن الإنسان"^{٥٩٦}.

وعلى الداعية أن يلتزم بالتواضع، ليقرب من الناس، لأنّ دعوته في حاجة إلى صلة مستمرة بهم، وعليه أن يكون قريباً من قلوبهم وأرواحهم، والتواضع هو صانع ذلك، كما بيّنته الحقائق الدينيّة التي عاشها النبي ﷺ، تطبيقاً على نفسه، وتوجيهاً لمن بعده من المؤمنين"^{٥٩٧}.

المطلب التاسع: صفة الشكر:

^{٥٩٣} أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، مرجع سابق، ج ٥، ص ٨٩.

^{٥٩٤} خالد، عمرو، أخلاق المؤمن، مرجع سابق، ص ٨٢.

^{٥٩٥} البخاري، ١٩٨٧ صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الاستئذان، باب التسليم على الصبيان، ح ٢٣٠٦.

^{٥٩٦} ابن حجر الهيتمي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، مرجع سابق، ج ١١، ص ٣٣.

^{٥٩٧} غلوش، الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٤٥٦.

كان رسول الله ﷺ كثير الشكر لربه، وقد علمنا أن نقول بعد كل صلاة: "اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك"^{٥٩٨}

وتحكي السيدة عائشة -رضي الله عنها- أن الرسول ﷺ كان يقوم الليل، ويصلي لله رب العالمين حتى تتشقق قدماه من طول الصلاة والقيام؛ فتقول له: لِمَ تصنع هذا يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! فيرد عليها النبي ﷺ قائلاً: أفلا أكون عبداً شكوراً"^{٥٩٩}

وهذا رسول الله ﷺ يأمره الله تعالى، أن يبين للناس حقيقة ما كان عليه من طاعة وانقياد وتسليم.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢].

"أي أن كل ما آتبه في حياتي من العمل الصالح، وما أموت عليه من الإيمان، إنما هو لله عز وجل وإرادة وجهه وطلبه رضاه" وفي إعلان النبي ﷺ بهذه المقالة، ما يلزم المؤمنين التأسي به حتى يلزموا في جميع أعمالهم قصد وجهه عز وجل، وله تصرفه في جميع ذلك كيف شاء"^{٦٠٠}.

ومن الفضائل التربوية للشكر من حياة النبي ﷺ، تعليم الناس واجباتهم تجاه ربه، في القيام بحقوق ربه، على أتم ما يجب الله ويرضى.

^{٥٩٨} أبو داود، سنن أبي داود، مرجع سابق، كتاب الصلاة، باب في الإستغفار، ح ١٥٢٢، وابن حبان، صحيح ابن حبان، كتاب

الصلاة، مرجع سابق، باب الإستحباب للمرء أن يستعين بالله عز وجل، ح ٢٠٢٠.

^{٥٩٩} البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، أبواب التهجد، باب قيام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه، ح ١٠٧٨، ومسلم، صحيح

مسلم، كتاب صفة القيامة، باب إكثار الأعمال والإجتهاد في العبادة، ح ٢٨١٩.

^{٦٠٠} ينظر أبو حيان، البحر المحیط، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٦١.

المبحث الثالث:

نماذج عملية في القدوة الحسنة:

إن الإنسان يحب بطبيعته البشرية أن يقتدي بالنماذج الفاضلة من البشر، والقرآن الكريم قدم لنا كثيرا من النماذج العملية، التي تسترعي وقوف الإنسان عندها، وتلمس أقصى ما يمكن له من فوائد، وتوجيهات تربوية، يستنتجها المرء من خلال اطلاعه على القصص القرآني، الذي جاء على المنهج التربوي من الطراز الأول.

ويعيننا في هذا المبحث، أن لا نستعرض القصة بجميع تفصيلاتها التي وردت في كتب المفسرين، بقدر ما يعيننا تلك التوجيهات التربوية، التي تخدم هذا البحث، ونختار لأجل ذلك ثلاثة نماذج حية من القصص القرآني، وردت في سورة الكهف بشكل شبه مفصل، هي بحسب تسلسل ورودها:

أ — قصة أصحاب الكهف.

ب — قصة سيدنا موسى والخضر عليهما السلام.

ونبدأ بالقصة الأولى، وآثارها التربوية، ضمن المطلب الأول.

المطلب الأول: قصة أصحاب الكهف، وفضائلها التربوية:

أولاً: الآيات الواردة في القصة:

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ۝٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آئِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۝١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ۝١٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ۝١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا ۝١٤﴾ هَتُّؤَلَاءِ قَوْمَنَا أَنْخَدُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَوْلَا يُاتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۝١٥﴾ وَإِذْ أَعْرَضْتُمُوهُمْ وَمَا يعبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأَى إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ۝١٦﴾ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَوُّرًا عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لِيَهْدِيَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ اللَّهُ فَمَا يُلَاحِظُ إِلَّا الْمُتَّبِعِينَ ۝١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ آيَةً وَإِنَّمَا هُمْ رُفُودٌ وَنَقَلْنَاهُمْ مِنْ دُونِ السَّيْرِ وَنَوَاسِطَ الْغُلَامِ يَمْشُونَ عَلَى الْأَسْطِ ۝١٨﴾ وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ۝١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ۝٢٠﴾ وَكَذَلِكَ أَعْرَضْنَا عَنْهُمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ وَعدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا

رَبِّ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ
 أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿١١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ
 كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا
 تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهْرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿١٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لَشَأْنِي إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا
 ﴿١٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِّي رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ﴿١٤﴾
 وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ﴿١٥﴾ قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ أَبْصَرَ بِهِ، وَأَسْمِعُ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ، مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ﴿١٦﴾ [الكهف:
 ٩ - ٢٦].

ثانيا: جوهر القصة:

"القصة تتحدث عن فتية آمنوا برهم في مجتمع وثني، وجهروا بكلمة الحق، رافضين لعقيدة قومهم غير القائمة
 على أساس من العقل والبرهان. ولما أيقنوا أن قومهم على وشك أن يبطشوا بهم ليردوهم عن عقيدة التوحيد، لجأوا
 إلى الكهف هرباً بدينهم الحق، واعتزلاً لوثنية المجتمع. وشاء الله تعالى أن يذهبوا في سبات عميق، تحيطهم رعاية الله
 سبحانه وتعالى. ثم كان أن بعثوا من نومهم بعد مضي ثلاثمائة وتسع سنوات، وكانوا آية من آيات الله الدالة على
 البعث..

إذ أنهم لما بعثوا لم يلحظوا على أنفسهم اختلافاً بيناً في أشكالهم وملاحمهم، أي أنهم قاموا على الحال التي ناموا
 عليها، ولذلك ظنوا أن لبثهم في الكهف كان يوماً أو بعض يوم. ولكن عندما بعثوا أحدهم إلى المدينة متسللاً
 ليشتري لهم بعض الطعام، كانت المفاجأة، ففي الوقت الذي لم تتغير فيه ملامحهم داخل الكهف على مدى القرون
 الثلاثة، كانت ملامح المجتمع قد تغيرت، بل تغيرت أفكار الناس وعقائدهم، وانتصرت عقيدة التوحيد، وإذ بالمجتمع

في حالة انتظار لفتية رفعا لواء الحق، ذهبوا وغابوا، وقد كانت تواترت نبوءات بأهم سبيعتون من نومة هم فيها، وكان الناس قد اختلفوا في المدة التي سيلبثونها نائمين. فلما بعثوا من نومهم، تبين دقة إحصاء من وافق بحسب النقود القديمة التي كانت بحوزتهم أنها ثلاثمائة وتسع سنوات. وهكذا كانوا برهاناً من براهين البعث. ويبدو أن حياتهم لم تطل، بل عادوا إلى سبات، فالتبس أمرهم على الناس، أهم نيام أم موتي؟! فتم إغلاق الكهف ببناء، واتخذ المعاصرون للحدث في الموقع مسجداً..

وصفت الآيات القرآنية بعض أحوال الفتية في نومهم، وبينت موقع الكهف بالنسبة لشرق الشمس وغروبها. كل ذلك قد يساعد في إدراك بعض أسرار هذه الحادثة العجيبة، وليس هذا مقام التفصيل. وقد أشارت الآيات الكريمة إلى اختلاف الناس في عدد الفتية. أهم ثلاثة أم خمسة، أم سبعة ثامنهم كلبهم. ويصعب البت في عددهم لأن القرآن الكريم لم يبت في ذلك، وكان تركيزه على المضمون والعبارة من القصة^{٦٠١}.

ثالثاً: الفضائل التربوية للقصة:

وقف العلماء على فوائد تربوية متعددة، من هذه القصة التي ذكرها القرآن الكريم في هذه السورة، نبرز بعضها منها على النحو الآتي:

أولاً: تعريف المؤمن بسعة القدرة الإلهية:

"قدرة الله تعالى لا حدود لها ، وخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس . ولئن عجب الكفار من بعثهم بعد الموت إن الأنبياء وأولي البصائر يدركون قدرة الله عز وجل ، فيزيدهم ذلك إيماناً : ﴿ أَمْ

حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾

وكان الآية تقول، "إن سألك كفار مكة عن مسألة أصحاب الكهف على أنها معضلة يريدون إحراجك بها، فدعك من كلامهم، ودعك من سوء نيتهم، ولا تحسب أن أهل الكهف هي العجيبه الوحيدة لدينا، فالعجائب عندنا كثيرة، وهذه واحدة منها"^{٦٠٢}.

ثانيا: تعزيز الإيمان بالله تعالى، والتسليم له، والتوكل عليه:

"اللجوء إلى الله تعالى سمة المؤمن ، فهو سبحانه عونه ونصيره.. وهؤلاء الفتية المؤمنات حينما أُلجأهم الكفر إلى ضيق الكهف تضرعوا واتجهوا إلى ربهم، فهو وحده القادر على أن يُوسّع عليهم هذا الضيق، بقولهم: ﴿ رَبَّنَا إِنَّا مِن لَّدُنكَ رَحِمَةٌ وَهَيِّئْ لَنَا مِن أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ فلما لجؤوا إليه داعين ، وأسلموا قيادهم له سبحانه واعتمدوا عليه آواهم الله وحفظهم إذ دهم على الكهف ، وأغدق عليهم مما طلبوا من الرحمة والهدى والرشاد ﴿ فَأَوْرَأْنَا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِّن أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا ﴾ ولا حظ معي التوافق بين الإيواء إلى الله سبحانه ونشر الرحمة . وهكذا العلاقة بين العبد وربّه . ومن لجأ إلى ربه واعتمد عليه ثبته الله وأيده ﴿ وَرَبِّطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾^{٦٠٣}.

ثالثا: تحقيق اليقين بأن القرآن الكريم، ومنه القصة القرآنية حق لا مرأى فيه:

قال تعالى ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾ "ولو أن القاص غير الله لثوَّق منه الخطأ أو النسيان، أو ترك شيء من الأحداث لهوى في نفسه، إنما إن جاءك القصص من الله فهو الحق، كما قال في آية أخرى: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ [يوسف: ٣].. وأحسن القصص ما كان حقيقة"^{٦٠٤}.

^{٦٠٢} الشعراوي، تفسير الشعراوي، د.ط،ت، ج٢٢، ص٢١٣٣.

^{٦٠٣} مكاسي، د.محمد قدرى، <http://www.saaaid.net/aldawah/213.htm>

^{٦٠٤} الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ج٢٢، ص٢١٣٧.

وعلى هذا نفهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢] فما ورد في القرآن الكريم حق لا مرأى فيه.

رابعاً: بث الروح المعنوية لدى الشباب لنشر الدعوة والذود عنها :

"فقد أوقفنا القصة شباب مؤمنين، صدعوا بالحق، وأعلنوا دعوة التوحيد بثبات ﴿إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا﴾.. فمن أشرك فقد تطاول على الحق وابتعد عنه ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا﴾. وهنا نلاحظ في كلمة الشطط التشنيع على المتطاولين الذين يغيرون الحقائق وينشرون الباطل" ٦٠٥.

خامساً: اتخاذ المنهج العلمي في تحري الدلائل:

"لا بد لكل فكرة أو مبدأ من دليل أو برهان، وإلا سقط في أول لقاء ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ وإذا لم يكن هناك حجة قوية أو دليل ساطع فهو ضعيف ، ولن تقنع أحداً بفكرتك إن لم تؤيدها بالنور الساطع الذي يكشف الغشاوة عن العيون وينير سبيل الحق . أما فرض الفكرة بالقوة والإرهاب المادي فدليل على الإفلاس وضحالة ما تدعو إليه ويُعدّ افتئاتاً على الحق وظلماً له ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ فالميل عن الحق افتراء على الله وتضليل للناس" ٦٠٦ .

٦٠٥ مكانسي، د. محمد قدرى، <http://www.saaaid.net/aldawah/٢١٣.htm>

٦٠٦ الموقع السابق، <http://www.saaaid.net/aldawah/٢١٣.htm>

سادسا: التضحية لأجل الدعوة والجهر بما:

"لا بد من الجهر بالدعوة بين الناس لتصل إليهم ، وتكون حجة عليهم . ولنا في رسول الله ﷺ الأسوة الواضحة البينة ، ولنا بمؤلاء الفتية الأطهار القدوة الحسنة ، فحين سألوا الله القوة أمدّهم بها ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ فثبتهم على الحق فقاموا يدعون إليه سبحانه فأعلنوا عقيدة التوحيد خالصة دون لبس ولا خوف " .. ﴿ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُوَ مِنْ دُونِهِ إِلَهًا ﴾ . فكانوا قدوة للدعاة في التأسي .. قالوها ، فخلّدهم الله في كتابه الكريم إلى يوم القيامة"٦٠٧ .

سابعا: الثقة بالله تعالى، والثبات على أمره:

تعلمنا القصة الثقة بالله تعالى، والثبات على أمره، وذلك في حديث الفتية بعضهم إلى بعض: ﴿ وَإِذْ أَعَزَّلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ ﴾ .. ما دُئنا اعتزلنا أهل الكفر، ونأينا عن طريقهم، وسلكننا مسلك الإيمان بالله الذي يسره الله لنا، فهيا بنا إلى الكهف نلجأ إليه ونحتمي فيه فراراً بديننا، ومخافة أن يفتننا القوم عن ديننا، وحتى ينشر الله تعالى علينا من رحمته..

لذلك قال بعدها: ﴿ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ ﴾ فالضيق يقابله البسط والسعة، لقد قالوا هذه الكلمة وهم واثقون في رحمة الله معتقدون أن الذي هاجروا إليه لن يُسلمهم ولن يخذلهم، وسوف يُوسّع عليهم برحمته هذا الضيق، وقد وسّعه الله عليهم فعلاً حين أنامهم، وأمر الشمس أن تميل عنهم حين

طلوعها، وحفظ أجسامهم لمدة ثلاثة قرون^{٦٠٨}.. فسبحان الله مالك الملك، المتصرف في مخلوقاته كما يشاء.

ثامنا: تحقيق معنى الهداية الحققة:

إنَّ الهادي الحق هو الله تعالى، ولكن لا يفهم من هذا أن الله تعالى يمنع أحدا من الهداية، وإنما لا ييسرها عليه، وطبيعة نفس الكافر هي التي تميل به عن الحق.

" والهداية نوعان: هداية دلالة، وهي للجميع، للمؤمن والكافر؛ لأن الحق سبحانه لم يدل المؤمن فقط، بل يدل المؤمن والكافر على الإيمان به، فمن يُقبل على الإيمان به، فإن الحق تبارك وتعالى يجد فيه أهلاً للمعونة، فيأخذ بيده ويعينه، ويجعل الإيمان خفيفاً على قلبه، ويعطي له طاقة لفعل الخير، ويشرح له صدره وييسر له أمره. فمن شاء الحق سبحانه هدايته أعطاه الهداية، ومن شاء له الضلال زاده ضلالاً، وقد بين أن من شاء هدايته يهتدي، وهذه معونة من الله، والكافر لا يهتدي، وكذلك الظالم والفاقد، لأنه سبحانه قد ترك كل واحد منهم لاختياره، وهكذا يمنع الحق سبحانه عنهم هداية المعونة^{٦٠٩}، كما قال تعالى: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾.

تاسعا: توجيه المسلم إلى أخذ الحيطة والحذر:

"الحذر في الحياة مطلوب، والأخذ بالأسباب واجب، وهؤلاء الفتية حين استيقظوا من نومهم، لم يفتهم أن يكونوا على حذر من قومهم، فمن سيذهب منهم إلى هذه المهمة عليه أن يدخل المدينة حلسة، وأن يتلطف في الأمر حتى لا يشعر به أحد من القوم، ذلك لأنهم استيقظوا على الحالة التي ناموا عليها،

^{٦٠٨} الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ج ٢٢، ص ٢١٤٠.

^{٦٠٩} المرجع السابق، ج ٢٢، ص ٢١٤٠.

وما زالوا على حذر من قومهم يظنون أنهم يتبعوهم ويبحثون عنهم، ويسعون للقضاء عليهم.. ﴿إِنَّهُمْ

إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا أَبَدًا﴾^{٦١٠}

وهذا احتياط منهم للدين، وحماية للعقيدة التي فرّوا بها. فإن يرحمكم فسيقتضون عليكم في الدنيا، إنما

ستأخذون الآخرة، وإن ردوكم إلى دينهم، فلن تفلحوا في الدنيا ولا في الآخرة^{٦١١}.

عاشرا: ضرورة الاعتبار بالقصص القرآني:

"لا ينبغي أن نمر على قصص القرآن مروراً سريعاً إنما يجب التفكير والتدبر للعظة والعبرة واستخلاص

الدروس، فتكون نبراساً نسير على هديه ونستضيء بنوره كما في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْتَرْنَا

عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ يقيم من أهل الكهف دليلاً على قيام

الساعة والبعث بعد الموت، فهذا أتم ما زلتم على قيد الحياة وفي سعة الدنيا، ومع ذلك أنامكم الله هذه

النومة الطويلة ثم بعثكم وقد عثر عليهم، وما زالت فيهم حياة^{٦١٢}.

"ومن نظر إلى المحور الموضوعي لسورة الكهف خصوصاً، والذي ترتبط به موضوعاتها، ويدور حوله

سياقها، يجده أنه تصحيح العقيدة وتصحيح منهج النظر والفكر. وتصحيح التقييم بميزان هذه

العقيدة^{٦١٣}.

^{٦١٠} مكانسي، د. محمد قدرى، <http://www.saaaid.net/aldawah/٢١٣.htm>.

^{٦١١} ينظر نفس الموقع، <http://www.saaaid.net/aldawah/٢١٣.htm>.

^{٦١٢} ينظر الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ج ٢٢، ص ٢١٤٠. ص ٢١٤٥، و مكانسي، د. محمد قدرى،

<http://www.saaaid.net/aldawah/٢١٣.htm>

^{٦١٣} سيد قطب، في ظلال القرآن الكريم. مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٢.

حادي عشر: تقدير الوقت واغتنامه، والحرص على أن لا نشغل أنفسنا فيما لا ينبغي:

"إن في عدم تبيين الحق سبحانه لنا عددهم الحقيقي، وأمرنا أن نترك هذا لعلمه سبحانه، يقيماً على فضيلة تربوية مهمة، وهي أن الوقت ثمين، وعلى المرء أن لا يخوض فيما لا طائل له، وإنما يأخذ العبرة فقط، وغير ذلك أمور ثانوية لا تُقدّم ولا تُؤخّر"^{٦١٤}. ولذلك جاء في الآية التي بعدها: ﴿فَلَا تَمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَهَرَ..﴾ في بيان عدم الحاجة للمراء في أمر لا فائدة فيه، والفائدة المرجوة نجدها في أفعالهم وثباتهم على المبدأ وفرارهم بدينهم يحافظون عليه. وحذرهم في تصرفاتهم، وأخوتهم في الله تعالى^{٦١٥}.

ثاني عشر: تعليق الأمر بالمشيئة الإلهية:

من أدب المسلم تعليق الأمر بمشيئة الله ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَأَىٰ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا . إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ فقد "عاتب الله تعالى نبيه الكريم على قوله للكفار حين سأله عن الفتية والروح وذوي القرنين: غداً أخبركم بجواب أسئلتكم. ولم يستثن في ذلك، فاحتبس الوحي عنه خمسة عشر يوماً حتى شق ذلك عليه، وأرجف الكفار به"^{٦١٦}. فتزلت عليه هذه السورة مفرجة، وأمر في هذه الآية أن لا يقول في أمر من الأمور: إني أفعل غداً كذا وكذا إلا أن يعلق الأمر بمشيئة الله تعالى. وهذه الآية في حد ذاتها دليل على صدق رسول الله، وعلى أدبه، وعلى أمانته في البلاغ عن ربه عز وجل، وقد أراد الحق سبحانه أن يكون هذا الدرس في ذات الرسول ليكون نموذجاً لغيره، وحتى لا يستنكف أحد إذا استدرك عليه شيء، أن لا يستثنى"^{٦١٧}.

^{٦١٤} الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ج ٢٢، ص ٢١٤٦.

^{٦١٥} ينظر مكانسي، د. حمد قدرى، <http://www.saa'id.net/aldawah/213.htm>.

^{٦١٦} القرطبي، جامع أحكام القرآن، مرجع سابق، ج ١٠، ص ٣٥٦.

^{٦١٧} ينظر الشعراوي، تفسير الشعراوي، ج ٢٢، ص ٢١٣٣.

المطلب الثاني: قصة سيدنا موسى والخضر عليهما السلام:

أولاً: الآيات الواردة في القصة:

- ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتْلِهِ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِقَتْلِهِ إِئِنَّا غَدَاءُ نَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَنِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ، وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَارْتَدَّ عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا ءَأْتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ، مُوسَى هَلْ أَتَيْكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، خَبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَحَدُثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ، قَالَ أَقْتَلْتَنِي نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَحِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾ فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَنبَأَ أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ، قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أُوِيلَ مَا لَمْ تَسْتَطِيعَ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾ أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ

مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٦﴾ وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ فَكَانَ أَبُوهُمُ الْمُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِمَّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ، عَن أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾ [الكهف: ٦٠ - ٨٢].

ثانيا : جوهر القصة:

"بدأت حكاية موسى عليه السلام مع الخضر عليهما السلام ، حينما كان عليه الصلاة والسلام يخطب يوماً في بني إسرائيل، فقام أحدهم سائلاً: هل على وجه الأرض أعلم منك؟ فقال موسى: لا، إنكأ على ظنه أنه لا أحد أعلم منه، فعتب الله عليه في ذلك، لماذا لم يكل العلم إلى الله، وقال له: إن لي عبداً أعلم منك وإِنَّه في مجمع البحرين، وذكر له أن علامة مكانه هي فقد الحوت، فأخذ حوتاً معه في مكْتَل وسار هو وفتاه يوشع بن نون، وحكت لنا سورة الكهف كيف التقى مع العبد الصالح الخضر، إذ بدأت الحكاية في القرآن الكريم بعزم موسى عليه السلام على الرحلة إلى مَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ في طلب العلم ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ ..

ثم تتابعت الأحداث حيث نسيا الحوت وواصلتا طريقهما، ثم تنبها لنسيانه فعادا، ولقي موسى عليه السلام الخضر عند مجمع البحرين، والخضر (و القول بنبوته قوي) عبد صالح وهبه الله نعمة عظيمة من العلم وفضلاً كبيراً: ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ ..

وتستمر القصة حين يعرض موسى عليه السلام على الخضر مرافقته لطلب العلم، والشرط بينهما، وما حصل أثناء هذه الرحلة من أحداث، في تسلسل قرآني جميل: ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا

عَلِمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ

سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ

مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ ثم انطلقا، وحصلت المواقف التي لم يصبر موسى عليها، وكان الختام حين افتراقا، ليقدم

المعلم للمتعلم تفسيراً لكل ما حصل، في دروس عظيمة ظلت خالدة تتلى: ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ

سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أَوْيَلَٰ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾^{٦١٨}. ثم بدأ يشرح له، الأسباب الحقيقية التي دفعته لفعل ما عمل

من أمور، أنكر ظاهرها، ولكن حقيقتها كانت رحمة محضة^{٦١٩}..

ثالثا: الفضائل التربوية للقصة:

من خلال هذه القصة، نقف على فضائل تربوية متعددة:

أولاً: "الإبتعاد عن العجب، وخاصة في العلم:

لأن "العجب بالعلم مكنم الخطر. فعلى الإنسان ألا يعجب بعلمه أو يظنّ بنفسه وصول المنتهى. ويظهر

ذلك في معاتبة الله تعالى لموسى عليه السلام بعد أن سئل عن أعلم الناس فنسب ذلك إلى نفسه، وهو درس

لمن وراءه، أن لا يرى في نفسه إعجاباً بعلمه أو فهمه أو تميزه، فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وما أوتي

الإنسان من العلم إلا قليلاً حتى لو كثر"^{٦٢٠}.

^{٦١٨} الزبيد، إكرام "تأملات تربوية في قصة الخضر مع موسى عليهما السلام

<http://www.saaaid.net/aldawah/٢١٣.htm>

^{٦١٩} الموقع السابق، <http://www.saaaid.net/aldawah/٢١٣.htm>،

^{٦٢٠} الزبيد، إكرام "تأملات تربوية في قصة الخضر مع موسى عليهما السلام

<http://www.saaaid.net/aldawah/٢١٣.htm>

ثانياً: الحرص على التعلم:

فالتعلم محمّدة، مهما بلغ شأو الإنسان العلمي وشأنه المعرفي، وهذا هو نهج الأنبياء ومن تبعهم من الصالحين والعلماء، فالعلم ميراث النبوة، وفيه رفعة للشأن، وصلاح للأمم، حتى لو استغرق الأمر من الإنسان زمناً طويلاً يسعى به لتحقيق مرامه، ونيل أهدافه. ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾. "والحُقُب: جمع حُقْبَة، وهي الفترة الطويلة من الزمن، وقد قدروها بحوالي سبعين أو ثمانين سنة، فإذا كان أقل الجمع ثلاثة، فمعنى ذلك أن يسير موسى عليه السلام مائتين وعشرة سنين، ويكون المعنى: لا أترك السير إلى هذا المكان ولو سرت مائتين وعشرة سنين؛ حتى أبلغ مجمع البحرين، مكان التقاء البحرين، وحيث وجود العبد الصالح، وفي هذا إشارة إلى أهمية الرحلة في طلب العلم، والتشوق إليه، وقد كان موسى عليه السلام مشوقاً إلى رؤية هذا الرجل الذي أعطاه الله علماً لدنيا"^{٦٢١}.

ثالثاً: أدب المتعلم مع المعلم:

وهنا يتجلى في أدب الخطاب الجميل: ﴿هَلْ أَتَيْتُكَ عَلَيَّ أَنْ تَعْلَمَنَ مِمَّا عَلَّمْتَنِي رُشْدًا﴾ وفيه فائدة لطيفة، أن "المتعلم له أن يبين حاله التي سيكون عليها مع معلمه، لينال رضاه عليه، وإقباله لتعليمه. ورغم أن المتعلم هنا أرفع قدراً بحكم النبوة والرسالة، إلا أنه يقدم عرضاً للمعلم كي تطيب نفسه بصحبته بشيئين:

^{٦٢١} في الأصل عند الشعراوي، (وقد كان متشوقاً إلى الرجل الأعم مني)، وأظن أن لا أحد أعلم من أولي العزم، لأن العلم عند الله تعالى بقدر بلوغ المرتبة، والله تعالى يقول ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢]. وينظر الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ج ٢٢، ص ٢١٨٤.

أ . ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ أي صبر على التعلم مع تعليقه الصبر بالمشيئة.. أي: أنا قابل

لشروطك أيها المعلم فاطمن، فلن أحادلك ولن أعارضك في شيء، وقدّم المشيئة فقال: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ

شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا﴾ ليستميله إليه ويحنّ قلبه عليه ﴿صَابِرًا﴾ على ما تفعل مهما كان .

ب . ﴿وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ .. وهكذا جعل نفسه مأموراً، فالمعلم أمراً، والمتعلّم مأمور. وفيه تمام

الامتثال "٦٢٢" ..

رابعا: أهمية تقديم النصيحة للمتعلمين:

فعلى المعلم أن ينصح تلميذه غاية النصح، بتبيين حال العلم حتى لا يدخله فيما لا يطيقه من

العلم: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ مع تبين السبب فيما يردده عنه أو يمنعه منه. وذلك في تبين

الخضر لموسى عليهما السلام، طبيعة علمه ومذهبه، في قوله تعالى: ﴿وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا

﴾ فكأنه يقول له: إنمذهبك غير مذهبي، وعلمي من كيس غير كيسك، وسوف ترى مني تصرفات لن

تصبر عليها؛ لأنه لا علم لك ببواطنها، وكأنه يلتمس له عُذْرًا على عدم صبره معه؛ من قوله: ﴿وَكَيْفَ

تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا﴾. ثم لما اختلفا بسبب عدم حصول الإتفاق، يقول تعالى على لسان الخضر:

﴿سَأُنَبِّئُكَ بِمَا أَوْيَلَٰ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا﴾ أي: لن أتركك وفي نفسك هذه التساؤلات، حتى لا

يكون في نفسك مني شيء، سوف أخبرك بحقيقة هذه الأفعال التي اعترضت عليها لتعلم أن الله لم يخدعك،

بل أرسلك إلى من يُعلمك شيئاً لم تكن تعلمه..

ثم أخذ العبد الصالح يكشف لموسى الحكمة من هذه الأفعال واحداً تلو الآخر، وقالوا: إن هذا من أدب الصُّحبة، فلا يجوز بعد المصاحبة أن نفترقَ على الخلاف، ينبغي أن نفترقَ على وفاق ورضا؛ لأن الافتراق على الخلاف يُنمّي الفجوة ويدعو للقطيعة"^{٦٢٣}

خامسا: التروي وعدم الإستعجال:

"فمن الأدب التربوي أيضاً ألا يتعجل التلميذ بسؤال معلمه حتى ينهي حديثه، فربما عرض الجواب في ثنايا الحديث، وذلك يؤخذ من قوله: ﴿فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أَحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾^{٦٢٤} وكأنه يُعلّمه أدب تناول العلم والصبر عليه، وعدم العجلة لمعرفة كل أمر من الأمور على حدة"^{٦٢٥}.

سادسا: عدم التمهّل في إنكار المنكر:

"يتعلم من القصة المبادرة إلى الإنكار في حال وقوع المنكر، فرغم أن موسى عليه السلام قد شرط للخضر ألا يسأله، إلا أنه أنكر عليه ما رأى ظاهره منكر، وقد أنكر ناسياً الشرط في البداية حين خرق السفينة، إلا أنه لم يكن قد نسيه حين قتل الغلام، لكون المنكر عظيماً في نظره. ﴿أَخْرَقَهَا لِنُغْرَقَ أَهْلَهَا

أَقْلَتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾^{٦٢٦}.

^{٦٢٣} الزيد، إكرام "تأملات تربوية في قصة الخضر مع موسى عليهما

السلام" <http://www.saaaid.net/aldawah/٢١٣.htm> وينظر الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق،

ج٢٢، ص٢٢٠٢، ٢١٩١.

^{٦٢٤} الزيد، إكرام "تأملات تربوية في قصة الخضر مع موسى عليهما السلام"

<http://www.saaaid.net/aldawah/٢١٣.htm>

^{٦٢٥} ينظر المرجع السابق "تأملات تربوية في قصة الخضر مع موسى عليهما السلام" <http://www.saaaid.net/aldawah/>

و الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ج٢٢، ص٢١٩٤.

^{٦٢٦} الزيد، إكرام "تأملات تربوية في قصة الخضر مع موسى عليهما السلام"

<http://www.saaaid.net/aldawah/٢١٣.htm>

سابعاً: تعلم أصول العتاب والإعتذار:

"للمعلم العتاب حين يخطئ تلميذه أو يجاوز: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ . وعلى المتعلم الاعتذار: ﴿ قَالَ لَا تَأْخُذْ بِنِيمَانِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴾ . ومنه أيضا إعتذار نبي الله يوشع عليه السلام، والذي كان خادماً له، تبعه ليتعلم منه ويتربى على يديه، قال له، وقد نسي الحوت: ﴿ وَمَا أُنْسِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ﴾ ونلاحظ أنه قال هنا ﴿ نَسِيتُ ﴾ وقال في الآية السابقة ﴿ نَسِيًا ﴾ من قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ [الكهف: ٦١] ذلك لأن الأولى إخبار من الله، والثانية كلام فتى موسى. فكلام الله تبارك وتعالى يدلنا على أن رئيساً متبوعاً لا يترك تابعه ليتصرف في كل شيء؛ لأن تابعه قد لا يهمله أمر المسير في شيء، وقد ينشغل ذهنه بأشياء أخرى تنسيه ما هو منوط به من أمر الرحلة^{٦٢٧}.

ثامناً: نسبة الفضل لأهله:

في قول الخضر عليه السلام: ﴿ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ درس في أدب التواضع ومعرفة الفضل لأهله. فقد قال سيدنا الخضر لسيدنا موسى عليهما وعلى نبينا، وعلى الأنبياء جميعاً أزكى الصلوة وأتم التسليم: "إن ما حدث كان بأمر الله، وما علمتكم إياه كان من عند الله، فليس لي مئزرة عليك"^{٦٢٨}.

^{٦٢٧} الموقع نفسه "http://www.saaid.net/aldawah/٢١٣.htm"

والشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ج ٢٢، ص ٢١٨٤.

^{٦٢٨} الشعراوي، تفسير الشعراوي، مرجع سابق، ج ٢٢، ص ٢٢٠٦.

الفصل السادس:

الفضائل التربوية

الاقتصادية:

الفصل السادس: الفضائل التربوية

الاقتصادية:

ويشتمل على تمهيد، سبعة مباحث:

المبحث الأول: الكسب الحلال.

المبحث الثاني: الحث على الإنفاق، و محاربة البخل.

المبحث الثالث: حفظ مال اليتيم.

المبحث الرابع: حرمة الربا.

المبحث الخامس: الاعتدال والتوسط.

المبحث السادس: ضبط الموازين.

المبحث السابع: المواريث والوصايا.

تمهيد:

يقرر القرآن الكريم، بأن الله سبحانه وتعالى هو المالك الحقيقي للمال ، لقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي

السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ۝﴾ [النساء: ١٢٦] ، ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾﴾ [آل عمران: ١٨٩] ..

وأن ملكية الإنسان للمال ملكية وكالة واستخلاف، قال تعالى: ﴿ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا

جَعَلَكُمْ مُّسْتَخْلِفِينَ فِيهِ ۖ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [الحديد: ٧] ^{٦٢٩}

وهذا الاعتقاد ، الذي هو جزء من عقيدة المسلم ينتج عنه حكما، أن "تصرف الإنسان الاقتصادي كسباً، وإنتاجاً، وإنفاقاً، ومحكوم بإرادة المالك الأصلي وهو الله ، وهذا يعني بشكل أوضح أن الإنسان لا يمتلك حرية التصرف من كل ضابط، في كسب وإنفاق المال ، وإنما هناك ضوابط شرعية وضعها المالك الأصلي تحكم ممارساته جميعاً ، الأمر الذي يترتب عليه قيود للكسب، وقيود للإنفاق ، أو بمعنى آخر : هناك وسائل كسب شرعية ، ووسائل كسب محظورة وغير شرعية لا يحق للمسلم ممارستها كالربا، والميسر ، والاحتكار ، والغبن والغش، وكل العقود التي تتضمن الغرر والخداع." ^{٦٣٠}

وذلك للمحافظة على العلاقات الإجتماعية داخل المجتمع المسلم، كيلا يفسدها البغي، والظلم،

واستغلال الآخرين، مما يؤدي إلى التنازع، والحقد، والبغضاء.

وللتفصيل في الآثار التربوية، التي تنتج عن التشريع العادل للنظام الإقتصادي في الإسلام، من خلال

القرآن الكريم، قسمنا البحث في هذا الموضوع بحسب الفروع السابقة، ونبدأ بالكسب الحلال، وآثاره

التربوية.

^{٦٢٩} القضاة، مهن خالد عبد الله، منهج القرآن الكريم في تحقيق الأمن الإقتصادي، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير من جامعة

اليرموك، كلية الشريعة، د.ط،ت، ص ٥٢.

^{٦٣٠} العوضي، د. رفعت السيد، الإقتصاد الإسلامي، المرتكزات، التوزيع، الإستثمار، النظام المالي، د.ط،ت، ص ٥.

المبحث الأول:

الكسب الحلال.

حث الإسلام المسلم على طلب الرزق، وفق قواعد الكسب المشروع، وحث على ابتغاء المزيد منه، ونهى عن الاستكانة إلى الفقر.

قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾

[الملك: ١٥]

فقد بينت الآية، أن الله تعالى الذي سخر الأرض لعباده "إذ جعلها سهلة، وهيئها للتعايش، يستقرون عليها، ويتمكنون من الزرع، والغرس، وشق العيون والأنهار، وحفر الآبار، أمرهم أن يمشوا في أطرافها ونواحيها وآكامها وجبالها"^{٦٣١}.

وهذا من تيسير الله تعالى ومنته على خلقه، ولهذا قال: ﴿وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾ كما روى الإمام أحمد، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خصاصاً وتروح بطاناً"^{٦٣٢}.

ولكن الإسلام يحذر المسلم في الوقت نفسه من أن يجعل كسب الغنى غاية في ذاته، إذ هو مجرد وسيلة إلى غاية، فالغاية العليا هي ابتغاء وجه الله، وفلاح الدنيا والآخرة. ثم نفع ذاته ونفع المجتمع على السواء..

^{٦٣١} ينظر القرطبي، جامع أحكام القرآن، مرجع سابق، ج ١٨، ص ٢١٥.

^{٦٣٢} أحمد، مسند الإمام أحمد، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٠، وابن ماجه، سنن ابن ماجه، مرجع سابق، ح ٤١٦٤، عن ابن هبيرة رضي الله عنه، وقال الترمذي: حسن صحيح.

قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا

أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧] ..

"إنّ الكسب المالي ، إذا لم يضبط بأحكام شرعية، وبقيم أخلاقية ، كسباً وإنفاقاً ، ينتهي بصاحبه إلى الطغيان ، والأثرة، والدمار الاجتماعي.. وإذا تجردت الحركة الاقتصادية عن ضابطها الشرعي والخلقي ، وهدفها ، وانقلبت الوسيلة إلى غاية ، انتهى الأمر بالإنسان إلى أزمات نفسية ، واجتماعية ، واقتصادية تجعل المعيشة ضنكاً ، وتحوله إلى عبد للمال ، وخدام له بدل أن يكون المال في خدمة الإنسان".^{٦٣٣}

وهكذا حرص الإسلام على تحرير السعي المشروع من كل عقبة تعوق انطلاقه، فهو يقدر العمل، الذي يكسب به الإنسان الحلال، ويدعو إلى الجِدِّ والإتقان فيه، ويضفي على كل عمل نافع صبغة تعبدية في ظل رقابة إلهية توجه نشاط الفرد إلى الخير فيه، ناهيك عن حث المسلم على ارتياد خيرات الأرض التي استخلفه الله فيها، لتعميرها واستثمارها في ظاهرها وباطنها.

قال تعالى: ﴿وَأَيُّهُمْ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٣٣].

وقال بعد ذلك: ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٣٥].

"أي ما قدمته من عمل حتى وصل الثمر إلى درجة الصلاحية للإستهلاك، أو ما استغلّت به المنتجات النهائية في التصنيع الغذائي وغيره"^{٦٣٤}.

"والإسلام يدعو إلى التنافس والتسابق في إحياء العمل والإنتاج، ولكنه ينأى بالمنافسة عن السعي إلى الكيد للغير وتعمد إيدائه، ويحدوها إلى التعاون المثمر، والذي هو من أهم أركان الاقتصاد الإسلامي"^{٦٣٥}.

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢]

^{٦٣٣} ينظر العوضي، الاقتصاد الإسلامي، مرجع سابق، ص٤-٥.

^{٦٣٤} ينظر قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج٨، ص٤٦٩، والقرطبي، جامع أحكام القرآن، مرجع سابق، ج١٠، ص٢٢٢.

^{٦٣٥} ينظر القضاة، منهج القرآن الكريم في تحقيق الأمن الاقتصادي، مرجع سابق، ص٢٢.

"والأمر القرآني الصادر إلى المسلم بالعمل الصالح هو الأمر المكرر في ثنايا الآيات القرآنية، والعمل الصالح تعبير شامل يشمل البر المباشر من جانب، ويشمل من جانب آخر البر غير المباشر، وهو الذي يتمثل في كل عمل يدخل في نطاق أوضاع النشاط الاقتصادي، ويؤدي التنافس في إجادته إلى خفض تكاليف الإنتاج، أو تحسين وسائل الإنتاج، مما يمكن المستهلك من الحصول على مطالبه من السلع أو الخدمات بثمن أقل، فهذه حسنة يؤديها المسلم إلى مجتمعه، والتنافس فيها بين المسلمين محمود ومطلوب، بعكس الاحتكار وما يفضي إليه من غلاء فمكروه ومنهي عنه"^{٦٣٦}.

وقال تعالى ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَجِبَالٌ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ بِطَائِرٍ لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنْ أَعْمَلَ

سَيِّغَتْ وَقَدَّرَ فِي السَّرِّ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾ [سبأ: ١٠ - ١١]

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾

[المؤمنون: ٥١]

وهنا قرن الله تعالى بين العمل الصالح، والأكل من الطيبات، إذ أن الله سبحانه وتعالى طيب لا يقبل إلا طيباً، واختار من كل جنس من أجناس المخلوقات أطيبه، واحتصه لنفسه، وارتضاه دون غيره، فإنه تعالى طيب لا يجب إلا الطيب، ولا يقبل من العمل والكلام والصدقة إلا طيب..^{٦٣٧}.

^{٦٣٦} ينظر المرجع السابق، ص ٣٤

^{٦٣٧} ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، د. ط، ج ١، ص ٥.

المبحث الثاني:

الحث على الإنفاق ومحاربة البخل:

الإنفاق "هو إخراج المال ونحوه على وجوهه مختلفة، فرضا كان أو نفلا"^{٦٣٨}.

أو "هو إعطاء الرزق فيما يعود بالمنفعة على النفس والأهل والعيال، ومن يرغب في صلته أو التقرب لله بالنفع له من طعام أو لباس"^{٦٣٩}.

والبخل: "هو المنع من مال نفسه، والشح هو بخل الرجل من مال غيره"^{٦٤٠}، بدليل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ

يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾ [النساء: ٣٧]

وقد "فطر الإنسان على حب التملك، وعدم الرغبة في إعطاء الغير هبة دون مقابل، ولم ينكر القرآن وجود هذه الغريزة، إنما جاء ليهذبها بما يحقق المصلحة العامة للمجتمع المسلم، وذلك بالحث على الإنفاق في وجوه الخير المختلفة، والوعد بالثواب الجزيل على هذا السلوك، وبالمقابل ذم البخل والشح ورتب على ذلك عدداً من العقوبات في الدنيا والآخرة"^{٦٤١}.

لأنه كما سبق وتقرر، أن المالك الحقيقي للمال هو الله تعالى، وأن الإنسان ليس إلا مستخلف فيه.

قال تعالى: ﴿وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧]

وهنا يربط الله تعالى الإمتثال بالثواب، دفعا الى العمل ترغيبا وتشويقا إليه.

لكن إذا اعتقد البعض أن البخل خير لهم، فإن القرآن يخاطبهم بقوله تعالى:

٦٣٨ ينظر أبي السعود، أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، ٩٨٢ هـ. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم

، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، ط١، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣ م. دار الكتب العلمية، بيروت ج١، ص٣٢.

٦٣٩ ينظر، ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ط١٩٨٤ م. الدار التونسية للنشر ج١، ص٢٣٥.

٦٤٠ الجرجاني، التعريفات، مرجع سابق، ص٢.

٦٤١ القضاة، منهج القرآن الكريم في تحقيق الأمن الاقتصادي، مرجع سابق، ص٥٠-٥١.

﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا

بِخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [آل عمران: ١٨٠].

فالأية تقر بأن "كل ما منع من حق المال، زكاة كان أم نفقة واجب، فإن البخيل المسك سيطوق بطوق من النار بقدر ما أمسك، ويلزم بإيقاع العقوبة عليه بسبب خطئه، كما يلزم الطوق العنق"^{٦٤٢}.

هذا في الآخرة، أما في الدنيا، فإن الله ييسر البخيل إلى كل وعورة، ويحرمه كل تيسير، ويجعل كل خطوة من خطاه مشقة وحرماً، وينحرف به عن طريق الرشاد، ويقوده إلى طريق الشقاء^{٦٤٣}، وتظهر هذه المعاني جلية في

قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحَسَنَى ﴿٩﴾ فَسَنِيَرُهُ لِّلْعَسْرَى ﴿١٠﴾ ﴾ [الليل: ٨، ١٠].

وهنا تظهر أهمية المسؤولية التي يضعها الله تعالى على عاتق عباده المكلفين، حتى لا يعرضوا عن أحكام شرع الله تعالى، وإنما يقولوا سمعنا وأطعنا، ويدفعهم الرغبة في الثواب، والخشية من العقاب إلى الإمتثال الصادق والحقيقي.

والقيام بالمسؤولية من الفضائل التربوية التي صنعها الإسلام، وهي تعني "تحمل الشخص نتيجة التزاماته وقراراته واختياراته العملية، من الناحية الإيجابية والسلبية، أمام الله في الدرجة الأولى، وأمام ضميره في الدرجة الثانية وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة"^{٦٤٤}.

والقرآن الكريم، بالدرجة الأولى في تأكيده على الفرد القيام بدوره بحق مجتمعه، إنما يقصد بذلك تحقيق التكافل الإجتماعي بين الناس، ناظرا للفرد الذي يعتريه المرض والكبر والعجز وقلة ذات اليد، وتمر به حالات ضيق وعجز عن تلبية احتياجاته في هذا الجانب، من أجل ذلك جاء المنهج التربوي الإسلام بحارب البخل، ويربي النفوس على المشاركة في تحقيق ذلك من خلال الصدقة بنوعيهما..

^{٦٤٢} القرطبي، جامع أحكام القرآن، مرجع سابق، ج ٤، ص ٢٩١ وينظر الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج ١، ص ٤٨٤،

وقطب، الظلال ج ٤، ص ١٧٤..

^{٦٤٣} قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج ٣٠، ص ٥٩٧.

^{٦٤٤} يالجن، جوانب التربية الإسلامية، مرجع سابق، ص ٣٣١.

والصدقة التي جاء الأمر بها في كتاب الله نوعان: صدقة واجبة، وصدقة مندوبة وقد ورد الحث عليها والأمر بها في أكثر من موضع في القرآن العظيم، وقد سبق الحديث عن الصدقة الواجبة في مبحث الزكاة، أما الصدقة المندوبة: " فهي كل صدقة غير واجبة، وقد ورد الحث عليها في القرآن الكريم، وجعلها من صفات المؤمنين"^{٦٤٥}، كما قال تعالى، في وصف المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا

رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]

" وهذه الصدقة التي تجود بها نفوس المؤمنين، تؤدي إلى التماسك الاجتماعي في الأسرة والحي والقرية والوطن والأمة، بما ينهض بالإمكانات ويتصدى للامات، ويؤمن الحياة الحرة الكريمة للجميع، ليصبح جسداً واحداً متكاملًا، متعاونًا، متوادًا، متحابًا، يصح بصحته كل فرد فيه"^{٦٤٦}.

وإلا فبدون التكافل الاجتماعي تتقوض أسر، وتقطع أرحام، ويضيع فقراء وأيتام، فتسود الفرقة مكان الألفة، والقطيعة مكان الرحمة.

" والتكافل بالإنفاق ينتظم جميع القاصرين والمحاجين في الدولة الإسلامية، ابتداء بالفرد والأسرة وانتهاء بالجماعة والمجتمع..

فأول ما يشمل هذا التكافل وجوب نفقة الرجل على زوجته وبناته وأبنائه القاصرين: أي على أسرته الصغيرة الخاصة"

" ويشمل ثانياً النفقة الواجبة بسبب القرابة، في حالة احتياج هؤلاء الأقارب الذين يشملهم هذا الحكم إلى النفقة على أنفسهم وعجزهم عنها..

" ويشمل ثالثاً كفالة الدولة للمحتاجين من أفراد المجتمع في الدولة الإسلامية سواء أكانوا مسلمين أم معاهدين، أي مواطنين غير مسلمين"^{٦٤٧}

^{٦٤٥} المرجع نفسه ص ٥٨.

^{٦٤٦} ينظر مراد، د مصطفى، خلق المؤمن، مرجع سابق، ص ٣٥١.

^{٦٤٧} ينظر المبارك، الشيخ محمد نظام الإسلام، الاقتصاد مبادئ وقواعد عامة، د. ط، ص ١٣٨-١٤٠.

وهكذا لا يبقى قاصر ولا محتاج في المجتمع الإسلامي إلا ويشمله هذا التكافل الذي تقضى به الحوائج وتحقق به الأغراض، وفي ذلك شاهد عملي ودليل واقعي على الأثر العظيم الذي يحققه الإنفاق في المجتمع الإسلامي.

والذي يفسر لنا كثرة تركيز القرآن الكريم في نصوصه على الإنفاق.

ومن هذه الآيات، ما ضرب الله تعالى مثلاً، قصة أصحاب الجنة، قصة أولئك نفر، الذين دفعهم

شجعهم إلى منع الإنفاق الذي كان مسلكاً لأبيهم من قبلهم، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا

أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَبَصَرُهَا مَصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَنْوُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ

كَالْصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادُوا مَصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنْ أَعْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٢﴾ فَانظُرُوا وَهُمْ يَوَخَفُونَ ﴿٢٣﴾ أَنْ لَا

يَدْخُلْنَهَا أَلْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَعَدَّوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَدِيرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَصَّالُونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ

أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَوْمُونَ ﴿٣٠﴾

قَالُوا يَا بُولَاقَ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَا أَنْ يُبَدِّلَنَا حَيْرًا مِّنْهَا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا رَاغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ

أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ [القلم: ١٧ - ٣٣]

وهذا مثل ضربه الله لكفار قريش، فيما أنعم به عليهم من إرسال الرسول العظيم الكريم إليهم،

فقابلوه بالتكذيب والمخالفة، كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَرَىٰ إِلَى اللَّهِ كُفْرًا وَأَحْلُوا قَوْمَهُمْ دَارَ

الْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ [إبراهيم: ٢٨].

وقيل في تفسير الآية: "إنه كان شيخ كانت له جنة، وكان لا يدخل بيته ثمرة منها ولا إلى منزله

حتى يعطي كل ذي حق حقه. فلما قبض الشيخ وورثه بنوه وكان له خمسة من البنين فحملت جنتهم في

تلك السنة التي هلك فيها أبوهم حملاً لم يكن حملته من قبل ذلك، فراح الفتية إلى جنتهم بعد صلاة

العصر.. فأشرفوا على ثمرة ورزق فاضل لم يعاينوا مثله في حياة أبيهم. فلما نظروا إلى الفضل طغوا وبغوا، وقال بعضهم لبعض: إن أبانا كان شيخا كبيرا قد ذهب عقله وخرّف، فهلّموا تتعاهد وتتعاقد فيما بيننا أن لا نعطي أحدا من فقراء المسلمين في عامنا هذا شيئا، حتى نستغني وتكثر أموالنا، ثم نستأنف الصنعة فيما يستقبل من السنين المقبلة. فرضي بذلك منهم أربعة، وسخط الخامس وهو الذي قال تعالى: ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَّا أَقْلُ لَكُمْ لَوْلَا تَسْتَحُونَ ﴾ .. فقال لهم أوسطهم: إتقوا الله وكونوا على منهاج أبيكم تسلموا وتغنموا، فبطشوا به، فضربوه ضربا مبرحا. فلما أيقن الأخ أنهم يريدون قتله دخل معهم في مشورتهم كارها لأمرهم، غير طائع، فراحوا إلى منازلهم ثم حلفوا بالله أن يصرموه إذا أصبحوا، ولم يقولوا إن شاء الله، فإبتلاههم الله بذلك الذنب، وحال بينهم وبين ذلك الرزق الذي كانوا أشرفوا عليه^{٦٤٨}.

بعد ذلك يقول ربنا عز وجل: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ وَلَا يَسْتَأْذِنُونَ ﴾ أي إختبرناهم بالثروة بمثل ما إختبرنا أصحاب المزرعة. فهذه قصة أصحاب الجنة يعرضها الوحي لتكون أحداثها ودروسها موعظة وعبرة للإنسانية.

"ففي هذه الآيات تقرير حقوق للذين لا يملكون في مال الذين يملكون، فبالرغم من أنهم قد أحكموا ما دبروه للقيام بالحصاد في غيبة الفقراء ، حتى لا يأخذوا منهم الذي قرره الله لهم ، بالرغم من ذلك ، لم يكن تدبيرهم خافياً على الله الذي شرع هذا الحق ، ولذلك سبقتهم القدرة الإلهية إلى ما لهم فأهلكته ، حتى إنهم وقفوا أمامه وهم مأخذون من شدة التدمير ، الذي أصابه ، وقالوا ﴿ إِنَّا لَصَّالُونَ ﴾ ..

"وفي الآية إشارة إلى أن الصراع الاجتماعي على الحقوق، يمكن أن ينتج تدميرا من نوع آخر، فالتدمير قد لا يقع عند حجب الأغنياء أموالهم عن الفقراء على المال وحده ، وإنما سوف يكون معه دمار المجتمع ، بما فيه من بشر ومال..

^{٦٤٨} ينظر العوضي، الإقتصاد الإسلامي، مرجع سابق، ص ٤٨.

وختندي أيضا من خلال هذه القصة، إلى أن من أهم الحكم التي وراء أخذ الله الناس بالبأساء والضراء وألوان من العذاب في الدنيا، هو تصحيح مسيرة الإنسان بإحياء ضميره، وإستثارة عقله من خلال ذلك، كما قال ربنا عز وجل: ﴿فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٦٤٩].

وقصة هؤلاء شبيهة بقوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا

رِزْقُهَا رَغَدًا مِّنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا

كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]

وآيات أخرى نجد فيها ضبط الصراع الاجتماعي ، هذه الآيات هي آيات سورة: الكهف، قوله تعالى:

﴿وَأَضْرَبَ لَهم مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿٣٢﴾ كَلَّمَا

الْجَنَّتَيْنِ ءَأَنْتَ أَكَلْتَهُمَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا

أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفْرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا

أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ

أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَنُكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا

﴿٣٨﴾ [الكهف: ٣٢ - ٣٨].

فهنا "يقص القرآن بهذه الآيات قصة أخرى على المسلمين ، ليعلمهم كيف لا يكون تقرير حق الملكية الخاصة ، وحق استثمارها لصالح صاحبها ، كيف لا يكون سببا في الصراع الاجتماعي . والآيات هنا صريحة في الربط بين ظاهرة الصراع الاجتماعي وظاهرة وجود من يملك ، ومن لا يملك .. إذ يجعل الإسلام

التصرفات والاستخدامات المعنوية للمال تساوي التصرفات المادية . إن الرجل الذي تحكي الآيات قصته على أنه ظالم، كان سوء تصرفه واستخدامه لماله من قبيل الأعمال المعنوية ، ذلك أنه قال لصاحبه: ﴿ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ ثم دخل جنته مغروراً ظالماً وهو يعتقد أن ماله لكثرتة لن يفنى أبداً...

﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿٣٥﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودْتُ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا ﴾^{٦٥٠}.

إن المنهج الإسلامي الذي يربط ظاهرة الصراع الاجتماعي بظاهرة سوء استخدام الملكية ، وليس بظاهرة وجود الملكية الخاصة ، هذا المنهج يتفرد به الإسلام ، ذلك أن كل الذين تعرضوا لتحليل ظاهرة الصراع الاجتماعي أو كما يسمونها ظاهرة الصراع الطبقي ، هؤلاء كلهم ربطوا بين هذه الظاهرة وبين ظاهرة الملكية الخاصة نفسها ، ولذلك كان علاجهم لها يتجه إلى المطالبة بإلغاء حق الملكية الخاصة كوسيلة للقضاء على الصراع الطبقي ، وهي المجتمعات التي تدعي الآن أنها تطبق الماركسية . هذه المجتمعات تعاني الآن من أعنف صور الصراع الاجتماعي، أو الطبقي، ذلك لأن تحليل فلاسفتهم كان تحليلاً خاطئاً وكان مغرضاً، وكان تحليلاً يقوم على الحقد وحب الانتقام ، وليس تحليلاً يستهدف بناء مجتمعات ..

وكنتيجة : إن العلاج الإسلامي للصراع الاجتماعي لا يستهدف إلغاء الملكية الخاصة، وإنما يعالج ذلك من خلال ترشيد الاستخدام والتصرف في الملكية الخاصة ، حتى ولو كانت هذه التصرفات من قبيل التصرفات المعنوية.^{٦٥١} .

المبحث الثالث:

^{٦٥٠} العوضي، الإقتصاد الإسلامي، مرجع سابق، ص ٥٠-٥٣.

^{٦٥١} المرجع السابق، ص ٥٠-٥٣.

حفظ مال اليتيم.

"اليتامى: جمع يتيم، وهو الذي مات أبوه أو أمه وهو طفل صغير، فإذا بلغ الحلم زال عنه اليتيم" ٦٥٢

"وقيل: هم الصغار الذين لا كاسب لهم من الآباء" ٦٥٣.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى بالإحسان إلى اليتامى، بقوله تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ

شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ ۖ﴾ [النساء: ٣٦]

والحكمة من التوصية بهم، أن "اليتيم مخصوص بنوعين من العجز: الصغر، وعدم المشفق" ٦٥٤.

ولا شك من هذا حاله، كان في غاية العجز واستحقاق الرحمة.

ومن عظيم وصية القرآن الكريم بالإحسان إلى، قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ

خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩]

"يأمر الباري سبحانه وتعالى الأمة الإسلامية أن لا تححف بأموال اليتيم إسرافاً وتبذيراً، كما لو كان

لك أولاد لكنت السبب الوحيد لأن تحفظ أموالهم وتخشى عليهم الفقر والفاقة والمجاعة، كذلك يجب عليك

أن تخشى الله تعالى في الذرية الضعاف، الذي فقدوا أعز بار بهم، وهم آباؤهم وأمهاتهم، وأصبحوا فقراء

معوزين منقطعين، يتأملون الرحمة والرفقة ممن يتولى أمورهم، لأنهم فقدوا المولى البار بهم ٦٥٥.

٦٥٢ الحازن، علاء الدين بن محمد البغدادي، لباب التأويل في معاني التنزيل، د.ط،ت، دار اليمامة للطباعة والنشر، ج ١، ص ٣٣١-

٣٣٣.

٦٥٣ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٠٩.

٦٥٤ البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مرجع سابق، ج ٢، ص ٧٣٧٤.

٦٥٥ الواعظ: الشيخ نجم الدين، الاعتصام، ط ١٩٧٥، مطبعة الأمة بغداد. ص ٩٥.

وتتجلى نداءات الحق سبحانه وتعالى لعباده المؤمنين لرعاية شؤون اليتامى وأموالهم، وعدم التفريط

فيها، أو الاعتداء عليها، في قوله جل شأنه ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۗ

وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۗ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ۗ ﴾ [الإسراء: ٣٤].

ويعني جل جلاله بقوله: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۗ ﴾ "أي: لا تقربوا ماله إلا بما فيه

صلاحه وتثميته" ٦٥٦.

وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ ۗ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ۗ ﴾ أي "إن العهد مطلوب بطلب من المعاهد

أن لا يضيعه، وأن يفى به" ٦٥٧.

ومن الآيات التي حثت على الإحسان إلى اليتامى، قوله تعالى: ﴿ وَءَاتُوا الْيَتَامَىٰ مَوَالِهِمْ وَلَا تَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ

بِالطَّيِّبِ ۗ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۗ ﴾ [النساء: ٢].

ومعنى الآية: "يا أيها الأولياء للصغار، ويا أيها الحكام في الديار أعطوا الرجال الرشداء الذين وإدارتكم

"يتامى" في الماضي القريب "أموالهم" التي كانت تحت حيازتكم وإدارتكم "ولا تبدلوا الخبيث" أي: الحقيير

من أموالكم "بالطيب" بالجليل من أموالهم، أي: لا تعطوهم الحقيير الضئيل، بدل الكبير الجليل؛ لأن معنى

الخبيث: المختزل، الذي لا قيمة له، كالعتيق في مقابلة الجديد، والهزيل في مقابلة السمين" ٦٥٨.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ۗ ﴾ أي لا تظلموهم بذلك "إنه" أي إن

هذا الضم والاستبدال "كان حوباً كبيراً" أي ذنباً كبيراً من الكبائر" ٦٥٩.

٦٥٦ الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج ٨، ص ٨٤.

٦٥٧ الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج ٢، ص ٤٤٨.

٦٥٨ المدرس، مواهب الرحمن، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣١٢.

٦٥٩ المدرس، مواهب الرحمن، مرجع سابق، ج ٢، ص ٣١٢.

ومن الفضائل التربوية، والحكمة التشريعية من حث الإسلام على الإحسان إلى اليتيم، هو تعويضه أولاً عن ما حرمه من الحنان بسبب فقد والديه، فالبصير يرى أن "هذا اليتيم، قد فقد من كان يحبه، ويمنحه الود صافياً ويستعذب العذاب في سبيله، وأنه أصبح وحيداً في حياته، يعاني آلام هذا اليتيم.. ويرى الأبناء من حوله يعانقون آباءهم، ولا يرى له أباً يعانقه؛ فلماذا يرحمه ويحبه، ويجعل رحمته إياه وحبه في مظهر كريم، لا يجرحه، ولا يسيء إلى عاطفته، ولا يشعره بأن هذا يفعل معه من أجل أنه يتيم"^{٦٦٠}، فهذا بحق إحسان يشعر متعاطيه بأنه عضو ذو قيمة في المجتمع، ويتزع من صدره ما جرت العادة أن يكون في صدور المحرومين من حرج وضيق، أو حقد وضغن.

وقد أشارت السنة النبوية الشريفة أبلغ الإشارة إلى العناية باليتيم والإحسان إليه، وجعلت لكافل اليتيم والمترحم عليه أعظم الجزاء.

قال ﷺ: "خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه"^{٦٦١}.

وقال ﷺ: "أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة، وجمع بين السبابة والوسطى"^{٦٦٢}.

المبحث الرابع:

^{٦٦٠} المدني، الشيخ محمد، المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء: ط١، ١٩٦٢م، دار البراق، عمان، ص ٥١.

^{٦٦١} البخاري، الأدب المفرد، مرجع سابق، باب: خير بيت فيه يتيم يحسن إليه: ٦١.

^{٦٦٢} الهيثمي، مجمع الزوائد، مرجع سابق، ج٨، ص١٦٠، عن عائشة -رضي الله عنها، وقال الهيثمي: فيه ليث بن أبي سليم، وهو مدلس، وبقيّة رجاله ثقات.

حرمة الربا:

الإسلام يربي النفوس المؤمنة على القيم الفاضلة، فيمنع كل أسباب الظلم، والاستغلال، ومن بينها، أكل أموال الناس بالباطل، عن طريق الربا.

قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَقْعَلُوا

فَأَذْنُوبًا يَحْرَبِ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن

كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا

تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ۗ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ [البقرة: ٢٧٨ - ٢٨١].

" يقول تعالى ناهياً عباده المؤمنين عن تعاطي الربا وأكله أضعافاً مضاعفة، كما كانوا في الجاهلية يقولون: إذا حل أجل الدين، إما أن تقضي، وإما أن تربي، فإن قضاه، وإلا زاده في المدة، وزاده الآخر في القدر، وهكذا كل عام، فربما تضاعف القليل حتى يصير كثيراً مضاعفاً، وأمر تعالى عباده بالتقوى، لعلهم يفلحون في الأولى والأخرى".^{٦٦٣}

ثم، "إذا نظرنا إلى هذه الآيات التي تحرم الربا نكتشف أن الله يوجه الخطاب إلى الذين آمنوا واتقوا الله، ويعني هذا أنه إذ كان تحريم الربا هو أحد التشريعات الإسلامية بشأن المال، فإن الإسلام يوجه بداية الخطاب فيه إلى الذين آمنوا واتقوا الله، أي أن الأمر كله التزام عقائدي وسلوك عقائدي أيضاً، ونوجه النظر أيضاً إلى الآية الأخيرة من الآيات السابقة وفيها نجد ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾... ويعني هذا أيضاً أن

^{٦٦٣} ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ٢، ص ١١٧.

الأمر في الاستثمار ليس مقدار العائد المادي وحده، وإنما الأمر مرتبط بالعقيدة وبالسلوك الذي سوف يحاسب عليه المؤمن يوم القيامة.^{٦٦٤}

ولقد كان "من أهم أسباب تحريم الربا منع استغلال الناس بعضهم البعض، فلا زيادة في القروض، بحيث تتضاعف أضعافا يعجز المرء عن سدادها، وربما تكون سببا لمصادرة الأموال، إذا بلغت قيمة الربا المركّب..

وإنّ عدم تمركز الأموال في أيدي محدودة، يؤدي إلى نشوء طبقية متوارثة مبنية على الغنى. وذلك بسبب تفتيت الميراث الموزع شرعاً بين ورثة كثيرين غالباً، أو منع أصحاب رؤوس الأموال من ضمان الربح لأنفسهم عن طريق الربا، وترك الآخرين تحت المخاطرة ربحاً وخسارة. بل يدعو الإسلام إلى دوران الثروة وعدم جمودها، مع ما في الإسلام من توجيه متكرر للإلفاق في سبيل الله، أي في سبل الخير المتعددة الواجبة منها وغير الواجبة، من زكاة، ونفقة، وإيتاء ذوي القربى، واليتامى، والمساكين، والصديق، والجار، وغيرهم، ممن يحتاجون"^{٦٦٥}.

ويضاف إلى ذلك، أن من حكمة تحريم الربا، هو ضبط النفوس عن التجاوز والتطاول على حق الغير. سدا لجميع الطرق المفضية بالمسلم إلى عداوة أخيه المسلم ومشاقته، والمسببة له بغضه وكراهيته، وبالتالي المحافظة على العلاقات الاجتماعية بين المسلمين، وتحقيق روح الإخاء بينهم.

ويضاف إلى هذه الفضيلة، فضيلة تربوية أخرى، هو فتح أبواب البر في وجه المسلم ليتزود لآخرته، فيقرض أخاه المسلم بلا فائدة، ويداينه، وينتظر ميسرته، ويسر عليه ويرحمه، ابتغاء مرضاة الله تعالى،

^{٦٦٤} العوضي، الإقتصاد الإسلامي، مرجع سابق، ص ٤٢.

^{٦٦٥} الكبي، سعد الدين محمد، المعاملات المالية المعاصرة في ضوء الإسلام، ط ١، ٥١٤٢٣، ٢٠٠٢ م. ص ١٠٤. المكتب الإسلامي،

بيروت، لبنان.

كما قال تعالى: ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢٨٠].

وعن ربي أبي اليسر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من أنظر معسرا، أو وضع عنه، أظله الله في ظلّه يوم لا ظلّ إلا ظلّه" ^{٦٦٦}.

وختاما، نلخص أهم الفضائل التربوية، التي أسهم الإسلام في توليدها للمجتمع الإسلامي السليم ^{٦٦٧}:

أولاً: عدم تمركز الأموال في أيدي محدودة، وذلك بسبب تفتيت الميراث الموزع شرعاً بين ورثة كثيرين غالباً، وبسبب منع أصحاب رؤوس الأموال من ضمان الربح لأنفسهم عن طريق الربا وترك الآخرين تحت المخاطرة ربحاً وخسارة. ذلك أن التشريع الإسلامي جعلهم سواء، فأصبح عنصر المخاطرة في المجال الاقتصادي عاماً على الجميع دون امتياز لأحد..

ثانياً: دوران الثروة وعدم جمودها للأسباب التي ذكرناها في النتيجتين السابقتين مع ما في الإسلام من توجيه متكرر للإنفاق في سبيل الله، أي في سبيل الخير المتعددة الواجبة منها وغير الواجبة من زكاة ونفقة وإيتاء ذوي القربى واليتامى والمساكين والصديق والجار وغيرهم، ممن يحتاجون، كما أن النهي عن التقتير - وهو تضيق للاستهلاك - يساعد على الحركة الاقتصادية..

ثالثاً: ومن النتائج الثلاثة السابقة تتولد نتيجة رابعة وهي عدم نشوء طبقة متوارثة مبنية على الغنى. وأهم أسباب ذلك توزع الثروة في الميراث من جهة وعدم تمكين أصحاب رؤوس المال من استغلالها بطريق الربا الذي يضمن لهم الحظ الأوفى المضمون ويترك غيرهم يتعثرون في مغامرات أو بطريق الربح الفاحش غير المشروع.

رابعاً: التفاوت العادل المنشط والحافز: إن جعل العمل والجهد السبب الأصلي للملكية يؤدي إلى تفاوت سببه تفاوت النشاط والسعي لا تفاوت الحظوظ وحدها، وبذلك يكون التفاوت منشطاً وحافزاً على العمل لأنه مبني على تكافؤ الفرص.

^{٦٦٦} ابن ماجه، سنن ابن ماجه، باب انظار المعسر، ح ٢٤١٧، ج ٢، ص ٨٠٨، والحاكم، المستدرک علی الصحیحین، مرجع سابق،

كتاب الجهاد، ح ٢٤٤٨.

^{٦٦٧} القضاة، منهج القرآن الكريم في تحقيق الأمن الاقتصادي، مرجع سابق، ص ٢٢.

المبحث الخامس:

الإعتدال والتوسط.

أمر الله تعالى المسلم في شؤون حياته كلها، أن يأخذ جانب الإعتدال والتوسط، بلا إفراط ولا

تفريط.

وحت الإسلام على الإعتدال في التعامل مع الأموال، "ويذهب في نظامه الإقتصادي مذهب الوسطية، فلا طغيان فيه لفرد على الجماعة بحيث تدمر مصالحها أمام نزعاته المتطلعة إلى الإستكثار من المال، دون مراعاة لحقوق الآخرين، كما في الرأسمالية، ولا ذوبان للفرد في الجماعة، بحيث تفنى ذاته وتتلاشى حقوقه، وتقمع دوافعه الفطرية كما في الاشتراكية، وإنما يعطي كلا من الفرد والجماعة حقه بالقسطاس المستقيم، فيوائم بين الحقوق في اعتدال، ويلبي نوازع الفطرة في نظام"^{٦٦٨}.

والإعتدال، أو التوسط: "هو أن يتحرى المسلم التوسط، ويتعد عن التطرف قولا وفعلا، بحيث لا

يُفصّر ولا يُعالي"^{٦٦٩}. وله أهمية كبرى، كما قال ابن القيم رحمه الله، لأنه قرين العدل في نظره، فلقد قال:

"الوسط الموضوع بين طرفي الإفراط والتفريط، هو العدل، وهو الذي عليه بناء مصالح الدنيا والآخرة، بل حتى

مصلحة البدن لا تقوم إلا به، لأنه متى خرج بعض أخلاطه عن العدل، وجاوزه، أو نقص عنه، ذهب من صحته

وقوته بحسب ذلك، ومثل ذلك الأفعال الطبيعية، كالنوم والسهر، والأكل، والشرب، والحركة، والرياضة، والخلوة،

^{٦٦٨} ينظر الحايك، محمد عبد الكريم، الرحمة في القرآن الكريم، إشراف الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني، د.ط، ت، بحث مقدم لنيل

درجة الماجستير في الجامعة الأردنية، عام ١٩٩٣ م ص ٨٦.

^{٦٦٩} ابن قيم الجوزية، الفوائد، د.ط، ت، دار العلوم الحديثية، بيروت، لبنان، ص ٩.

والمخالطة، وغير ذلك، إذا كانت وسطا بين الطرفين المذمومين كانت عدلا، وإن انحرفت إلى أحدهما كانت نقصا وأثمرت نقصا".

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:

٦٧].

فقد نهي الله تعالى في هذه الآية عن الإسراف والبخل، ويرغب في الإنفاق الذي لا يمنع الحقوق، ولا يؤدي إلى الوقوع في المعاصي.

"وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾ .. قال: هم

المؤمنون لا يسرفون فينفقون في معصية الله، ولا يقترون فيمنعون حقوق الله تعالى" ٦٧٠.

وقد ضرب القرآن الكريم مثلا، قارون الذي بغى في مال الله تعالى، متعاليا متباهيا مسرفا على نفسه، مانعا حق غيره، وانطلت قصته على الكثير من العبر والفوائد التربوية، نستنتجها من خلال تدبر القصة.

يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ قُرُونًا كَانَتْ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ۖ وَأَنبَأْنَاهُمْ مِنْ الْكُفُورِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ

بِالْعَصْبَةِ أَوْ لِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ

الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ ۖ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا

يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ أَوَلَمْ يَعْلَم أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ

أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۗ وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ

يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قُرُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا

الْعِلْمَ وَيَلِكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ

وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ

تَمَتُّوا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيُكَاتِبُكَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا
لَخَسَفَ بِنَا وَيُكَانَهُ لَا يَفْلِحُ الْكُفْرُونَ ﴿٨٢﴾ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ بَجَعَلْهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ [القصص: ٧٦ - ٨٣].

تصور هذه الآيات قصة قارون كواحد من الأغنياء رزقه الله مالا وفيرا ، ولكنه لم يراع حق الجماعة في هذا المال . ويمكن بالنظر إلى الآيات السابقة أن أعدد الجوانب التي لم يراع فيها قارون حق الجماعة على النحو التالي:

الجانب الأول : يتمثل في أن قارون استغل هذا المال ، أو اتخذه وسيلة للتعالي على أفراد جماعته التي يعيش فيها ويصور ذلك : ﴿ لَا تَفْرَحْ ﴾ ، ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ . فقد دل هذا على أنه اتخذ هذا المال الذي منحه الله إياه وسيلة للتعالي ، وليس هذا أحد أوجه استغلال ، أو استخدام المال ، التي يمنح الله لها المال ، وقارون بهذا يسيء إلى الجماعة التي عايشها ، أي أنه لم يراع حقها فيما أعطاه الله .

الجانب الثاني : يتمثل في أن قارون لم يعن بماله ذوي الحاجة في مجتمعه ، ويصور ذلك قوله تعالى :

﴿ وَابْتَغَ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ

إِلَيْكَ ﴾

الجانب الثالث: يتمثل في أن قارون استخدم المال الذي أعطاه الله له كوسيلة بغي وطغيان، تصور ذلك

الآية : ﴿ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ﴾^{٦٧١} .

ونحن نعرف أن الله تعالى في قرآنه، يصب حمماً من الوعيد على صاحب المال حين يطغى بماله:

قال تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ اسْتَفْتَى ﴿٧﴾ [العلق: ٦ - ٧] ^{٦٧٢} .

^{٦٧١} العوضي، الإقتصاد الإسلامي، مرجع سابق، ص ٤٨.

^{٦٧٢} العوضي، الإقتصاد الإسلامي، مرجع سابق، ص ٤٨.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَمَرْزَلْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾

[الإسراء: ١٦].

وهكذا، يكون الطغيان بالمال وسيلة فورية للدمار والخراب ، وقد وقع في هذا قارون.

"ومعنى آخر في هذه القصة يشير إليه قوله تعالى : ﴿ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَّا وَيَكَانُهُ لَا يُفْلِحُ

الْكَافِرُونَ ﴾ والمعنى الذي تشير إليه هذه الآية : هو أن الإسلام يربي المسلم بواسطة ما يقصه عليه من

قصص السابقين ، على أن من الله بالمال على أحد ليس هو المنُّ الحقيقي ، وإنما المنُّ الحقيقي هو الإيمان .

ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى في آية أخرى:

﴿ يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

[الحجرات: ١٧]

وهنا يقف ماثلاً أمامنا قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ

عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠].

"فالإسلام يفرض التزام العدل، والعدل تعبير شامل يقتضي التوازن القويم في إعطاء كل ذي حق حقه بغير

بخس أو غبن..^{٦٧٣}.

ومن وحي العدل أيضا التزام الأمانة والصدق فلا غش ولا استغلال لجهل الطرف الآخر أو الإدلاء ببيانات

كاذبة..

ومن العدل أيضا اجتناب المعاملات المريبة، ومعاملات المقامرة، والمعاملات الربوية..

إضافة إلى أن الاعتدال يعني للمسلم أن يأخذ الجانب الوسط في تناول المال، فـ"المسلم يمتنع عن الإسراف

وعن التقثير على السواء، لأن كلاً من الطرفين يتعارض مع مصلحة المجتمع..

^{٦٧٣} ينظر المدرس، مواهب الرحمن، ج ٥، ص ١٤١.

فإضافة إلى أن التقدير وما يقترن به من اكتناز الذهب والفضة أو غيرهما من وسائل النقد يحول دون نشاط التداول النقدي، وانتعاش الحياة الاقتصادية في المجتمع. فلا يجس المال تعطيل لوظيفته في توسيع ميادين الإنتاج، وهيئة وسائل العمل للعاملين، فهو يولد البغضاء في الطبقات المحرومة، ويربي الخطر الذي ينذر بهلاك المجتمع^{٦٧٤}.

والآيات القرآنية في كراهية الترف وتحريمه متواترة كثيرة^{٦٧٥}: قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ

وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤].

ولاهمية معاني الاعتدال في تناول المال، أحاز الإسلام لولي الأمر الحجر على السفهاء، قال تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا

السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَمًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥]

لأن التقدير يتعارض مع تعاليم الإسلام في أن يأخذ المسلم نصيبه من الدنيا، وأن يتمتع بطيبات الحياة في غير سرف ولا مخيلة..

فقد نهي الله تعالى عن كل ما يؤدي إلى التفاخر في المال والمباهاة فيه، فهو من الرذائل النفسية، التي لا

تليق بشخصية المسلم، وجعله من زينة الحياة الدنيا التي قد تخرج الإنسان عن الحياة السوية والتي فيها

اقتضاء منهج الصراط المستقيم الحق، فقال تعالى: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ

بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاهُهُ، ثُمَّ يَهِيجُ فَتْرَنَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ

حُطَلَمًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْعُرُورِ﴾ [الحديد:

٢٠].

وأما الإحسان؛ فيأتي في المرتبة فوق العدل، فإذا تعاملت مع الناس، فأخذت منهم حَقَّك، وأعطيتهم

حقوقهم، فقد جريت على سنة العدل والمبادلة بالحق، ولكن إذا تجاوزت هذه المتزلة، إلى ما هو فوقها، من

^{٦٧٤} ينظر الحايك، الرحمة في القرآن الكريم، مرجع سابق، ص ٨٨.

^{٦٧٥} المرجع السابق، ص ٨٨.

الرفق والإيثار؛ فقدمت لله ولإخوانك في المجتمع بعض حقلك راضياً لتنفع به من هو في حاجة إليك، أو تقبلت منهم أقل مما لك لهذا الغرض الشريف؛ فأنت تجري على سنة الإحسان^{٦٧٦}.

وهذا من منطلق العموم الوارد في قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

^{٦٧٦} قطب، في ظلال القرآن، ج ١٣، ص ٩٢.

المبحث السادس:

ضبط الموازين:

"إن سلامة التعامل بين المسلمين تعتبر المهيب الطبيعي الأول لقيام حقيقة التضامن والتآلف فيما بينهم ، فبقدر ما يشيع بينهم من مظاهر العدل في المعاملات والمبيعات اليومية الدائرة بينهم يشيع بينهم في أعقاب ذلك معنى التماسك والتآلف والاتحاد ..

وسوء التعامل بين المسلمين يعتبر المهيب الطبيعي الأول لقيام مظاهر الشقاق والبغضاء فيما بينهم . وبقدر ما يشيع بينهم من التظالم في المعاملات التجارية المتعلقة بأقوات الناس وأسباب عيشتهم ، يشيع بينهم التهارج والتخاصم والشقاق .."^{٦٧٧} .

ومن الأمور التي نهى عنها الإسلام، التطفيف في الكيل والميزان.

والتطفيف: "هو البخس في المكيال والميزان"^{٦٧٨} .

ولقد تهدد الله تعالى وتوعد، لكل من هماون في تطفيف الميزان والمكيال، بالخسار والهلاك". قال الله عز

وجل : ﴿وَبَلِّغْ لِلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا أَكَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ

﴿المطففين ١-٣﴾ .

ومن جهة أخرى، أكد على أهمية الوفاء بالكيل والميزان، في أكثر من آية في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ ۗ﴾ [الأنعام: ١٥٢]

^{٦٧٧} البوطي، من أسرار المنهج الرباني، مرجع سابق، ص ٨٣

^{٦٧٨} ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ٤، ص ٤٤٨، والقرطبي، جامع أحكام القرآن، مرجع سابق، ج ١٩،

وبلاحظ أن "الله تعالى جعل لمعرفة الحق ميزانين: أحدهما محسوس، وهو الجرم الذي يسمى الميزان، الذي يتوصل به التجار لمعرفة الحقوق، وهو الذي يفضون به التنازع بينهم وبين المشتري منهم في الأشياء المكيلة والموزونة..

والميزان الثاني: هو ميزان الضمير البشري، وهو الفطرة التي أمدها الله تعالى بميزان الكتاب، أو ميزان الوحي، ولا بد من هذا الميزان أيضا لإيفاء الحقوق..

ومتى اختل أحد هذين الميزانين، كان مانعا من إيصال الحقوق لأصحابها^{٦٧٩}

وقال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كُلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾

[الإسراء: ٣٥]

وهنا "يأمر الله عز وجل في هذه الآية بتحقيق مظهر من أبرز مظاهر العدل وأهمها، وهو العدل في الكيل والوزن بين المتبايعين.. وينبههم إلى أن ذلك خير لهم وأحسن عاقبة ونتيجة، أي لا يغرنكم الربح العاجل الذي تجنونه من وراء التلاعب بالكيل أو الوزن فإنه شيء موقوت، وسرعان ما ينقلب الربح إلى خسارة وبلاء"^{٦٨٠}.

وفي ذلك إشارة إلى جانب من الحكمة العظيمة المتعلقة بهذا الحكم.

"فهو سبحانه وتعالى ينبهنا إلى أن الظلم في المعاملة التجارية قد يعقبه بعض الربح، وقد يكون ذلك دافعاً صاحبه إلى الإمعان في ظلمه أو خداعه، بيد أنه سرعان ما يعرف بين الناس بذلك ويجعل الله تعالى من عادته تلك مظهراً يتلبسه فيعرف به بين عامة أهل السوق ورواده. فينقلب عليه الحال ويتحول ذلك الربح الجزئي السريع إلى خسارة كلية دائمة"^{٦٨١}.

^{٦٧٩} ينظر الرحيلي، أ.د. عبد الله بن ضيف الله، الأخلاق الفاضلة، قواعد ومنطلقات لاكتسابها، ط٢، ١٤٢٩، ٢٠٠٨م، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ص١٥٢.

^{٦٨٠} البوطي، العلامة محمد رمضان، من أسرار المنهج الرباني، د.ط، مرجع سابق، ص٨٣.

^{٦٨١} المرجع السابق، ص٨٣.

وأكبر خسارة ولا شك، هي خسارة الأصدقاء، وتخریب العلاقات الإجتماعية بين المسلمين، أو هضم حقوقهم، والتعدي على مكتسباتهم.

ومن هنا نفهم، أن من أعظم الفضائل التربوية لجعل الميزان والحث على اتخاذه في الكيل، هو تحقيق العدل، ومنع الإعتداء والظلم، والمحافظة على العلاقات الإجتماعية بأحسن صورة وحال، إضافة إلى أن يكون للإنسان ميزان يحقق التوازن بين البواعث الفردية والجماعية، بحيث " يوازن الإنسان بين الدافع الفردي الذي ينظر الإنسان بمقتضاه إلى نفسه ومصالحها، وبين الدافع الجماعي الذي ينظر بمقتضاه إلى أفراد مجتمعه ومصالحهم"^{٦٨٢} وحتى يتحرر المجتمع من الأنانية المفرطة، والمصلحة الشخصية المتهاونة بحقوق الآخرين.

المبحث السابع:

المواريث والوصايا:

" نظام المواريث في الإسلام، نظام يعنى بأحكام المواريث ، وبها تضبط التركات، ويُعيّن الوارثون، وتعرف أحوالهم، ومراتبهم، وموانع الإرث بينهم، وحجب النقصان أو الحرمان فيهم، وبها تصان الحقوق، ويقضى بها إلى أهلها. "٦٨٣

" ولقد وضعت الشريعة الإسلامية نظام التورث، على أحسن النظم المالية، وأحكمها، وأعدلها، فقرر الدين الإسلامي ملكية الإنسان للمال، ذكرا كان أو أنثى، بالطرق الشرعية، كما قرر انتقال ما كان يمتلكه الشخص في حياته، إلى ورثته بعد وفاته من الرجال والنساء، دون تفريق بين صغير وكبير. ولا يوجد في الشريعة الإسلامية، أحكام تعرض القرآن الكريم لبيائها بيانا تفصيليا، مثل أحكام الموارث، وإنما "عنى الإسلام بشأن الموارث هذه العناية الفائقة، حتى خصّها الكتاب العزيز ببيائها البيان المحكم، لأنّ الإرث من أهم أسباب تملك الأموال، والمال عصب الحياة بالنسبة للأفراد والجماعات، إذ به قوام البشريّة، وعليه تدور رحى الحياة"٦٨٤.

وقد ردت جملة آيات في الموارث، منها ما يفيد أحكاما عامة، ومنها ما تعرض للميراث بشكل تفصيلي، وعلى العموم، فإن أبرز الفضائل التربوية في نظام الميراث في الإسلام، يقوم على النقاط الآتية.

^{٦٨٣} ينظر قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٦٠، والعجوز، مناهج الشريعة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٦٩.

^{٦٨٤} الصابوني، محمد علي، الموارث في الشريعة الإسلامية، في ضوء الكتاب والسنة، ط ٥، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، ص ٣١، دار الصابوني.

أولاً: تحقيق تقوى الله تعالى في الأرحام:

فالناظر في المستهل، الذي ابتدأ به الحديث عن الفرائض والموارث في سورة النساء، نجد أنه قوله

تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ آتِقُوا رَبَّكُمْ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً
وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

وقد لاحظ سيد قطب رحمه الله تعالى في هذه الآية فضيلة تربوية عظيمة، فقال:

"التذكير بتقوى الله تعالى بالآية، مفهوم ومعهود، لتكراره في القرآن الكريم، أما تقوى الأرحام، فهي تعبير عجيب، يلقي بظلاله الشعورية في النفس، فكأن الله تعالى يقول: "إتقوا الأرحام، أي: كونوا في وقاية من هضمها وظلمها، والتخرج من خدشها ومسّها.. توقوا أن تؤذوها، وأن تجرحوها، وأن تُغضبوها.. ثم رقابة الله يختم بها الآية الموحية: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]. وهكذا نجد أن الإسلام يصوغ المجتمع في ظلال تقوى الله ورقابته، ويجعلها الضمان الأخير لتنفيذ المشاريع، ولا ضمان لأي تشريع في الأرض، بغير هذه التقوى، وبدون هذه الرقابة: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [النساء: ٦].^{٦٨٥}

ثانياً: الإطمئنان لحكم الله تعالى، والتسليم له:

" فالشريعة الإسلامية، هي التي وضعت نظام الإرث، ووضحت نصيب كل وارث، وذلك حسماً لأسباب النزاع بين أقرباء المورث، لأنّ القريب الممنوع من الميراث، إذا علم أنّ منعه من الميراث، آت من قبل الله سبحانه وتعالى، سكنت نفسه، ورضي بقسمة الله تعالى، بخلاف ما لو ترك الميراث للناس، يمنعون متى يشاؤون، ويعطون متى يشاؤون، مما يكون سبباً للفرقة والنزاع"^{٦٨٦}.

^{٦٨٥} ينظر قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٩٦.

١. ^{٦٨٦} دريان، القاضي الشيخ عبد اللطيف فايز، ط ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.

ولهذا، فالناظر إلى آيات المواريث، يجد أنها دُيِّلت بأسماء جليلة من أسماء الله الحسنى، تشير إلى حاكمية الله المطلقة في الوجود، ورعايته لمصالح خلقه.

— ففي قوله تعالى: ﴿وَصِيَّةٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٢]

يبين الله تعالى، أن "هذه الفرائض وصية من الله تعالى، صادرة منه، ومردّها إليه سبحانه، لا تتبع من هوى، ولا تتبع الهوى،، صادرة عن علم، فهي واجبة الطاعة، لأنها صادرة من المرجع الوحيد، الذي له حق التشريع والتوزيع، والذي عنده العلم الأكيد"^{٦٨٧}.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١١]"إشعار للقلوب، بأن قضاء الله تعالى

للناس — مع أنه الأصل الذي لا يحلُّ لهم غيره — فهو كذلك للمصلحة المبنية على العلم والحكمة، والله يحكم لأنه عليم، وهم لا يعلمون، والله يفرض لأنه حكيم، ولم يزل ذا علم بما يصلح خلقه، أيها الناس، لم يزل ذا حكمة في تدبيره، وفيما يقسم لبعضكم من ميراث بعض، وفيما يقضي بينكم من الأحكام، لا يدخل حكمه خلل ولا زلل، لأنه قضاء من لا تخفى عليه مواضع المصلحة في البدء والعاقبة"^{٦٨٨}.

"ثم إن نظام الإسلام يراعي أصل تكوين الأُسَر البشرية، من نفس واحدة، فلا يحرم امرأة ولا صغير، لمجرد أنه امرأة، أو صغير.. لأنه مع رعايته المصالح العمليّة، يراعى مبدأ الوحدة في النفس الواحدة، فلا يميّز جنساً على جنس"^{٦٨٩}

وهذا كما مر في مقدمة السورة.

^{٦٨٧} قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٩٥.

^{٦٨٨} ينظر الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج ٣، ص ٣١٧-٣١٩، وقطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٩٠.

^{٦٨٩} ينظر قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٩٦.

ثالثاً: توطيد دعائم المحبة والعشرة:

نظام المواريث في الإسلام، "نظام بنيت قواعده وأصوله في التورث، على الحب والعشرة والعطف والولاية"^{٦٩٠}

إذ "يقوم التورث على روابط القرابة الحقيقية (روابط الدم) وما في حكمها، مثل الزوجية، وولاء العتاقة، وما يترتب عليها من مشاعر، وعلاقات الحب، والعشرة، والنصرة، والعطف.. فالحب قائم في أقوى صورة بين الأولاد والأبوين، وطول العشرة والمودة بين الأزواج والزوجات، والنصرة بين الإخوة وأبناء العمومة، وعطف الشَّخص على إخوته لأمه وذوي رحمه من الأقارب..

وعلى ذلك فللتوارث سببان:

أولهما: القيام مقام الميت في شرفه ومنصبه.

وثانيهما: خدمته، ومواساته، وحمايته، ونصرته..

ويتم ترتيب الورثة، حسب هذه الأسباب، فالبنوة أولاً، فالأبوة، والزوجة، ثم الأخوة، ثم العمومية، وبعد ذلك ذوو الأرحام، وأخيراً مولى العتاقة"^{٦٩١}.

رابعاً: تعزيز معنى التكافل العائلي:

ونظام المواريث في الإسلام، نظام يرعى معنى التكافل العائلي كاملاً، ويوزع الأنصبة على قدر واجب، كل فرد في الأسرة في هذا التكافل.

ونرى ذلك ماثلاً، من خلال الحكم التشريعية الآتية^{٦٩٢}:

^{٦٩٠} دريان، فقه المواريث في المذاهب الإسلامية، مرجع سابق، ص ٧٥.

^{٦٩١} المرجع نفسه ص ١٦١-١٦٢.

^{٦٩٢} قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج ١، ص ٥٩٦.

أ — عصبه الميت هم أولى من يرثه بعد أصحاب الفروض، كالوالد والوالدة، لأنهم هم كذلك أقرب من يتكفل، ومن يؤدي عنه في الديّات والمغارم. وفي ذلك تقدير من الإسلام للأرحام.

ولذلك قال تعالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ

وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء: ٧].

ب — كان نصيب الأنثى نصف نصيب الرجل في بعض الأحوال؛ لأنه الكافل لأسرته، وعليه وحده يقع عبء الإنفاق، فالمرأة لا يجب عليها الإنفاق لا على أب ولا ابن ولا أخ ولا زوج، ولكن يجب على هؤلاء جميعاً أن ينفقوا على أمهاتهم وبناتهم وأخواتهم وأزواجهم.

ولذلك قال تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾ [النساء: ١٠].

ج — ونص الإسلام بشكل مباشر على نصيب الأم.

"والعلة التي من أجلها سمي للأم ما سمي لها، إذا لم يعن الميت خلفاً وارثاً غير أبيه، لأن الأم ليست بعصبة في حال للميت. فبين الله حل تناؤه لعباده ما فرض لها من ميراث ولدها الميت، وترك ذكر من له الثلثان الباقيان منه معها، إذ كان قد عرفهم في جملة بيانه لهم من له بقايا تركة الأموال بعد أخذ أهل السهام سهامهم وفرائضهم. وكان بيانه ذلك، مغنيا لهم عن تكرير حكمه مع كل من قسم له حقاً من ميراث ميت، وسمى له منه سهماً^{٦٩٣}

قال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ [النساء: ١١].

^{٦٩٣} ينظر قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق نج ١، ص ٥٨٩.

د — "والحكمة من أن الأم نقصت عن ثلثها بمصير إخوة الميت معها اثنين فصاعداً؟
لأن على الأب مؤمهم دون أمهم، كما مال إلى ذلك قتادة ، وقال طاووس: بل نقصت الأم السدس،
وقصر بها على سدس واحد، معونة لإخوة الميت بالسدس الذي حجبا أمهم عنه، والله تعالى أعلم
بمصلحة خلقه" ٦٩٤.

وهذا تبعاً لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمَّهِ السُّدُسُ﴾ [النساء: ١١].

خامساً: الوفاء بحق الزوجة:

ألحقت الزوجية بالقرابة تقديساً للصلة بين الزوجين، وإبرازاً لمظهر الوفاء:

قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ

وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا

تَرَكَتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَتُمْ مِنْ بَعْدِ

وَصِيَّةٍ يُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١٢].

سادساً: توجيه النفوس إلى عدم التفريط بحقوق الغير:

إن من جملة ما تقرره آيات الموارث، مراعاة حقوق الغير، وتقرر أن حق الآخرين مقدم على حق

النفوس، حيث إن الله تعالى لما ذكر أنصباة كثير من الموارث، ختم الآيات بقوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ

وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ﴾ [النساء: ١١]

ولذلك قال ابن كثير، رحمه الله تعالى: "أجمع العلماء من السلف والخلف، على أن الدين مقدم على الوصية، وتقديم الدين مفهوم وواضح، لأنه ما يتعلق بحق الآخرين، فلا بد من استيفائه من مال المورث الذي استدان، ما دام قد ترك ما فيه توفية بحق الدائن، وتبرئة لذمة المدين، كي تقوم الحياة على أساس من تحرج الضمير والثقة في المعاملة، فجعل الدين في عنق المدين، لا تبرأ منه ذمته حتى بعد وفاته"^{٦٩٥} أما الوصية، فلأن إرادة الميت تعلقت بها، وقد جعلنا الوصية تلاقي بعض الحالات التي يحجب فيها بعض الورثة بعضا، وقد يكونوا محجوبين معوزين، أو تكون هنالك مصلحة عائلية في توثيق العلاقات بينهم وبين الورثة، وإزالة أسباب الحقد والحسد والتزاع قبل أن تنبت، و"لا وصية لوارث"^{٦٩٦} كما أخبر بذلك الحبيب المصطفى ﷺ، وهذا ضمان ألا يحجب المورث بالورثة في الوصية"^{٦٩٧} وهكذا، حدد الإسلام لكل وارث نصيباً معيناً، قد حسم بهذا مادة التزاع، التي تزرع الأحقاد، وتقطع الأرحام.

سابعاً: توطين النفس على البذل والسخاء، إذا حضر القسمة من يستحق الصدقة:

ولا ننسى، أن "السبب في فرض الميراث لأمس الناس قرابة للميت؛ وذلك لأنه انتصر بهم في حياته، وكثيراً ما يكون له دخل في تكوين ثروته، والغنم بالغرم، إضافة إلى أن الإسلام جعل الموارث لإنعاش ذوي النسب والمصاهرة، بتوزيع ما تجمع من ثروة المتوفى على أفراد الأسرة"^{٦٩٨} كما قال تعالى:

﴿ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴾

[النساء: ٨].

^{٦٩٥} ينظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، ج ١، ص ٣٦٣.

^{٦٩٦} البخاري، صحيح البخاري، مرجع سابق، كتاب الوصايا، باب لا وصية لوارث، ح ٢٥٩٦، ج ٣، ص ١٠٠٨، وأبو داود، سنن أبي

داود، مرجع سابق، كتاب الوصايا، باب في تضمين العارية، ح ٣٥٦٥، ج ٣، ص ٢٩٦، والترمذي، سنن الترمذي، أبواب

الوصايا عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء لا وصية لوارث. ح ٢١٢٠، ج ٤، ص ٤٣٤.

^{٦٩٧} دريان، فقه الموارث في المذاهب الإسلامية، مرجع سابق، ص ٥٨.

^{٦٩٨} المرجع السابق ص ٥٨.

الفصل السابع:

الفضائل التربوية

في العقوبات:

الفصل السابع: الفضائل التربوية في

العقوبات:

ويشتمل على تمهيد، وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الحدود: آثارها التربوية.

المبحث الثاني: القصاص: آثارها التربوية.

المبحث الثالث: التعزير: آثاره التربوية.

تمهيد:

يعرف الفقهاء العقوبة، بأنها: "جزاء عمل يرتكبه الإنسان يخالف به الشرع"^{٦٩٩}.

ويعرفونها، بأنها "الجزاء المقرر لمصلحة الجماعة على عصيان أمر الشرع أو نهي"^{٧٠٠}.

و تقسم العقوبات بحسب الشريعة الإسلامية إلى ثلاثة أقسام:^{٧٠١}

عقوبات الحدود، وعقوبات القصاص والدية، وعقوبات التعازير.

ومن العقوبات ما حدده الشرع الحكيم، كعقوبات الحدود، ومنها ما ترك تقديره بيد ولي الأمر.

"وتهدف العقوبات في الشريعة الإسلامية إلى حماية المصلحة العامة والمحافظة على الضرورات

الخمس"^{٧٠٢} وهي: "المحافظة على النفس، وعلى الدين، وعلى العقل، وعلى النسل، وعلى المال"^{٧٠٣}.

وهي الأمور التي لا تتوافر الحياة الإنسانية الكريمة إلا بها.

ولذلك جاء نظام العقوبات في الشريعة الإسلامية لمنع الجريمة، وما يصاحبها من تهديد للآمنين ونشر

للذعر بينهم، وما يلحقها من شيوخ للمفاسد والمنكرات، وما يقترن بها من تفكك داخلي في صفوف

الأمة.

وبنبغي العلم، أن الشريعة الإسلامية، قبل أن تحدد نظام العقوبات، أوجدت العديد من الطرق لمنع

الجريمة، من باب الوقاية خير من العلاج، بنيت على أسس عدة، ذات فوائد جمّة للفرد والمجتمع، يدور

أغلبها حول كفالة حقوق الإنسان الشخصية والاجتماعية، وتكوين رأي عام فاضل، بالتأكيد على معاني

^{٦٩٩} الطحاوي، حاشية الطحاوي على الدر المختار، د.ط، ج ٢، ص ٢٨٨.

^{٧٠٠} عودة، عبد القادر، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالقانون الوضعي، ط ٦، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م. ج ١، ص ٦٠٩. مؤسسة الرسالة، بيروت.

ج ١، ص ٦٠٩.

^{٧٠١} عكاز، فكري أحمد، فلسفة العقوبة في الشريعة الإسلامية والقانون، ط ١، ١٤٠٢ هـ، ١٩٨٢ م. شركة مكتبات عكاظ للنشر

والتوزيع، جدة، السعودية، ص ٤٩

^{٧٠٢} الغزالي، المستصفي من علم الأصول، المستصفي من علم الأصول، تحقيق نجوى ضو، ط ١٩٩٧ ج ١، ص ٢٨٦. دار إحياء التراث العربي، بيروت.

^{٧٠٣} الشرباصي، رمضان علي السيد، المدخل لدراسة الفقه الإسلامي، ط ٢، ١٩٩٣ م. د. ن. ص ٣٦٦.

العقيدة وأحكام الشريعة، وتهذيب النفس الإنسانية عن طريق العبادات، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتعزيز الرقابة الاجتماعية، وبيان طرق الوقاية عند هجوم أسباب المعاصي والجرائم، وبعد ذلك جاء تشريع العقوبات العادلة، دنيويا وأخرويا.

ومن خلال هذه الإجراءات والتوجيهات، والأحكام، ضمن الإسلام تقليل حجم العقوبة في المجتمع. وقد ورد أن المجتمع الذي شكله رسول الله ﷺ في مكة والمدينة، لم يظهر فيه اعتداء، أو حاجة إلى إقامة حد، إلا على ستة أشخاص، استحقوا تطبيق هذه الحدود. ويكون حريا بنا الآن، أن نقدم تقريرا مفصلا عن الفضائل التربوية التي يحققها الإسلام، في العقوبات، ونبدأ بعقوبات الحدود.

المبحث الأول: الفضائل التربوية في عقوبات الحدود:

عقوبات الحدود: "هي عقوبات مقدرة وجبت حقا لله تعالى" ^{٧٠٤}. وجرائم الحدود محددة العدد، وهي سبع جرائم: الزنا، والقذف، والشرب، والسرقه، والحراية، والردة، والبغى.

"وهذه الحدود التي حدد الله تعالى مقدارها وعيّن نوعها، بالكتاب، أو السنة، أو الإجماع، لم يجعل لأحد من البشر سلطانا عليها، فهي عقوبة مبيّنة ولها قدر خاص، فلا يجوز لأحد أن يتجاوزها، فيزيد عليه أو ينقص منه" ^{٧٠٥}.

كما "أنّ اعتبار الحدود حقا لله تعالى، يدل على أنّها لا تقبل الإسقاط، لا من الأفراد، ولا من الجماعة" ^{٧٠٦}.

^{٧٠٤} ابن الهمام، كمال الدين، محمد بن عبد الواحد السيواسي، السكندري، شرح فتح القدير على الهداية شرح بداية المبتدي،

للمرغيناني، ط ١، ٥١٤١٥، ج ٥، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص ١٩٧

^{٧٠٥} الماوردي، الحاوي الكبير، ص ١٣، ص ١٨٤.

"والحدود زواجر وضعها الله تعالى للردع عن ارتكاب ما حظر، وترك ما أمر، لما في الطبع من مغالبة الشهوات الملهية عن وعيد الآخرة بعاجل اللذة، فجعل الله تعالى من زواجر الحدود ما يردع بها ذا الجهالة، حذراً من ألم العقوبة، وخوفاً من نكال الفضيحة، ليكون ما حظر من محارمه ممنوعاً، وما أمر به من فروضه متبوعاً، فتكون المصلحة أعم، والتكاليف أتم" ٧٠٧.

ولهذا، فإن لكل عقوبة من عقوبات الحدود فضائل تربوية، أسهم الشرع الحكيم في بنائها في المجتمع المسلم، ونبذوها حديثاً بحد الحراية.

المطلب الأول: الفضائل التربوية في حد الحراية:

وردت آيات الحراية في سورة المائدة، قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي

الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِّنَ

الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ حِزْبٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن قَبْلِ أَنْ

تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٤﴾ [المائدة: ٣٣-٣٤].

وتفسير هذه الآيات، كما ذكره الطبري: "يقول جل ذكره: ﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ

﴿أي يحاربون أولياءهما وهم المسلمون، ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا﴾ أي مفسدين ﴿أَنْ يُقَتَّلُوا﴾ أي

قصاصاً من غير صلب إن أفردوا القتل. ﴿أَوْ يُصَلَّبُوا﴾ أي يصلبوا مع القتل إن قتلوا وأخذوا المال ﴿أَوْ

تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ﴾ تقطع أيديهم اليمنى وأرجلهم اليسرى إن أخذوا المال ولم يقتلوا.

٧٠٦ عودة، عبد القادر، التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي، ط٦، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥ م. مؤسسة الرسالة، بيروت.

ج١، ص٧٩.

٧٠٧ ينظر فتح القدير، مرجع سابق، ج٤، ص١١٤.

﴿أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾ ينفوا من بلد إلى بلد بحيث لا يتمكنون من القرار في موضع إن اقتصروا على الإحافة. ﴿ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا﴾ ذل وفضيحة. ﴿وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ لعظم ذنوبهم^{٧٠٨}.

والناظر في هذه الآية، يمكن له أن يقتبس منها فضائل تربويّة عدّة، قد تكون في الآتية:

أولاً: الردع:

من الأصول التي يركز عليها الإسلام في معالجة العقوبة القضايا النفسية، ببث الخوف في النفس، من وقع العقوبة عليها في حالة الاعتداء على الآخرين، وقد "نظر الإسلام إلى العقوبة من كونها رادع للجريمة تجد سندها في غريزة الخوف عند الإنسان، وفيما فطر عليه من حرص على كف الأذى عن نفسه، وعلى هذا الأساس إذا رأى الإنسان في الجريمة نفعاً له وأراد ارتكابها، فإن شبح العقاب المرعب يردعه عنها، وحتى إذا زينت له نفسه ارتكاب الجريمة، فإن إيقاع العقاب عليه يمنعه من العودة إلى الجريمة مرة ثانية، كما يزجر الآخرين عن ارتكابها، لئلا يصيبهم ما أصابه، ولهذا قيل عن العقوبات، أنها موانع قبل الفعل زواجر بعده"^{٧٠٩}.

بل و"أقرّ الإسلام تشديد العقوبة على الجناة، من حيث الجزاء، فقد جعل الله فيه من الشدّة ما يناسب قبح أفعالهم، وعموم ضررها، وما فيه من التنوع، مناسبة لألوان الفساد التي يمارسونها، والآثار التي يتركونها في أفراد الأمة.. فهي قتل لمجموع أفرادها، وتحطيم لآمالهم، وسلب لدواعي أمنهم وطمأنينتهم، ومصادرة لمقدراتهم ومنجزاتهم، وما وكل إليهم من خلافة الأرض وعمارتها، فجاءت ألفاظ العقوبة في الآية وصيغتها، متلائمة مع مفردات جرميتها، ومقدرة في ضوء آثارها:

^{٧٠٨} ينظر الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج٤، ص٢٥٥.

^(٧٠٩) الشوكاني، فتح القدير، مرجع سابق، ج٤، ص١١٤.

فمثلا، "جاءت الأفعال الثلاثة يقتلوا، يصلّبوا، تقطّع بالثقل، للمبالغة والتكثير، أي إيقاع العذاب بهم يكون حتما لا هوادة فيه، ولا عفو من ولي الدم، ولا لين ولا رفة بهم" ^{٧١٠}.

ثانيا: إشعار المجتمع بالأمان برؤية النهاية التي يؤول إليها الجناة:

وإضافة إلى ما في إقامة العقاب، من رادع قوي، يُقعد المجرم عن اتباعها من جديد ، أو تخليص المجتمع من عضو فاشل فيه، امتدّت يده بالضرر للمجتمع، وهُدّد بفعله أمن وراحة الجماعة، تتحقق فضيلة تربوية أخرى، في إشعار المجتمع بالأمن من جراء هذا التطبيق، ويمكن أن نستنتج هذا من "مسألة صلب الجناة أمام الناس، وذلك حتى يشعر الناس بالأمان منهم ومن شرهم، والطمأنينة حين النظر إلى من كان السبب في خوفهم وقلقهم، وخاصة لمن يهتم بالسفر لقضاء المصالح ككسب العيش، ونحوه" ^{٧١١}.

ثالثا: فتح باب التوبة للصادق:

إنّ الذي كان بطبعه التساهل في الاعتداء على أموال الناس ودمائهم وأعراضهم، يجد نفسه لحظة المحاسبة، وتوقع الجزاء الوبيل من الله تعالى، وأمام محضر من مشاهدة الخلق له، قد سدّت الطرق أمامه، إلا باب التوبة، الذي يبقيه الله تعالى مفتوحا، للذين زلت بهم الأقدام إلى طريق الغواية.. وهذا مما يساعد أيضا على تقليل العدوان، أو درئه، وإنّ في تشجيع المذنبين على التوبة، وتوفير مؤنة الجهد في قتالهم سبيل ميسّر لإصلاح النفوس ^{٧١٢}.

^{٧١٠} ينظر أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، ٧٥٤ هـ، البحر المحيط، وبهامشه: تفسير النهر الماد من البحر المحيط، وأبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، ٩٨٢ هـ، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، ط ١، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣ م. ج ٤، ص ٤٤٠، دار الكتب العلمية، بيروت وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، ط ١، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣ م، ج ٢، ص ٢٦٥، دار الكتب العلمية، بيروت، وابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ط ١٩٨٤ م. الدار التونسية للنشر. ج ٦، ص ١٨٤.

^{٧١١} ينظر الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢١٣.

^{٧١٢} ينظر قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج ١، ص ٢٨٠-٢٨١.

المطلب الثاني: الفضائل التربوية في حد السرقة:

قال تعالى: ﴿ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ

حَكِيمٌ ﴿ [المائدة: ٣٨]

إن العقوبة المقررة بحق السارق، تحقق القضاء على الفوضى المتمثلة بعدم احترام الملكية الشخصية، والتي هي من الحاجات الفطرية في النفس البشرية، وضرورة أنها تشعره بكيونته واستقلالته، وتغنيه عن الفاقة والمسألة.

وليس هذا فحسب، بل تتجاوز ذلك، إلى تحقيق كثير من الأمور،.. فإضافة إلى حفظ أمن واطمئنان المجتمع المسلم، والمحافظة على أمواله وممتلكاته. هنالك فضائل تربوية كثيرها، أبرزها ما يأتي:

أولاً: إشعار الجناة بصلاية الإسلام وحزمه في العقوبات:

"لغلا يتهاونوا في أمر السرقة، ولو كانت في القليل منها، فإن إيقاع الحكم بحق السارق من ربع دينار فصاعداً، يدل على أن التشريع السماوي يضع درجة الخائن من خمسمائة درجة إلى ربع درجة^{٧١٣}، بسبب ارتكاب الرذائل"^{٧١٤}.

ونلاحظ في علاج الإسلام لجرائم الزنى، أنه يركز على إيجاد بيئة نظيفة تحقق كفاية المجتمع من النظر إلى الحرام، فقد "أرسى الإسلام قواعد مثلى في الكسب المشروع، سواء من خلال العمل، أو عن طريق كفالة النظم الاقتصادية للفقراء والمساكين، كنظام الزكاة، والصدقات، والكفارات"^{٧١٥}.

^{٧١٣} يقصد بالخمسمائة درجة، ما رتبته الشارع من تعويض للمجني عليه، ممن تعرض لقطع اليد، أو فقدها في باب الجنایات، وعلى الربع درجة، أدنى مقدار يميز إقامة الحد، وهو ربع دينار.

^{٧١٤} ينظر الشنقيطي، محمد الأمين الحكيني، ١٣٩٣ هـ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣، ج٣، ص ٤٣٨. طبع وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.

^{٧١٥} عودة، التشريع الجنائي الإسلامي، مرجع سابق، ج ١، ص ٦٥٢-٦٥٣.

ثانيا: تغليب العوامل النفسية التي تمنع المجرم من ارتكاب الجريمة، على العوامل التي تدفعه

إليها:

ويلاحظ الناظر إلى نظام العقوبات في الإسلام، أن الشريعة الإسلامية بتقريرها عقوبة القطع، دفعت العوامل النفسية التي تدعو إلى ارتكاب الجريمة، بعوامل نفسية مضادة تصرف عن جريمة السرقة.. فقد يوجد شخص يستصغر ما يكسبه عن طريق الحلال، ويريد أن ينمي عن طريق الحرام، وهو لا يكتفي بشمرة عمله، فيطمع في ثمرة عمل غيره، وهو يفعل ذلك ليزيد من قدرته على الإنفاق والظهور، أو ليرتاح من عناء الكد والعمل، أو ليؤمن على مستقبله، فالدافع الذي يدفعه للسرقة ويرجع إلى هذه الاعتبارات، هو زيادة الكسب أو زيادة الثراء.. وقد حاربت الشريعة هذا الدافع إلى الثراء، بإقامة حد السرقة، وتقرير عقوبة القطع، التي تؤدي إلى نقص الكسب^{٧١٦}.

المطلب الثالث: الفضائل التربوية في حد الزنا:

الزنا من أكبر الكبائر التي حرمها الإسلام، وحذر منها أشد التحذير، وقرنها بجريمة الشرك وقتل النفس، في دلالة مباشرة على شناعة مرتكب هذه الجريمة النكراء، وأوقع به أشد العقوبات، كما قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور: ٢]

وإن على رأس الأضرار التي يؤثر بها الزنا على المجتمع المسلم، هو اختلاط الأنساب، وظهور امراض وبلايا لا يعلمها إلا الله عز وجل، كالزهري، والإيدز وغيرها، إضافة إلى تفكك الأسر، وظاهرة اللقطاء.

ومن الفضائل التربوية في عقوبة الزنا، ما يأتي:

^{٧١٦} ينظر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي، مرجع سابق، ج ١، ص ٦٥٢-٦٥٣.

أولاً: تربية الوازع الإيماني:

فإن الله سبحانه وتعالى، جعل من الآيات التي ذكرت الزنا وأسبابه، ما يكون قارعا، ومخذرا أشد التحذير من الاقتراب من هذه الجريمة، أو الوقوع فيها، ولعظيم ما تسببه هذه الجريمة من سيئات وآثام، إضافة لبيان خطورة هذه الجريمة على المجتمع:

ولم يقف الأمر على التحذير، بل أغلق الأبواب التي تؤدي إلى هذه الفعلة، كمنع التبرج والاختلاط، بل بين الطريق الأمثل والحلال في التعامل مع الفطرة التي خلق الناس عليها، وهو الزواج الذي يحصن الفرج، ويحقق الاستقرار النفسي لدى الزوجين^{٧١٧}.

"فإن أبي أحد إلا تجاوز هذه الحرمات، والوصول إلى ساحة الزنا، فإنه يستحق العقوبة الصارمة الشديدة، وهي عقوبة الرجم للمحصن، والجلد لغير المحصن"^{٧١٨}.

ثانياً: الردع:

وكما في الجرائم السابقة، لا يخلو نظام العقوبات في الإسلام من ردع، أو زجر للنجاة عن ارتكاب الظلم، أو التمادي فيه، وهذا في موضوع الرنا، نرى الإسلام يوحى بإجراءات قرآنية تصب في مصلحة الردع النفس أولاً، قبل البدني، وهو المتحقق بالأمر الآتية:

أ — " إن التوصية بعدم الشفقة والرحمة بحق من أقيم عليه حد الزنا، تشير إلى فظاعة هذه الجريمة، وأن على المؤمنين أن يتصلّبوا في دين الله تعالى، خوفاً من أن تأخذهم الرأفة بالجاني، فيتركوا الحد أو ينقصوه"^{٧١٩}.

^{٧١٧} ينظر العيشت، جيهان، الإعجاز البياني والتشريعي في آيات الحدود، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التفسير، ط

٢٢٥، ص ٤٠. كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ط ٢٢٥، ص ٤٠.

^{٧١٨} ينظر العيشت، الإعجاز البياني والتشريعي، مرجع سابق، ص ٤٠.

^{٧١٩} ينظر ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ١٨، ص ١٤٧. الدار التونسية للنشر.

ب — "إنَّ الأمر بضرورة وجود الشهود، وأن يكونوا من المؤمنين، إغلاظ على الزناة وتوبيخ لهم بحضرة الناس، وليسوا أي أناس، وإنما المؤمنين، لأنَّ الفاسق بين صلحاء قومه أخجل، وهم المقصودون بأخذ العبرة"^{٧٢٠}.

ج — "إنَّ تحديد العدد أربعة في الشهود، تشديد في إثبات الجريمة، كي لا يتجرأ الناس على اتهام بعضهم بعضاً دون مبالاة، وحفظاً للمجتمع من الفوضى والضعينة والفساد"^{٧٢١}.

ثالثاً: الحد من التردّي النفسي، والانحطاط الخلقي:

يقف الإسلام موقفاً صارماً من التحلل الأخلاقي، والتردّي القيمي، بسد الذرائع التي تؤدي إلى الجريمة من جهة، وبتشديد العقوبة عليها من جهة أخرى، حتى لا يصل مرتكب الجريمة إلى حالة شعورية مزرية، تفقده الشعور بالكرامة، "والرجل والمرأة على السواء، إذا باشرا الزنا، فإنَّ الثُفوس تستقدرهما وتعافهما، وربّما تكون المصيبة أكبر في جانب الأثني، لشعورهن بعدم رغبة الناس في الزواج بهن، وهذا يفضي بدوره إلى استئراء الفساد في المجتمع، ويكون سبباً في انهياره"^{٧٢٢}.

وقد أراد الإسلام، إنشاء مجتمع نظيف طاهر، خال من كل أسباب اختلاط الأنساب، والناظر يرى، أنّه "إذا فشا الزنا، فإنَّ ذلك قد يفضي إلى أُلّا تختص امرأة برجل، أو رجل بزوجه، فكل واحد منهما له أن يواقع ما شاء من النساء، وللنساء مثل الرجال في ذلك، فلا نتيجة لهذا الشيوع إلا الانحلال والتفسُّخ"^{٧٢٣}، ولهذا جاءت العقوبات في الإسلام شديدة وصارمة.

^{٧٢٠} الزمخشري، الكشاف، مرجع سابق، ج٣، ص٢٠٦.

^{٧٢١} طبارة، عفيف عبد الفتاح، العقوبات في الإسلام، ط ١٣٧٥ هـ. منشورات جماعة عباد الرحمن. ص٣٥٥.

^{٧٢٢} عمق، العقيدة والشريعة في الإسلام، مرجع سابق ص١٨٠.

^{٧٢٣} المرجع السابق، ص١٨٠.

رابعا: المحافظة على ما أسسه الإسلام في الأسرة من المودة والرحمة:

إنّ الوقوع في الزنا يؤدي إلى انعدام العواطف الشعوريّة الصادقة، وعلى رأسها المودة والرحمة، واللذان هما أساس بناء الأسرة المسلمة، وهذا لما كفله الإسلام في العقد الشرعي من اعتبار الناس لتلك العلاقة، واحترام أصحابها، وخاصة في موضوع الإنجاب، والخارج عن هذا الطريق، يجد نفسه مضطرا للخروج من العار، بالإقدام على جرائم أخلاقية، منسلخة عن القيم أو الأخلاق الإسلامية النبيلة "فأحيانا تحاول الحامل عن طريق الزنا التخلص من جنينها بإسقاطه، وهو جناية على نسمة مظلومة"^{٧٢٤}، ولهذا فالزنا الذي حذر منه الإسلام يؤدي إلى الدخول في السبل الشيطانية البغيضة، وهو من باب: ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ ساء

سيلا" كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]

"فقد بين الله تعالى في هذه الآية في جملة ما وصى به عباده، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ﴾ أي بمجرد القرب منه قبل فعله ﴿إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً﴾ أي خصلة قبيحة، شديدة القبح، ممجوجة طبعاً، وعقلاً، وشرعاً، ﴿وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ أي: بس الطريق الموصل إلى الزنا طريقاً للآثار السيئة، والنتائج المدمرة، التي تترتب عليه، كما في أذية المؤمنين في أعراضهم، أولاً، وما في آخره من دخول جهنم والاصطلاء بجرها، والبقاء فيها أحقاباً طويلة، والعياذ بالله تعالى"^{٧٢٥}.

لذلك، "جعل الله تعالى من سنة الخلق الزواج، والإحصان، والبيت، والرحمة، والأمن، والألفة،.. وما أفضل الشخص باباً للحرام، إلا وفتح الله تعالى له أبواباً إلى الحلال، وكذا في كل الأمور"^{٧٢٦}.

^{٧٢٤} المرجع نفسه، ص ١٨٠.

^{٧٢٥} الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، مرجع سابق، ج ١، ص ٦٧٧.

^{٧٢٦} عمق، العقيدة والشريعة في الإسلام، مرجع سابق، ص ١٨٠.

المطلب الرابع: الفضائل التربوية في حد القذف:

القذف آفة من الآفات، وخاصة للعفيفات الطاهرات، التي لم تعلم لم قذفت، وأية جريمة ارتكبت، ويكون القذف لها في كثير من الأحيان بمثابة القتل النفسي، يحتاج إلى من يحد من شره، فحاء الإسلام بفضائله التربوية، لمعالجة هكذا اجترأ على الحرمات، وهذا ما يبدو من خلال النقاط الآتية:

أولاً: الزجر:

إن أفضل ما في الإسلام من طرق لمعالجة الجرائم، وخاصة في موضوع القذف، هو الألم النفسي بمصاحبة الألم الجسدي، فإذا نظرنا إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شَهَدَاءٍ فَأَجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾﴾ [النور: ٤-٥].

نجد مقدار حرص القرآن الكريم، والشريعة الإسلامية على صيانة الأعراض والمحافظة عليها، وخاصة للذين يسهل عليهم الوقوع في الأعراض التي أمرت الشريعة بحفظها، ويجبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا، ولذلك قال ابن العربي:

"لما كان الجلد مؤلماً للبدن، والقاذف إنما آذى المقذوف بلسانه، وترك فيه أثراً نفسياً بليغاً، فإنه عوقب أيضاً بعقاب نفسي شديد، ومحل هذا العقاب هو محل الجنابة، وهو اللسان، فعوقب بإهدار منافعه، ويرد شهادته وإلغاء قيمتها، وعدم الاعتراف بها، وهو حقيق بذلك، لأنه إنما قذف بدون إثبات قد دلّ على تساهله في الشهادة"^{٧٢٧}.

^{٧٢٧} ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، ٥٤٣ هـ، أحكام القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط ١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠ م. ج ٣، ص ٢٦٠، دار الكتاب العربي، بيروت، أبو السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، مرجع سابق، ج ٤، ص ٤٤٠، دار الكتب العلمية، بيروت. وابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ١٨، ص ١٥٩.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿النور: ١٩﴾.

ومن هنا "فإن في تشديد العقوبة على القاذف، إذا لم يُقم البيّنة على صحّة ما قال، وجعله ثلاثة أحكام هي: أن يجلد ثمانين جلدة، وأن ترد شهادته أبداً، وأن يكون فاسقاً ليس بعدل، لا عند الله تعالى، ولا عند الناس، تغليظ لشأن القذف، وتعظيم لأمره، وقوة في الردع عنه"^{٧٢٨} ويضاف إلى ذلك أيضاً، أن "في اشتراط الأربعة شهود، في حد القذف، مقارنة بالزنا، وأن يكونوا من الرجال تحديداً، وأن تكون شهادتهم على معايينة تامة وصريحة، ضبط الألسن أن تتجرأ على العفيفات الطاهرات بغير بيّنة، لأن العرض الأصل فيه الصون والستر، فحتى لا يشاع أمر كهذا، إن لم تتحقق مصلحة خاصة، في حال عدم وجود من يشهد"^{٧٢٩}، وهذا كله حماية للمجتمع من إشاعة الفاحشة، أو الترويج لها.

ثانياً: صيانة مشاعر النفس الإنسانيّة، والحفاظة على علاقات المحبة والمودة بين الناس:

ومن أسس النظام الإسلامي في العقوبات "تغليظ العقوبة بحق من تجرأ على حل عرا الفضائل والأخلاق، و تمأون في قطع أواصر الصلة والمحبة بين الناس، وسهّل لارتكاب الجريمة لمن يتردد فيها، بأن تنزل عليه أقصى العقوبات: الجسدية بالجلد ثمانين جلدة، والأدبية وسط الجماعة، وأن لا يؤخذ للقاذف بشهادة، وإسقاط اعتباره بين الناس، حتى يمشي بينهم متهماً، ولا يوثق له بكلام، حتى لا يتساهل أحد بالقذف، صيانة للأعراض من التهم، وصيانة لأصحابها من الآلام النفسية التي يجرها عليهم القذف"^{٧٣٠}.

^{٧٢٨} ابن العربي، أحكام القرآن، مرجع سابق، ج٣، ص٢٦٠، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق، تفسير القرآن العظيم، ج٣، ص٣٥٤.

^{٧٢٩} المرجع السابق، ج٣، ص٢٥٧، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن، مرجع سابق، ج٦، ص١١٥.

^{٧٣٠} ابن سعود، منشورات جامعة محمد بن سعود، أثر تطبيق الحدود الشرعية في تحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع، د.ط، ص٢٢٢، وقطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج٤، ص٢٤٩٠.

والله تعالى يقول محذرا: ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا

مُبِينًا ﴾ [النساء: ١١٢].

"وفي قوله تعالى: ﴿ فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ تحذير من حملان الأوزار وأثقال الذنوب وهذا لمن

يتهم أحاه بذنوب وهو منه بريء، وسواء عمدا، أم بغير عمد، لأن الخطيئة ما لم يتعمده الإنسان خاصة، كالقتل بالخطأ. والإثم ما يتعمده، وقيل: الخطيئة الصغيرة، والإثم الكبيرة، وهذه الآية لفظها عام يندرج تحته أهل النازلة وغيرهم.. وشبهت الآية الذنوب بالأثقال، ومن يقتربها بحامل الأثقال، إذ الذنوب ثقل ووزر فهي كالحمولات، والبهتان من البهت، إذا قال عليه ما لم يفعله" ^{٧٣١}

المطلب الخامس: الفضائل التربوية في حد اللعان:

من روعة الإسلام شفافيته المطلقة، وعلاجه للمشاكل الأسرية التي تعضل على الكثير، وعجز أن يصل

إليها العقل البشري نفسه، ومنها حد اللعان، الوارد في قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ

شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمْسَةَ أَنْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ

إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَذْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾

وَالْخَمْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ

حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ [النور: ٦-١٠].

فقد "جاءت هذه الآيات الكريمة مراعاة للأزواج الذين يتعذر عليهم إثبات الشهادة على الذين

كانوا ألصق الناس بهم فخانوهم، أو ظنوا بهم الخيانة، فعذرهم الله بالإدعاء، وفي المقابل لم يتساهل بحق

^{٧٣١} ينظر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٥، ص ٣٨٠.

النساء أن يكن مضغة في أفواه من يريدون التشهير بهم، من أزواجهن لشقاق أو غيظ مفرط، أو حماقة، كلفهم شهادة لا تعسر عليهم إن كانوا صادقين فيما يدعون، فأوجب عليهم الحلف بالله تعالى أربع مرات، لتقوم الأيمان مقام الشهود الأربعة المفروضين للزنا^{٧٣٢}.

و تقدم هذه الآية الكريمة، بعضا من الفضائل التربوية في إقامة حد اللعان، نذكر منها:

أولا: تربية الوازع الإيماني:

يحرص الإسلام على زرع خشية الله في النفوس، وإيقاظ الضمير بوجود العقاب، سواء الدنيوي العاجل، أو الآخروي الآجل، وهنا في موضوع اللعان، نجد تشديدا كذلك في موضوع العقاب النفسي، فقد أشعر القرآن الكريم، أن "من كانت أيمانه غموسا، من الحرمان من رحمة الله تعالى، وذلك مأخوذ من زيادة اليمين الخامسة على الأيمان الأربع القائمة مقام الشهود، والتي جاءت لتقوية الأيمان الأربع: ^{٧٣٣}. وهذا من منهج القرآن الكريم في التخليط في موضوع الأعراض، في الفروج والدماء على فاعلها، لعلّه أن يكف عنها، فيقع السّتر في الفروج، والحقن في الدّم " ^{٧٣٤}.

ثانيا: جهل المسلم على ضرورة الثبّت من الخبر، وعدم إساءة الظن:

وجاءت الآيات لتؤكد على أهمية "تحقق الخبر وإظهار الصدق، وذلك مأخوذ من أفراد الشهادة الخامسة عن الأيمان الأربعة قبلها، مع كونها شهادة أيضا، لاستقلالها بالفحوى، ووكادتها فيما يقصد بالشهادة " ^{٧٣٥}.

^{٧٣٢} الطبري، جامع البيان، مرجع سابق، ج٩، ص ٢٧١.

^{٧٣٣} ينظر ابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج١٨، ص ١٦٥.

^{٧٣٤} ابن عاشور، المرجع السابق ج٣، ص ٢٥٦.

^{٧٣٥} أبو السعود، إرشاد العقل السليم، مرجع سابق، ج٤، ص ٤٤١.

المبحث الثاني: الفضائل التربوية في عقوبات القصاص والدية:

عقوبات القصاص والدية: "هي العقوبات المقدرة حقا للأفراد"^{٧٣٦}.

وقد "شرعت هذه العقوبات لجرائم التعدي على نفس الإنسان وبدنه، من قتل وجرح وقطع، ونحو

ذلك"^{٧٣٧}.

"وقد جعلت الشريعة الإسلامية القصاص عقوبة أصلية للقتل العمد، والجرح العمد"^{٧٣٨} بينما جعلت

الدية عقوبة أصلية في الجرائم غير العمدية"^{٧٣٩}.

وفي إقرار هذه العقوبات فضائل تربوية كثيرة، نبدأ الحديث عنها في ما يخص موضوع القتل والدية.

المطلب الأول: الفضائل التربوية في قصاص القتل، والدية:

تتمثل الفضائل التربوية في تشريع القصاص، وضبط أحكامه، وإجراءات تنفيذه، في النقاط الآتية:

أولاً: تعظيم قدر النفس الإنسانية:

جاء الإسلام، وشرع من السبل التي تكفل المحافظة على قيمة النفس الإنسانية، وحقها في الحياة،

وبدأ بـ"القضاء على عادات الثأر والبغي القديمة في الجاهلية، حتى تتحقق العدالة، ويسود

الإنصاف، وذلك بالنسبة للقصاص في القتل"^{٧٤٠}.

^{٧٣٦} "ومعنى أنها حق للأفراد: أن للمجني عليه أن يعفو عنها إذا شاء، فيجوز له أن يعفو عن القصاص مقابل الدية، ويجوز له أن يعفو

عن الدية أيضاً، ينظر ابن الهمام، شرح فتح القدير، مرجع سابق، ج٥، ص١٩٧.

^{٧٣٧} البهوتي، كشف القناع، مرجع سابق، ج٥، ص٣٩٣.

^{٧٣٨} الماوردي، الأحكام السلطانية، مرجع سابق، ص٢٣١.

^{٧٣٩} البهوتي، كشف القناع، مرجع سابق، ج٥، ص٥٩٣.

^{٧٤٠} الشرباصي، أحمد، مرجع سابق، القصاص في الإسلام، د.ط، ص٤٥.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيِهِ

سُلْطَنًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴾ [الإسراء: ٣٣].

"ينهى الله سبحانه وتعالى عباده، عن أن يتجرأ أحدهم في القتل، ولا بسبب من الأسباب، إلا أن يكون السبب متلبساً بالحق، أي في وجه حق^{٧٤١}، كأن يكون قاتلاً، أو كافراً محارباً للمسلمين، ويبالغ في التغليظ والتشنيع بحق المجرم، وأنه تعالى أعطى بتشريع لولي المقتول أن يطالب بالقصاص من القاتل، فور وقوع القتل، حفظاً للحقوق وحقناً للدماء"^{٧٤٢}.

ثانياً: شفاء غيظ المجني عليه:

إن أحكام الآيات، التي أوردتها الشريعة الإسلامية بإرضاء المجني عليه، بإيجاب الدية، وضرورة تسليمها إلى أهل المقتول "جاءت شفاء لغيظ المجني عليه وليست للانتقام، فشفاء غيظ المجني عليه وعلاجه، له أثره في تهدئة نفس المجني عليه، فلا يفكر في الانتقام، ولا يسرف في الاعتداء"^{٧٤٣} وإن "من طبيعة النفوس الحنق على من يعتدي عليها عمداً والغضب ممن يعتدي عليها خطأً، فتندفع إلى الانتقام وهو انتقام لا يكون عادلاً أبداً، لذلك كان مقصد إرضاء المجني عليه مع العدل ناظراً إلى ما في النفوس من حب الانتقام، فتتم ترضيتهم بالدية، وإشعارهم باستعداد القاتل لتحمل المسؤولية عن خطئه، إضافة إلى ما فيها من ترضية وسلوى عن بعض ما أصابهم من الحزن بفقد قتيْلهم"^{٧٤٤}.

^{٧٤١} الأسباب ذكرت في قول النبي ﷺ، ص "لا يجل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، إلا بإحدى

ثلاث، صالنفس بالنفس، والزاني المحسن، والتارك لدينه، المفارق للجماعة". ينظر مسلم، صحيح مسلم، كتاب القسامة

والمخارين والقصاص والديات، باب ما يباح به دم المسلم، ح ١٦٧٦.

^{٧٤٢} ينظر أبو السعود، إرشاد العقل السليم، مرجع سابق، ج ٤، ص ١٩٢، وابن عاشور، التحرير والتنوير، مرجع سابق، ج ١٣، ص

٩٢.

^{٧٤٣} العمري، نادية محمد شريف، القضاء في الإسلام ودوره في القضاء على الجريمة، ط ١٤١٢هـ، د.ن. الرياض، ج ١، ص ٣٠٧.

^{٧٤٤} المرجع نفسه، ص ٣٨٠، ولبابنة، د، عايش، قيمة الحياة الإنسانية في القرآن الكريم، ص ١٧٥. وقطب، في ظلال القرآن، مرجع

سابق، ج ٢، ص ٢١٤.

ثالثا: التأديب:

وللحكم الشرعي أسلوبه الأمثل في تطهير النفس البشرية، من الآثار النفسية للجرائم، حتى يزول الخبث الذي بعث الجاني على الجناية من نفسه، كما يتجلى ذلك في عقوبة القتل العمد، وعقوبات الحدود بعمامة، ولذلك فرّع سبحانه على إقامة العقوبة، قوله تعالى: ﴿فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ

فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٩] ..

وكما ان "التأديب يتحقق للجاني، فإنه يتحقق للمقتدي ويزجره إن أراد الإقدام على الجريمة، ولهذا كانت الشهادة أيضا في الحدود" ٧٤٥ .

رابعا: المحافظة على العلاقات الأخوية الإيمانية:

ومن الفضائل التربوية للعقوبات، ما يتفرع عن "التشديد على عقوبة القتل الخطأ بحق المؤمن، بإيجاب تحرير رقبة مؤمنة، ودفع الدية إلى أهل القتل، من قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَاً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا﴾ فَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ٩٢]

محافظة على العلاقة بين المسلم والمسلم، من الغلوة والمتانة والإعزاز، من أن تخدش أبداً ٧٤٦ .

٧٤٥ ينظر ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق ودراسة: محمد الطاهر الميساوي، ط ١، د.ت. ص ٣٨٠-٣٨١. البصائر للإنتاج العلمي.

٧٤٦ قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج ٢، ص ٢١٤.

خامسا: تنقية النفوس بالتوبة النصوح:

"يساهم القصاص في تنقية النفوس من أدران المعصية وتطهيرها من لوثة الجريمة، والسير بها على طريق

التوبة التي تعيد للفطرة براءتها، وتحجم النفس عن كل قبيح"^{٧٤٧}.

المطلب الثاني: الفضائل التربوية في قصاص الأطراف والأعضاء:

أخذ الإسلام على عاتقه حفظ أعضاء النفس البشرية، من أن تمس بأذى، وأعضاؤه، كذا أطرافه التي جعلها الله تعالى أدوات لعمارة الأرض، ولذلك غلظ العقوبة بحق من تساهل في المساس بالأعضاء. واهتم بتحقيق العدل والمساواة في ذلك، بدقة متناهية في الحكم، دون تساهل، " فلا يصح أن نذهب إلى الرأفة بالجاني دون النظر لما آل إليه أثر الجناية في المجني عليه، وإلا كنا نعين الظالم ونقيه من عثرته ونترك المظلوم يئن من جروحه المادية والنفسية"^{٧٤٨}.

قال تعالى: ﴿ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [المائدة ٤].

.. ففي قوله تعالى: ﴿ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ﴾ أي تقتل بها إذا قتلتها بغير حق، ﴿ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ﴾ والعين تفقاً بالعين إذا فقمت بغير حق، ﴿ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ ﴾ والأنف يُجدع بالأنف المقطوع بغير حق

^{٧٤٧} ينظر قطب، في ظلال القرآن، مرجع سابق، ج٢، ص٢١٤، ج٢، ص٢١٤.

^{٧٤٨} أبو زهرة، الجريمة والعقوبة، د. ط، ص٤٠٥.

﴿وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ﴾ والأذن تصلم بالأذن المقلوعة بغير حق^{٧٤٩} ﴿وَاللِّسْنَ بِاللِّسَنِ﴾ كذلك، ﴿

وَالْجُرُوحَ قِصَاصًا﴾ أي ذات قصاص، إذا كانت بحيث تعرف ومن الفضائل التربوية في عقوبات

القصاص للأطراف والأعضاء^{٧٥٠}

ومن الفضائل التربوية في موضوع القصاص في الأطراف والأعضاء، الردع من جهة، وشفاء غيظ المجني

عليه من جهة أخرى، فالناظر للإسلام، وهو يقيم الحدود، فيرحم، أو يطبق القصاص، في القتل

والأطراف، أو الأعضاء، ينظر إلى زاوية جد مهمة، قد لا يراعيها قانون بشري، وهو أن "الشريعة تتجه

في الجريمة التي يكون حق العبد فيها غالباً كجرائم الدماء، إلى شفاء غيظ المجني عليه أولاً بالذات ؛ لذا

فمن فُتت عينه مثلاً لن يشفي غيظه مالاً من الجاني مهما يكن قدره، ولا سجنٌ مهما تكن مدته، ولكن

يشفي غيظه أن يجده مفقوء العين، وهذه العناية شفاء غيظ المجني عليه له أثره العظيم، إذ لن يفكر في

الانتقام ولن يُسرف في الاعتداء، أي لا يسرف كما جاء في قوله تعالى: ﴿فَلَا يُسْرِفَ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ

كَانَ مَنْصُورًا﴾ [الإسراء: ٣٣] ^{٧٥١} .

^{٧٤٩} أبي السعود، إرشاد العقل السليم، مرجع سابق، ج٣، ص٢٧٨.

^{٧٥٠} هذا، وإن كان الخطاب لبني إسرائيل في هذه الأحكام التي تضمنتها الآية ؛ فإن ذلك لا يعني عدم جريانه علينا معشر المسلمين لا

سيما وأنه مقررٌ في علم الأصول أن شرع من قبلنا شرعٌ لنا ما لم يرد ناسخ عند جمهور فقهاء المذاهب الإسلامية.

^{٧٥١} المرجع السابق، ص١٩

المبحث الثالث: الفضائل التربوية في عقوبات التعزير:

عقوبات التعزير: هي "عقوبات غير مقدّرة، تختلف صفاتها وأحكامها حسب كبر الذنوب وصغرها، وحسب حال الذنب وحال فاعله"^{٧٥٢}.

والتعزير لغة: "المنع والنصرة، لأنّ فيه ردّاً لأذى العدو ومنعاً له، ويطلق بمعنى التّأديب، يقال عزّرتّه، أي أدّبته"^{٧٥٣}.

والتعزير شرعاً: "عقوبة مفوّضة شرعاً لرأي الحاكم المسلم نوعاً ومقداراً، وجبت حقاً لله تعالى، أو لآدمي، في كل معصية ليس فيها حد ولا قصاص"^{٧٥٤}.

"ومن الجرائم التي فيها اعتداء على حق الله تعالى، الإفطار في شهر رمضان المبارك، وترك الصلّاة ومنع الزكّاة، وتشكيك المسلمين بدينهم، وإشاعة الفاحشة..

ومن الجرائم التي فيها اعتداء على حقّ الناس، تظيف الكيل والميزان، واحتكار السلع، وشهادة الزور، وأكل مال اليتيم، وأخذ الرّشوة، والأفعال المخلّة بالآداب العامّة، وغير ذلك"^{٧٥٥}.

ويلاحظ أنّ "الشريعة الإسلاميّة إنّما قدّرت العقوبات الخطرة على أمن المجتمع وسلامته، والتي لا تختلف باختلاف الزمان والمكان، وهي الحدود والقصاص، حتى لا يكون في عدم تقديرها إيقاع الظلم بالخطابة بين الناس..

^{٧٥٢} ابن الهمام، شرح فتح القدير، مرجع سابق، ج٥، ص ٣٣٠.

^{٧٥٣} ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، مادة عزر،

^{٧٥٤} الماوردي، أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب البصري، الأحكام السلطانية، ط٢، ١٣٨٦م. ص٢٣٦، مطبعة ومكتبة مصطفى

البابي الحلبي، القاهرة، مصر، و ابن قدامة، موفق الدين، عبد الله بن أحمد، مرجع سابق المقدسي، المغني ومعه الشرح الكبير،

ط١، ٥١٤٠٤. ج١٠، ص٣٤٢. دار الفكر، بيروت، لبنان. والبهوتي، كشف القناع، مرجع سابق، ج٦، ص١٥٤، وعودة،

التشريع الجنائي الإسلامي، مرجع سابق، ج١، ص٦٨٥.

^{٧٥٥} حبر، وآخرون، الثقافة الإسلامية، مرجع سابق، ص٣٥٣

أما عقوبة التعزير، فتركها دون تحديد، نظرا لتعلقها بجرائم تختلف من حيث الأشخاص، والظروف، والأزمان، بحيث يعاقب كل فرد على الجريمة التي يرتكبها بما يتناسب وحجم الجريمة، وأثرها على كل من الفرد وأحوال المجرم، وبما يحقق العدالة^{٧٥٦}.

"وللقاضي أن يختار العقوبة التي تلائم ظروف الجريمة وظروف المجرم، فقد يكون التعزير بالجلد، أو المهجر، أو الوعظ، أو التوبيخ، أو التغريب، أو التهديد، أو الحبس، أو الضرب، أو المصادرة، أو غير ذلك من العقوبات التعزيرية، التي عرفتها الشريعة الإسلامية..

وقد تصل عقوبة التعزير إلى القتل على الجرائم الخطرة التي تهدد أمن الدولة، كالفتن والتجسس، وغيرها^{٧٥٧}.

وبسبب ما بين عقوبات التعزير وعقوبات الحدود والقصاص من أوجه شبه، واتفاق على الأصل الذي لأجله بنيت العقوبة، وشرعت، فإن جميع ما أسلفنا الحديث فيه عن الفضائل التربوية للعقوبات في الإسلام، يتوافق مع عقوبات التعزير، سواء من حيث تعظيم قدر النفس الإنسانية، وتعظيم حرمان المسلمين، أو من حيث تربية الوازع الإيماني، والرقابة الداخلية، أو من حيث التأديب والزجر والردع، أو من حيث شفاء غيظ المحني عليه، أو من حيث المحافظة على العلاقات الأخوية والإيمانية.

ولله در الإسلام، بكل ما حوته عقيدته وشريعته، في جميع أنظمتها، وعباداته، وأخلاقه، من فضائل تربوية مهمة، أسهمت في صناعة الشخصية الفردية والاجتماعية، وأضاءت مشاعل الهدى والنور لمن أراد طريق السعادة والحمد، جعلنا الله تعالى ممن حلت عليهم فضائل الإسلام وبركاته، دائما أبدا، في الدنيا والآخرة، اللهم آمين آمين، يارب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

^{٧٥٦} حبر، وآخرون، الثقافة الإسلامية، مرجع سابق، ص ٣٥٣.

^{٧٥٧} عودة، التشريع الجنائي الإسلامي، مرجع سابق، ص ٧٠٥.

— الخاتمة ونتائج ما توصل اليه البحث —

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا، يليق بأسمائه الحسنی وصفاته العلی، فهو أحق من ذكر، وأحق من شكر، وأحق من عبد، وأحق من حمد، وأجود من سئل، وأكرم من قصد، وأوسع من أعطى.

وبعد:—

فإني أرى في ختام هذا البحث، بعد السير الخثيث، والجهد المتواصل، في ثنايا الآيات الكريمة، من كتاب الله تعالى، والتوجيهات الحكيمة، من سنة رسولنا المصطفى ﷺ، والإرشادات الطيبة من السادة العلماء، إضافة إلى جهدي المتواضع، أن أستخلص أهم النتائج، والتوصيات، والمقترحات، التي خرجت بما من هذه الرسالة، بدءا بالنتائج والخلاصات، وانتقالا إلى التوصيات والمقترحات، فأقول وبالله التوفيق:

أ — أهم النتائج، والخلاصات التي توصل إليها البحث:

١— تشمل الفضائل التربوية كل فائدة إيمانية، وميزة شرعية، وقيمة خلقية، ومبدأ تربوي سام، متناغم مع قواعد الإسلام، وأصوله العامة، ومبادئه الحنيفية السمحة.

٢— إن من أهم ما قدمته الفضائل التربوية، حرية الإنسان ذاتاً وفكراً وسلوكاً وكسباً وتملكاً، فهو ليس عبداً لإنسان مثله ولا أسيراً لشهوته، وهي بالتالي، تبتعد بالفرد عن الأنانية وحب الذات والأثرة، وتنقله إلى الإيجابية والاهتمام بالآخرين، والإيثار، بدافع ذاتي، لا بسلطة قاهرة، ولا بأمر قسري، أو ظلم، أو عدوان، ومع هذا، هي تشعره بالمسؤولية الحقيقية، في تصرفاته، وأعماله تجاه ربّه، ومع الآخرين بما يكون له الأثر البارز، في توجيه السلوك الفردي والاجتماعي، على أحسن الأحوال، ومن ذلك:

أ — استطاع منهج الإسلام أن يوائم بين افراد المجتمع الإسلامي، أسرا كانوا أو جماعات، بما ضمن لهم من حقوق، وما فرض عليهم من واجبات، معززة بالمبادئ والقيم الإسلامية النبيلة، وذلك فيما يتعلق بالمعاملات الاجتماعية، والإقتصادية وغيرها.

ب — سبق القرآن الكريم، بما قدّمه من فضائل تربوية بخصوص الأسرة، جميع جهود الإنسانية في التربية، في تقدير أن الأسرة، والتي تتمثل في الأبوين، هي المكان الأول للتربية، قبل أن يخرج الأبناء إلى المدرسة والمجتمع، فالأسرة مسئولة عن انحراف الأبناء الخلقي والاجتماعي، لأنها هي المحضن الأول الذي يتلقى فيه الطفل مبادئ الأخلاق، وأسس التربية، وفضائلها.

ب — أهم التوصيات، والمقترحات التي يقدمها البحث:

أولاً: إن الواجب على كل مسلم أن يسير وفق منهج الله تعالى، ويتأسى برسول الله ﷺ، متحلياً بهذه الفضائل التربوية، التي تمد المسلم بالطاقات الحسية والمعنوية، الظاهرة والباطنة، والتي يحتاجها في كل شأن من شؤونه.

ثانياً: إن المسلم والداعية المتأسى برسول الله ﷺ، لابد أن يكون إيجابياً، يدعو غيره على بصيرة وعلم، بعد أن يكون متحلياً بهذه الفضائل التربوية، ومطبّقاً إياها على نفسه أولاً، حتى يكون واقعياً في التعامل مع الآخرين، وإيجابياً فيما يتحلّى به من بصيرة في الدعوة، وعلى خطى رسولنا الكريم ﷺ، مصداقاً لقول

الله تعالى: ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف: ١٠٨].

ثالثاً: على الأفراد والجماعات، أن يضعوا نصب أعينهم الحفاظ على القيم الأخلاقية والمثل الإسلامية العليا، حيث باتت هذه القيم والمبادئ والأخلاق مهددة نتيجة للانحلال الفكري والثقافي المتواصل، ونتيجة الصراع بين المثل العليا والتطور الإنساني الذي انصرف إلى تنمية مقدرات ومهارات الإنسان العلمية والتقنية ليلحق لاهثاً بسير ركب التقدم التقني، وذلك على حساب إهمال دور القيم المتعلقة بأمر

الدين والعقيدة و حياة الفرد والأسرة والمجتمع، إضافة بطبيعة الحال إلى الانحلال الفكري والخلقي وتفكك الترابط الأسري، وكثرة حالات الطلاق، والإجهاض، والأطفال غير الشرعيين، إضافة إلى تفشي جرائم العنف، والأمراض المعدية، والأمراض النفسية الخطرة في كثير من المجتمعات. كما قال تعالى:

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

[الروم: ٤١]

ومن هنا فإنه لا مجال لمقاومة هذا الانهيار إلا بالرجوع إلى أسس الفضيلة المتمثلة في مكارم أخلاق الرسول ﷺ باعتباره الرحمة المهداة والنعمة المسداة للبشرية جمعاء، يقول الله تعالى:

﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٥٢].

ثالثاً: وختاماً، جميل، ونحن المنتسبون لهذا الدين العظيم، أن نغرس روح الأمل في مستقبل مشرق يعم العالم الإسلامي، بل العالم كله، قائم على مكارم الأخلاق، والفضائل التربوية للدين، وهذا ما يعد من أعظم المهمات، وأهم الغايات في رسالة الإسلام، كما كان عليه حاله ﷺ: "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"، وهذا ما يتطلب جهداً حافلاً من جميع الغيارى على الدين، سواء أكانوا أفراداً، أم جماعات، يعملون ضمن دوائر ومؤسسات، مدعومة بالمال اللازم لنشر الخير، وتعريف الناس بحقائق هذا الدين، عن طريق وسائل النشر الحديثة، للوصول إلى الغاية الحميدة، التي خلق الإنسان من أجلها، بقوله تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]

أسأل الله تعالى، راغباً إليه، وملحاً عليه، أن يكون جهدي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يبارك فيه ويعمم النفع به لكل المسلمين، إته ولي ذلك والقادر عليه.

﴿ دَعْوَتُهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَعَآخِرُ دَعْوَتُهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

وصلى الله على سيدنا محمد، وآله وصحبه أجمعين.

قائمة تفصيلية بالمحتويات

ج	الإهداء	
د	شكر وثناء	
هـ	قائمة المحتويات وخطة البحث	
و	قائمة تفصيلية بالمحتويات	
ط	الملخص باللغة العربية	
ي	الملخص باللغة الإنجليزية	
١	المقدمة	
٣	منهج البحث	
٤	محددات الرسالة	
٧		فصل تمهيدي
٨	التعريف بعنوان الرسالة:	المبحث الأول:
٨	تعريف الفضائل لغة واصطلاحاً:	المطلب الأول:
٨	تعريف الفضيلة لغة:	أولاً:
٩	تعريف الفضيلة اصطلاحاً:	ثانياً:
١٠	تعريف التربية لغة واصطلاحاً:	المطلب الثاني:
١٠	تعريف التربية لغة:	أولاً:
١١	تعريف التربية اصطلاحاً:	ثانياً:
١٣	مفهوم الفضائل التربوية:	المطلب الثالث:
١٤	أهمية الفضائل التربوية في القرآن الكريم:	المبحث الثاني:
١٦	الفضائل التربوية العقدية:	الفصل الأول:
٢٠	الإيمان بالله تعالى وأسمائه الحسنى وآثارها التربوية:	المبحث الأول:
٢١	الفضائل التربوية للإيمان بوجود الله تعالى:	المطلب الأول:
٢٤	الفضائل التربوية للإقرار بالوحدانية:	المطلب الثاني:
٢٩	الفضائل التربوية لقصد الله وحده بالطاعة والعبادة:	المطلب الثالث:
٣١	الفضائل التربوية في الإيمان بأسماء الله الحسنى:	المطلب الرابع:
٣٤	الأسماء الحسنى الواردة في سورة الإخلاص وآثارها التربوية:	أولاً:
٢٥	الأسماء الحسنى الواردة في آية الكرسي وآثارها التربوية:	ثانياً:
٤٢	الإيمان باليوم الآخر، وآثاره التربوية:	المبحث الثاني:

٤٣	الإيمان بعذاب القبر، وآثاره التربوية:	المطلب الأول:
٤٥	الإيمان بالبعث والحشر، وآثاره التربوية:	المطلب الثاني:
٤٩	الإيمان بالحساب يوم القيامة، وآثاره التربوية:	المطلب الثالث:
٥٠	الإيمان بصحائف الأعمال، وآثاره التربوية:	المطلب الرابع:
٥٠	الإيمان بالميزان، وآثاره التربوية:	المطلب الخامس:
٥١	الإيمان بالصراف، وآثاره التربوية:	المطلب السادس:
٥٣	الإيمان بالجنة والنار، وآثاره التربوية:	المطلب السابع:
٥٤	الإيمان بالملائكة عليهم السلام، وآثاره التربوية:	المبحث الثالث:
٥٩	الإيمان بالرسول عليهم السلام، وآثاره التربوية:	المبحث الرابع:
٦٧	الإيمان بالكتب، وفضائله التربوية:	المبحث الخامس:
٧٤	الإيمان بالقدر، وآثاره التربوية:	المبحث السادس:
٨٣	الفضائل التربوية التعبدية:	الفصل الثاني:
٨٦	إعلان الشهادتين، وآثاره التربوية:	المبحث الأول:
٨٩	الفضائل التربوية في الصلاة:	المبحث الثاني:
٩٩	الفضائل التربوية في الزكاة:	المبحث الثالث:
١٠٦	الفضائل التربوية في الصيام:	المبحث الرابع:
١١١	الفضائل التربوية في الحج:	المبحث الخامس:
١١٨	القضايا الاجتماعية، وآثارها التربوية:	الفصل الثالث:
١٢١	وصايا الآباء للأبناء:	المبحث الأول:
١٣٠	تربية الأبناء:	المبحث الثاني:
١٤٠	بر الوالدين:	المبحث الثالث:
١٤٥	صلة الرحم:	المبحث الرابع:
١٥٠	معاملة أصناف العامة:	المبحث الخامس:
١٥١	معاملة أصحاب الحقوق_عدا الوالدين وذوي القربى_:	المطلب الأول:
١٥١	رعاية حقوق اليتامى:	أولاً:
١٥٣	رعاية حقوق الفقراء والمساكين:	ثانياً:
١٥٤	رعاية حقوق الجار:	ثالثاً:
١٥٥	رعاية حقوق الصاحب:	رابعاً:
١٥٧	رعاية حقوق ابن السبيل:	خامساً:
١٥٨	رعاية حقوق الرقيق والخادم:	سادساً:

١٦٠	معاملة أهل الذمة:	المطلب الثاني:
١٦٣	الفضائل التربوية الأخلاقية	الفصل الرابع:
١٦٦	الفضائل التربوية القرآنية في الدعوة إلى الأخلاق الكريمة:	المبحث الأول:
١٦٦	الرحمة، وآثارها التربوية:	المطلب الأول:
١٦٩	الصدق، وآثاره التربوية:	المطلب الثاني:
١٧١	الأمانة، وآثارها التربوية:	المطلب الثالث:
١٧٦	العفة، وآثارها التربوية:	المطلب الرابع:
١٨٣	التواضع، وآثاره التربوية:	المطلب الخامس:
١٨٧	الفضائل التربوية القرآنية في النهي عن الأخلاق المذمومة:	المبحث الثاني:
١٨٨	النهي عن إحتقار المسلم لأخيه المسلم:	المطلب الأول:
١٩٠	النهي عن سوء الظن:	المطلب الثاني:
١٩١	النهي عن التجسس:	المطلب الثالث:
١٩٢	النهي عن الغيبة:	المطلب الرابع:
١٩٤	الفضائل التربوية في القدوة الحسنة:	الفصل الخامس:
١٩٩	القدوة الحسنة في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:	المبحث الأول:
٢٠١	تحقيق الصلة بالله عز وجل:	المطلب الأول:
٢٠١	الإخلاص في التوحيد والدعوة إليه:	أولاً:
٢٠٣	الانقياد التام بالعبودية:	ثانياً:
٢٠٦	إسلام الوجه لله والتوكل عليه:	ثالثاً:
٢٠٧	الصبر في الدعوة إلى الله تعالى:	رابعاً:
٢٠٩	رجاء اليوم الآخر، والخشية من الله تعالى:	خامساً:
٢١٠	توجيه الناس إلى الأخلاق الكريمة:	المطلب الثاني:
٢١٥	القدوة الحسنة في سيد الخلق صلى الله عليه وسلم:	المبحث الثاني:
٢١٧	صفة الرحمة:	المطلب الأول:
٢٢١	صفة الصدق:	المطلب الثاني:
٢٢٣	صفة الصبر:	المطلب الثالث:
٢٢٦	صفة الحلم:	المطلب الرابع:
٢٢٧	خلق الصفح:	أولاً:
٢٢٩	خلق العفو:	ثانياً:
٢٣٢	الدفع بالتي هي أحسن:	ثالثاً:

٢٣٣	صفة الحكمة:	المطلب السادس:
٢٣٤	صفة الحياء:	المطلب السابع:
٢٣٤	صفة التواضع:	المطلب الثامن:
٢٣٦	صفة الشكر:	المطلب التاسع:
٢٣٧	نماذج عملية في القدوة الحسنة:	المبحث الثالث:
٢٣٨	قصة أصحاب الكهف، وفضائلها التربوية:	المطلب الأول:
٢٤٧	قصة سيدنا موسى والخضر عليهما السلام، وفضائلها التربوية:	المطلب الثاني:
٢٥٤	الفضائل التربوية الاقتصادية:	الفصل السادس:
٢٥٧	الكسب الحلال، وآثاره التربوية:	المبحث الأول:
٢٦٠	الحث على الإنفاق ومحاربة البخل، وآثارهما التربوية:	المبحث الثاني:
٢٦٧	حفظ مال اليتيم، وآثاره التربوية:	المبحث الثالث:
٢٧٠	حرمة الربا، وآثارها التربوية:	المبحث الرابع:
٢٧٣	الإعتدال والتوسط، وآثارهما التربوية:	المبحث الخامس:
٢٧٩	ضبط الموازين، وآثاره التربوية:	المبحث السادس:
٢٨٢	الموارث والوصايا، وآثارها التربوية:	المبحث السابع:
٢٨٩	الفضائل التربوية في العقوبات:	الفصل السابع:
٢٩٢	الفضائل التربوية في عقوبات الحدود:	المبحث الأول:
٢٩٣	الفضائل التربوية في حد الحرابة:	المطلب الأول:
٢٩٦	الفضائل التربوية في حد السرقة:	المطلب الثاني:
٢٩٧	الفضائل التربوية في حد الزنا:	المطلب الثالث:
٣٠١	الفضائل التربوية في حد القذف:	المطلب الرابع:
٣٠٣	الفضائل التربوية في حد اللعان:	المطلب الخامس:
٣٠٥	الفضائل التربوية في عقوبات القصاص والدية:	المبحث الثاني:
٣٠٥	الفضائل التربوية في قصاص القتل، والدية:	المطلب الأول:
٣٠٨	الفضائل التربوية في قصاص الأطراف والأعضاء:	المطلب الثاني:
٣١٠	الفضائل التربوية في عقوبات التعزير:	المبحث الثالث:
٣١٢	الخاتمة ونتائج ما توصل إليه البحث:	
٣١٥	فهرست الموضوعات:	
٣١٩	فهرست المراجع:	

فهرست المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم، وتفسيره:

*القرآن الكريم.

١. الألوسي، روح المعاني، ط٤، ١٩٨٥، دار التراث، بيروت.
٢. أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي، ٧٥٤ هـ، البحر المحيط، ط ١٩٨٣ م دار الفكر، بيروت.
٣. ابن كثير، الإمام الحافظ، عماد الدين أبي الفداء، إسماعيل بن عمر القرشي، ٧٧٤ هـ، تفسير القرآن العظيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الارقم، بيروت، ط ١، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م، و ط ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٤. ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، ط ١٩٨٤ م. الدار التونسية للنشر.
٥. ابن عبد السلام، الإمام عز الدين بن عبد العزيز السلمي، تفسير القرآن، إختصار النكت للموردي، تحقيق د. عبد الله السوهي، ط ١٤١٦ هـ، ١٩٩٦ م، ج ٣، ص ٩٦، دار ابن حزم، بيروت.
٦. ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله، ٥٤٣ هـ، أحكام القرآن، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط ١٤٢١ هـ، ٢٠٠٠ م. دار الكتاب العربي، بيروت.
٧. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق الأندلسي، ت ٥٥٤١ هـ، المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز، تحقيق عبد الله الأنصاري، والسيد عبد العال السيد إبراهيم، طبعة الشيخ خليفة بن محمد آل ثاني، ط ١، ١٤٠٩ هـ ١٩٨٨ م. الدوحة، قطر.
٨. أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى العمادي، ٩٨٢ هـ. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، وضع حواشيه: عبد اللطيف عبد الرحمن، ط ١، ١٤١٤ هـ، ١٩٩٣ م. دار الكتب العلمية، بيروت.
٩. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء، ت ٥٦١ هـ، معالم التنزيل، ط ١، ١٩٨٦ م. دار المعرفة، بيروت.
١٠. البقاعي، أبو الحسن إبراهيم بن عمر، ٨٨٥ هـ. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تخريج الآيات والأحاديث: عبد الرزاق غالب المهدي، ط ١، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م دار الكتب العلمية، بيروت.
١١. البيضاوي، الإمام ناصر الدين، أبو الخير، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ط ١، ١٩٨٨ م. دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
١٢. التهامي نقرة، سيكولوجية القصة في القرآن، ط ١٩٧١ م.، جامعة الجزائر، الشركة التونسية للتوزيع.
١٣. الجزائري، أبي بكر، جابر، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، وبهامشه نهر الخير على أيسر التفاسير، ط ٥، ١٤٢٢ هـ، ٢٠٠٢ م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة.
١٤. الجلالين، جلال الدين السيوطي، و جلال الدين المحلي، وبهامشه أسباب النزول للسيوطي، ط ١، ٢٠٠٤ م. دار الآفاق العربية.
١٥. الحارثي، د. إبراهيم بن أحمد مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ط ٦، ١٤٣٠ هـ، ٢٠٠٩ م، دار القلم، دمشق.
١٦. الحايك، محمد عبد الكريم، الرحمة في القرآن الكريم، إشراف الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني، د. ط، ت، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الجامعة الأردنية، عام ١٩٩٣ م
١٧. حومد، أسعد، أيسر التفاسير، د. ط، ت.
١٨. الخطيب، عبد الكريم، القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ط ١، ١٩٦٤ م، مكتبة السنة المحمدية، القاهرة.
١٩. الحضري، عبد المجيد أحمد، المبادئ التربوية المستنبطة من آيات الوصايا في القرآن الكريم، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير، بقسم التربية الإسلامية والمقارنة، بجامعة أم القرى. مكة المكرمة، ١٤١٧ هـ، غير منشور
٢٠. الرازي، الإمام محمد فخر الدين، ت ٥٦٠٦ هـ، التفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر ط ٣، ١٩٨٥ م. بيروت، لبنان.

٢١. رضا، محمد رشيد، تفسير القرآن الحكيم المشهور بتفسير المنار، ط١٩٧٣م، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
٢٢. الزحيلي، د. وهبة بن مصطفى، التفسير الوسيط، ط١، ٥١٤٢٢، دار الفكر، دمشق.
٢٣. الزمخشري، محمود بن عمر، ٥٣٨ هـ. الكشف عن حقائق غوامض التزويل، وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ضبط: محمد عبد السلام شاهين، ط١، ١٤١٥ هـ، ١٩٩٥ م بيروت، دار الكتب العلمية.
٢٤. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ.
٢٥. السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين، الدر المنثور ط١٩٩٣م، دار الفكر، بيروت.
٢٦. الشحات، محمد، مع النظم القرآني في سورة النور، ط١، د. ط.
٢٧. شحاتة، د. عبد الله محمود، في رحاب القرآن، مكتبة الإعتصام، د. ط.
٢٨. الشعراوي، الشيخ محمد متولي، تفسير الشعراوي، د. ط.
٢٩. الشنقيطي، محمد الأمين الجكني، ١٣٩٣ هـ، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م. طبع وتوزيع الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض.
٣٠. الشوكاني، محمد بن علي، فتح القدير، ط١٤١٥ هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٣١. الصواف، محمد محمود، الدعوة والدعاة من القرآن وإلى القرآن، ط٢، ١٩٨٥. جدة، د. ن.
٣٢. الطبري، محمد بن جرير، ٣١٠ هـ. جامع البيان عن تأويل القرآن، ط٣، ١٤٢٠ هـ، ١٩٩٩ م، دار الكتب العلمية، بيروت، و ط١، ١٤٢١ هـ ٢٠٠١ م. دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت.
٣٣. عاشور، عبد الفتاح، منهج القرآن في تربية المجتمع، ط١، ١٩٧٩ م. مكتبة الخانجي، مصر.
٣٤. عبد الباقي، محمد فؤاد، ط٣، ١٤١٣ هـ، ١٩٩١ م، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الحديث، القاهرة.
٣٥. العيشات، جيهان، الإعجاز البياني والتشريحي في آيات الحدود، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التفسير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، غير مطبوع.
٣٦. عليان، الأخلاق في الشريعة الإسلامية. الرياض: دار النشر الدولي لنشر والتوزيع. الرياض.
٣٧. الغزالي، الشيخ محمد، المحاور الخمسة في القرآن الكريم، دار العلم، دمشق، د. ط.
٣٨. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الأندلسي، ٦٧١ هـ، الجامع لأحكام القرآن، ط١٩٩٣، ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٣ م. دار عالم الكتب.
٣٩. قطب، محمد قطب، دراسات قرآنية، ط٤، ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣ م، دار الشروق، بيروت.
٤٠. قطب، سيد، في ظلال القرآن، ط١٩٩٤ م. دار الشروق.
٤١. القيسي، العلامة الشيخ قاسم، الحديقة الندية في المواضيع التفسيرية، ط١٩٤٠ م. مطبعة التفيض الأهلية، بغداد.
٤٢. لبانة، د. عايش، قيمة الحياة الإنسانية في القرآن الكريم، د. ط.
٤٣. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، "ت: ٤٥٠ هـ"، النكت والعيون، راجعه وعلق عليه: عبد المقصود بن عبد الرحيم، ط١، ١٩٩٢ م دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٤. لجنة من علماء الأزهر، تفسير المنتخب، صادر عن المجلس الأعلى المصري للشؤون الإسلامية، د. ت.
٤٥. المشني، د. مصطفى إبراهيم، الإعجاز البياني والتشريحي في آيات القتل. مصطفى إبراهيم د. ط.
٤٦. المدرس، عبد الكريم محمد، مواهب الرحمن في تفسير القرآن، ط١٩٨٦ م. دار الحرية للطباعة، بغداد.
٤٧. المدني، الشيخ محمد محمد، المجتمع الإسلامي كما تنظمه سورة النساء، ط١، ١٩٦٢ م مكتبة البراق، عمان، الأردن.
٤٨. النسفي، عبد الله بن أحمد بن محمود، ٧١٠ هـ. مدارك التزويل وحقائق التأويل، تحقيق: يوسف علي بدوي، ط١، ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م دار الكلم الطيب، دمشق.

٤٩. ابن أبي شيبة، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواسي العبسي، (ت ٢٣٥هـ) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، المعروف بـ(مصنف ابن أبي شيبة) المحقق كمال يوسف الخوت، ط ١، ١٤٠٩هـ، مكتبة الرشد، الرياض.
٥٠. ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن معاذ بن معبد التميمي الدارامي البستي (ت ٣٥٤هـ) صحيح ابن حبان (الإحسان بتقريب صحيح ابن حبان)، ترتيب الأمير علاء الدين علي بن بليان الفارسي (ت ٣٥٤هـ) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط، ط ١، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م. د. ن.
٥١. ابن حجر، العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١٣٧٩هـ، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٥٢. ابن خزيمة، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمى النيسابوري (ت ٣١١هـ) صحيح ابن خزيمة، المحقق محمد مصطفى الأعظمي، د. ط، ت، المكتب الإسلامي، بيروت.
٥٣. ابن رجب، الحنبلي، جامع العلوم والحكم، = د. ط، ت، = مكتبة الرسالة الحديثة، عمان.
٥٤. ابن ماجه، الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، (ت ٢٧٣هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١٣٧٢هـ، دار إحياء الكتب العربية، لصاحبها عيسى البابي الحلبي، القاهرة.
٥٥. أحمد، الإمام أبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، (ت ٢٤١هـ) مسند الإمام أحمد، المحقق شعيب الأرنؤوط، وآخرون، ط ١، ١٤٢١هـ ، ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٥٦. أبو داود، الإمام الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٩هـ)، سنن أبي داود، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، د. ط، ت، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.
٥٧. أبي يعلى (ت ٣٠٧هـ) مسند أبي يعلى، المحقق حسين سليم أسد، ط ١، ١٤٠٤هـ ، ١٩٨٤م، دار المأمون للتراث.
٥٨. البخاري، الإمام الحافظ محمد بن إسماعيل (٢٥٦هـ)، الأدب المفرد ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط ٣، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م، دار البشائر الإسلامية، بيروت.
٥٩. البخاري، محمد بن إسماعيل، (٢٥٦هـ)، الجامع المسند الصحيح المختصر، من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، المعروف بـ(صحيح البخاري)، المحقق محمد زهير بن ناصر الفرج، شرح وتعليق د. مصطفى البغاء، ط ١، ١٤٢٢هـ، دار طوق النجاة، د. ط، ت.
٦٠. البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي، (ت ٢٩٢هـ) مسند البزار، المحقق محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، ط ١، ٢٠٠٩م، دار العلوم والحكم، المدينة المنورة.
٦١. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن العزاء، (ت ٥١٦هـ) شرح السنة، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون، د. ط، ت، المكتب الإسلامي، دمشق.
٦٢. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن العزاء، (ت ٥١٦هـ) مصابيح السنة، تحقيق يوسف عبد الرحمن مرعشلي وآخرون، ط ١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
٦٣. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحسروجردي الخراساني (ت ٤٥٨هـ) (الآداب، اعتنى به وعلق عليه، أبو عبد الله السعيد المندوه، ط ١، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان.
٦٤. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، دار الكتب العلمية، ط ١، ١٤٠٨هـ
٦٥. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحسروجردي الخراساني (ت ٤٥٨هـ) ، السنن الصغير، المحقق عبد المعطي أمين قلعجي، ط ١، ١٤١٠هـ ، ١٩٨٩م، جامعة الدراسات الإسلامية، كراتشي، باكستان.
٦٦. البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحسروجردي الخراساني (ت ٤٥٨هـ) ، السنن الكبرى، المحقق محمد عبد القادر عطا، ط ٣، ١٩٩٤، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان.

٦٧. الترمذي، الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، (ت ٢٧٩هـ)، الجامع الكبير، تحقيق بشار عواد معروف، ط ١٩٩٨م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان.
٦٨. الحاكم، الحافظ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، المعروف بابن البيع، (ت ٤٠٥ هـ) (المستدرک علی الصحیحین، تحقیق مصطفیٰ عبد القادر عطا، ط ١، ١٤١١هـ —، ١٩٩٠م، دار الكتب العلمية، بيروت.
٦٩. الدارقطني، أبو الحسن علي بن عمر بن أحمد بن مهير بن مسعود بن النعمان بن دينار البغدادي (ت ٣٨٥هـ) حققه وضبطه نصح وعلق عليه شعيب الأرنؤوط، وآخرون، ط ١، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٤م، د.ن.
٧٠. الدرامي، الإمام أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن مهراهم، ت ٢٥٥ هـ، مسند الدرامي، المعروف بسنن الدرامي، ط ١، ١٤١٢ هـ، ١٩٩١م، دار القلم، دمشق.
٧١. تحقيق حسين سليم أسد الداراني، ط ١، ١٤١٢ هـ، ٢٠٠٠م، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية.
٧٢. الزرقاني، محمد بن عبد الباقي الزرقاني شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ١٤٢٧ هـ، ٢٠٠٦ م. دار الحديث بالقاهرة
٧٣. الزير، محمد بن حسن، القصص في الحديث النبوي، ط ١، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٢م، ص ٣٨٨.
٧٤. عياض، القاضي، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق محمد علي البيجاوي، د.ط، دار الكتاب العربي، بيروت.
٧٥. الطبراني، الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت ٣٦٠ هـ) (الروض الداني، المعروف بـ(المعجم الصغير) المحقق محمد شكور محمود الحاج امير، ط ١، ١٤٠٥ هـ، ١٩٨٥م، المكتب الإسلامي، بيروت.
٧٦. الطبراني، الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت ٣٦٠ هـ) ، المعجم الأوسط، المحقق طارق بن عوض الله بن محمد، وعبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، د.ط، دار الحرمين، القاهرة.
٧٧. الطبراني، الحافظ أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت ٣٦٠ هـ) (المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد الحميد السلفي، ط ٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
٧٨. الطهروني، محمد بن رزق الطهروني السلمي، صحيح السيرة النبوية، المسماة: "السيرة الذهبية" ط ١، ١٤١٤ هـ، مكتبة ابن تيمية. القاهرة.
٧٩. عبد الرزاق، أبو بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (ت ٢١١هـ) مصنف عبد الرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، ط ٢، ١٤٠٣ هـ، المكتب الإسلامي، بيروت.
٨٠. العيني، بدر الدين، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، د.ط، دار الفكر، بيروت.
٨١. القصري، محمد، شعب الإيمان، دار الكتب العلمية، د.ط، ط.
٨٢. مالك، الإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني، (ت ١٧٩هـ) الموطأ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، ط ١، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، أبو ظبي، الإمارات العربية المتحدة.
٨٣. مسلم، أبو الحسن، مسلم بن مسلم، القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المعروف بـ(صحيح مسلم) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ط.
٨٤. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت ٣٠٣هـ)، السنن الكبرى، المحقق حسن عبد المنعم شلبي، ط ١، ١٤٢١هـ — ٢٠٠١م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
٨٥. النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني (ت ٣٠٣هـ) (الاجتنب من السنن، المعروف بـ(السنن الصغرى)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، ط ٢، ١٤٠٦هـ، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.
٨٦. النووي، أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي، (ت ٦٧٦هـ) ط ٢، ١٣٩٢هـ، شرح المنهاج على صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٨٧. الهندي، علاء الدين علي المتقي، كثر الأعمال في سنن الأفعال والأفعال، ط ١، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٣- كتب العقيدة الإسلامية:

٨٨. أبو زهرة، العقيدة الإسلامية كما جاء بها القرآن، د. ط، ت. مجمع البحوث الإسلامية،
٨٩. الأشقر، د. عمر سليمان، الرسل والرسالات، ط ٦، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م، الرسل والرسالات، دار النفائس، عمان، الأردن.
٩٠. الأصفهاني، أبو نعيم، دلائل النبوة، تحقيق محمد رواس قلججي، عبد البر عباس، ط ٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨١م. دار النفائس، بيروت.
٩١. الباجوري، العلامة إبراهيم الباجوري، شرح جوهرة التوحيد، نسقّه وخرّج أحاديثه محمد أديب الكيلاني، وعبد الكريم تتان، د. ط، ت.
٩٢. البليهي، صالح، عقيدة المسلمين والرد على الملحدين، ط ٢، ١٤٠٤هـ، المطابع الأهلية، الرياض.
٩٣. ابن تيمية، الشيخ أحمد، العبودية، ط ٣، ١٣٩٢هـ. المكتب الإسلامي، بيروت.
٩٤. ابن حميد، الشيخ صالح بن عبد الله بن حميد، مبادئ ونماذج في القدوة، د. ط، ت.
٩٥. بالي، وحيد عبد السلام، وقاية الإنسان من الجن والشيطان، د. ط، ت، البشير للنشر والتوزيع، القاهرة.
٩٦. البيانوني، أحمد عز الدين، الإيمان بالملائكة عليهم الصلاة والسلام، ط ٢، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م. دار السلام،
٩٧. البوطي، د. محمد سعيد رمضان: الإنسان مسير أم مخير، ط ١٩٩٣ - ١٩٩٦. دار الكتاب العربي.
٩٨. الحارثي، د. إبراهيم بن أحمد مسلم، المختصر المفيد في علم التوحيد، ط ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٨م، دار المقاصد، عمان، الأردن.
٩٩. خالد، عمرو، عبادات المؤمن، ط ٣، ٢٠٠٣م. دار المعرفة، بيروت، لبنان.
١٠٠. الخطيب، عبد الكريم، الله ذاتا وموضوعا، القاهرة، ط ٢، ١٩٧١م. دار الفكر العربي.
١٠١. الدهلوي، حجة الله البالغة، د. ط، ت.
١٠٢. رمضان، شرح على شرح التفتازاني، ط ١٢٩٣هـ، مطبعة الحاج محرم أفندي.
١٠٣. الزندان، عبد المجيد عزيز، كتاب التوحيد، ط ١٤٠٨، ١٩٨٨. دار طيبة، المدينة المنورة.
١٠٤. السّعدّي، د. عبد الملك عبد الرحمن السّعدّي، شرح النسفيّة في العقيدة الإسلامية، ط ٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م، دار الأنبار للطباعة والنشر والتوزيع، العراق.
١٠٥. الشبلي، بدر الدين محمد بن عبد الله، آكام المرجان في غرائب الجن، مطبعة صبيح عاشور، د. ط، ت.
١٠٦. الصغير، ماجد بن أحمد، كتاب "الله جل جلاله" د. ط، ت.
١٠٧. آل الشيخ، عبد الرحمن، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، تحقيق محمد حامد الفقي، ط ١٤١٢هـ. المكتبة التجارية، مكة المكرمة.
١٠٨. آل عبد الرحمن، بن حسن، قرّة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، لاهور، د. ط، ت.
١٠٩. عبد الفتاح، منهج القرآن في تربية المجتمع، ط ١، ١٩٧٩م. مكتبة الخانجي، مصر.
١١٠. عبد الحميد، د. محسن، النظام الروحي في الإسلام، ط ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م، مطبعة القدس، بغداد.
١١١. عمق، د. ضو مفتاح محمد، العقيدة والشريعة في الإسلام، ط ١، ٢٠٠٠م، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، ليبيا.
١١٢. القرضاوي، د. يوسف، النية والإخلاص، ط ١، ١٩٩٦م. دار الفرقان، عمان.
١١٣. مجموعة من العلماء، شرح العقيدة الطحاوية، ط ٤، ١٣٩١هـ، المكتب الإسلامي، عمان، بتصرف.
١١٤. مكّي، مجد، البيان في أركان الإيمان، ط ١، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م. دار البشائر الإسلامية.
١١٥. النصر، د. عبد العزيز سيف، مدرس بكلية أصول الدين، توضيح العقيدة في رؤية الله تعالى والقدر والنبوة، القاهرة، ١٩٧٨م، ١٣٩٨هـ. مطبعة مكتبة الأزهر.
١١٦. ياسين، د. محمد نعيم، الإيمان، أركانه، حقيقته، نواقضه، دار الفرقان، ط ١، ١٩٩١م.

٤- كتب الفقه الإسلامي والأصول والتشريع:

١١٧. ابن سعود، منشورات جامعة محمد بن سعود، أثر تطبيق الحدود الشرعيّة في تحقيق الأمن والاستقرار في المجتمع، د. ط.
١١٨. ابن عابدين، محمد أمين، رد المختار على الدر المختار، شرح تنوير الأبصار، تحقيق عادل عبد الموجود، ومحمد عوض، ط ١، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١١٩. ابن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق ودراسة: محمد الطاهر الميساوي، البصائر للإنتاج العلمي، ط ١، د. ط.
١٢٠. ابن عثيمين، فصول في الصيام والتراويح والزكاة، ط رمضان، ١٤١٣هـ، ص ٨، إدارة الشؤون الدينية بالقوات الجوية، السعودية.
١٢١. ابن قدامة، موفق الدين، عبد الله بن أحمد المقدسي، المغني ومعه الشرح الكبير، ط ١، ١٤٠٤هـ. دار الفكر، بيروت، لبنان.
١٢٢. ابن مودود، الإختيار.
١٢٣. ابن الهمام، كمال الدين، محمد بن عبد الواحد السيواسي، السكندري، شرح فتح القدير على الهداية شرح بداية المبتدي، للمرغيناني، ط ١، ١٤١٥هـ. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٢٤. أبو زهرة، الجريمة والعقوبة، د. ط.
١٢٥. الجار الله، الشيخ عبد الله جار الله إبراهيم، مصارف الزكاة في الشريعة الإسلامية، د. ط.
١٢٦. الجزيري وجماعته، الفقه على المذاهب الأربعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٣، د. ط.
١٢٧. الحصني، أبو بكر بن محمد الحسيني، "ت ٨٢٠ هـ". كفاية الأختيار في حل غاية الاختصار، راجعه: عبد الله الانصاري، طبع على نفقة الشؤون الدينية بدولة قطر، ط ٣، د. ط.
١٢٨. خالد، عمرو، عبادات المؤمن، د. ط.
١٢٩. خليل، الشيخ عبد الرحمن، الوعظ الخطابي في الدين الإسلامي، د. ط، مطبعة سكر، مصر.
١٣٠. دريان، القاضي الشيخ عبد اللطيف فايز، ط ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان.
١٣١. الزحيلي، وهبة، أصول الفقه الإسلامي، أصول الفقه الإسلامي، ط ٢، ١٩٩٨م، دار الفكر المعاصر بيروت.
١٣٢. الزرقا، مصطفى أحمد، المدخل الفقهي العام، د. ط، ت.
١٣٣. سراج الدين، الشيخ عبد الله، التقرب إلى الله، فضله — طريقه — مراتبه، ط ٢، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، مكتبة دار الفلاح، حلب.
١٣٤. السرخسي، أبي بكر محمد، المبسوط، ط ١٣٢٤هـ، مطبعة السعادة، مصر.
١٣٥. السلمي. عبد العزيز بن عبد السلام، قواعد الأحكام في مصالح الأنام، ط ١٩٩٠م. مؤسسة الريان، بيروت.
١٣٦. الشرباصي، رمضان علي السيد، المدخل لدراسة الفقه الإسلامي، ط ٩٢٣، ١٩٩٣م. د. ن.
١٣٧. الشرباصي، أحمد، القصاص في الإسلام، د. ط.
١٣٨. شلتوت، الشيخ محمود، الإسلام عقيدة وشريعة، ط ٢، د. ت، دار القلم، القاهرة.
١٣٩. الصابوني، محمد علي، المواريث في الشريعة الإسلامية، في ضوء الكتاب والسنة، ط ٥، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، دار الصابوني.
١٤٠. طبارة، غفيف عبد الفتاح، العقوبات في الإسلام، ط ١٣٧٥ هـ. منشورات جماعة عباد الرحمن.
١٤١. الطحاوي، حاشية الطحاوي على الدر المختار، د. ط.
١٤٢. عاشور، أحمد عيسى، الفقه الميسر في العبادات والمعاملات، ط ١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، دار الخير، دمشق.
١٤٣. عبد الرحيم، محمد، القرابة والميراث في المجتمع، بين التصرفات القولية والواقعية، ط ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، مكتبة الثقافة الدينية، مصر.
١٤٤. عبيد، منصور الرفاعي، القصاص في الإسلام ودوره في القضاء على الجريمة، ط ١، ٢٠٠٤م. مركز الكتاب للنشر.
١٤٥. عكاز، فكري أحمد، فلسفة العقوبة في الشريعة الإسلامية والقانون، ط ١، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م. شركة مكنتات عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، السعودية.

١٤٦. العمري، نادية محمد شريف، القضاء في الإسلام ودوره في القضاء على الجريمة، ط١٤١٢هـ، د.ن. الرياض.
١٤٧. عاشور، أحمد عيسى، الفقه الميسر في العبادات والمعاملات، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م، دار الخير، دمشق.
١٤٨. عودة، عبد القادر، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالقانون الوضعي، ط٦، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م. مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٤٩. الغزالي، المستصفي من علم الأصول، المستصفي من علم الأصول، تحقيق نجوى ضو، ط١٩٩٧هـ، ١م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١٥٠. الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، ط٤، ١٩٢١م. المطبعة الأميرية، القاهرة.
١٥١. القرضاوي، د. يوسف، العبادة في الإسلام، ط٦، ١٣٩٩هـ، مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٥٢. القصير، الشيخ عبد الله صالح، تذكرة الصوام بشيء من فضائل الصيام والقيام وما يتعلق بهما من أحكام، د.ط، دار العاصمة، الرياض.
١٥٣. القضاة، مهن خالد عبد الله، منهج القرآن الكريم في تحقيق الأمن الإقتصادي، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير من جامعة اليرموك، كلية الشريعة، د.ط، ص ٥٢.
١٥٤. الكبي، سعد الدين محمد، المعاملات المالية المعاصرة في ضوء الإسلام، ط١، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م. المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
١٥٥. الماوردي، أبو الحسن، علي بن محمد بن حبيب البصري، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ط٢، ١٣٨٦م. مطبعة ومكتبة مصطفى الباي الحلبي، القاهرة، مصر.
١٥٦. المبارك، الشيخ محمد نظام الإسلام، الاقتصاد مبادئ وقواعد عامة، د.ط، ت.
١٥٧. المصلح، خالد بن عبد الله، العلاقة بين العبادات والأخلاق، د.ط، ت. .
١٥٨. المناوي، محمد بن عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، ط١٤١٠هـ، دار الفكر، بيروت، لبنان.
١٥٩. نظام الدين، وآخرون من علماء الهند، الفتاوى الهندية، د.ط، ت.
١٦٠. وهبة، توفيق علي، التداير الزجرية والوقائية في التشريع الإسلامي وأسلوب تطبيقها، ط١، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م دار اللواء، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٥- كتب الفكر الإسلامي، والتربية:

١٦١. الأبيهي، شهاب الدين، محمد بن أحمد أبي الفتح، المستطرف من كل فن مستظرف، شرح. د. مفيد قمحية، ط١، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٦٢. إبراهيم، محمد قطب، منهج التربية الإسلامية، ط٤، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م دار الشروق، القاهرة، مصر.
١٦٣. ابن حميد، مبادئ ونماذج في القدوة، الشيخ صالح، بن عبد الله ابن حميد، د. ط، ت.
١٦٤. ابن سعد، أبي عبد الله بن سعد بن منيع، الطبقات الكبرى، د.ط، ت، دار صادر، بيروت.
١٦٥. ابن هشام، أبي محمد، عبد الملك، سيرة النبي ﷺ، تحقيق محمد محيي الدين، ط١٣٨٣هـ، د.ن.
١٦٦. أبو عجرة، المجتمع الإسلامي وآدابه، في ضوء القرآن الكريم. د. محمد نجيب أحمد، د.ط، ت، مكتبة مدبولي. مصر.
١٦٧. أبو العينين، علي خليل، التربية الإسلامية وتنمية المجتمع، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م. مكتبة إبراهيم حلي المدينة المنورة.
١٦٨. أشرف، سيد علي، آفاق جديدة في التعليم الإسلامي، ترجمة أمين حسين، ط١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م. الرباط، السعودية، عكاظ.

١٦٩. الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، راجعه وقدم له وعلق عليه، وصطه عبد الرؤوف سعد، ط ١٩٧٣، ٥١٣٩٣. دار الكتب العلمية. بيروت.
١٧٠. الأعظمي، الشيخ هاشم، موجز الكلام في أركان الإسلام، ط ١٩٧٠. مؤسسة الرسالة.
١٧١. الأهدل، الأستاذ الدكتور عبد الله، غايات البناء والهدم، ط ١٤٢٥، ٥ - ٢٠٠٥ م. دار ابن حزم.
١٧٢. آل الحازمي، خالد بن حامد، أصول التربية الإسلامية، مكتبة دار الزمان، ط ٢٠٠٥، ١٤٢٦ هـ، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية.
١٧٣. بيومي، عبد المنعم محمد وطه محمد أحمد البناء، علم النفس، ط ١٩٨٤، ٥١٤٠٤. الرئاسة العامة لتعليم البنات، المملكة العربية السعودية.
١٧٤. التميمي، محمد بن سليمان، أصول الدين الإسلامي مع قواعده الأربع د. ط، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض.
١٧٥. جبر، د سعدي وآخرون، الثقافة الإسلامية لمرحلة التعليم الثانوي الشامل، ط ١٤٢٥، ٥١٤٠٤، ٢٠٠٤ م، مطابع وزارة التربية والتعليم الأردنية، عمان،
١٧٦. الجمالي، محمد فاضل، نحو توحيد الفكر التربوي في العالم الإسلامي، ط ١٩٧٢. الدار التونسية للطباعة والنشر والتوزيع.
١٧٧. الجمالي، محمد فاضل، تربية الإنسان الجديد، ط ١٩٦٧ م، الشركة التونسية للتوزيع، تونس.
١٧٨. الحازمي، خالد بن الجمالي، محمد فاضل، تربية الإنسان الجديد، الشركة التونسية للتوزيع، ط ١٩٦٧ م.
١٧٩. حامد، أصول التربية الإسلامية، ط ٢، ١٤٢ هـ، ٢٠٠٥ م مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة.
١٨٠. الحسيني، أحمد محي الدين، التشريع الإسلامي سبيل السعادة، د. ط، ت.
١٨١. حسين، محمد الخضرم، وسائل الإصلاح، ط ١٩٣٩ م. مطبعة الهداية الإسلامية.
١٨٢. حوى، سعيد، المستخلص في تركية الأنفس، د. ط، ت، دار عمار، بيروت.
١٨٣. خالد، حسن، مجتمع المدينة قبل الهجرة وبعدها، ط ١٤٠٦ هـ، دار النهضة العربية، بيروت.
١٨٤. الخالدي، د. محمود، الأصول الفكرية للثقافة الإسلامية، ط ١٤٠٤، ٥١، ١٩٨٤ م. دار الفكر للنشر والتوزيع، عمان.
١٨٥. خليل، الشيخ عبد الرحمن، الوعظ الخطابي في الدين الإسلامي، مطبعة سكر، مصر.
١٨٦. زيدان، عبد الكريم، أصول الدعوة، د. ط، ت.
١٨٧. زيدان، عبد الكريم، المدخل لدراسة الشريعة الإسلامية، ط ١١١، ٥١٤١٠، ١٩٨٩ م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
١٨٨. الزهراني، حسن بن محمد، المبادئ التربوية المستنبطة من آيات العهد والميثاق في القرآن الكريم، ط ١٤١٧ هـ، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير من قسم التربية الإسلامية من جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
١٨٩. سابق، سيد، إسلامنا، د. ط، ت، ص ١٥٢، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
١٩٠. سعود، سارة بنت عبد المحسن بن جلوي، المسلم المعاصر بين المعية والمسئولية، ط ١٤١٩ هـ، ١٩٩٨ م. د. ن.
١٩١. السقا، محمد الغزالي أحمد، نظرية التربية الإسلامية للفرد والمجتمع، ضمن بحوث ندوة خبراء أسس التربية المنعقدة بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، د. ط، ت.
١٩٢. الشحود، علي نايف، المهذب في الآداب الإسلامية، ط ١، ٥١٤٣٠، ٢٠٠٩ م، دار المعمور، بهانج، ماليزيا.
١٩٣. شلتوت، محمود عبد الحليم، الإمام أبو الحسن الشاذلي، دار الإسلام، القاهرة. د. ط، ت.
١٩٤. الشهرستاني، الملل والنحل، تخريج د. محمد فتح الله بدران، ط ٢، ١٩٥٦، مطبعة مخيمر، نشر مكتبة الإنجلو المصرية. ج ١، ص ٣٧.
١٩٥. الشيباني، محمد عمر العتوم، فلسفة التربية الإسلامية، ١٩٨٣ م. المنشأ العام للنشر والتوزيع والإعلام، ليبيا، طرابلس.
١٩٦. الشيباني، محمد عمر العتوم، من أسس التربية الإسلامية، ط ١٩٧٩، د. ن.
١٩٧. العصلاي، فيصل بن راجح بن رجاء، آراء الشيخ عبد الله بن قعود التربوية، بحث مكمل لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية المقارنة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، د. ط، ت.
١٩٨. طبارة، غفيف عبدالفتاح، الخطايا في الإسلام، دار العلم للملايين، د. ط، ت.

١٩٩. طيارة، عفيف، روح الدين الإسلامي، ط٢، ١٩٨٨م، دار العلم للملايين.
٢٠٠. طنطاوي، سيد أحمد، القيم التربوية في القصص القرآني، رسالة ماجستير منشورة، ط ١، ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م. دار الفكر العربي، القاهرة.
٢٠١. عاشور، عبد الفتاح، منهج القرآن في تربية المجتمع، ط ١، ١٩٧٩م، مكتبة الخانجي، مصر.
٢٠٢. عبد العال، حسن إبراهيم، أصول تربية الطفل والإسلام، ط ١، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م. رسالة دكتوراة غير منشورة، طنطا.
٢٠٣. عبود، عبد الغني، في التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ١٩٧٧م عطاس، محمد النقيب، التعليم الإسلامي أهدافه ومقاصده، ترجمة عبد الحميد محمد الحديدي، سلسلة التعليم الإسلامي، ط ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م. عكاظ وجامعة الملك عبد العزيز.
٢٠٤. العجوز، أحمد محيي الدين، مناهج الشريعة الإسلامية، ط ١، ١٤٠٤هـ، ١٩٨١م. مكتبة المعارف، لبنان.
٢٠٥. على، سعيد إسماعيل: أصول التربية الإسلامية، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشر ١٩٧٨ م.
٢٠٦. القضاة، خالد، المدخل إلى التربية والتعليم، ١٤١٨ هـ، ١٩٨٨ م. دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن
٢٠٧. غلوش، د. أحمد، الدعوة الإسلامية، د. ط، دار الكتاب المصري، القاهرة.
٢٠٨. عمق، د. ضو، مفتاح محمد، العقيدة والشريعة في الإسلام، ط ١، ٢٠٠٠م، مكتبة طرابلس العلمية العالمية، ليبيا.
٢٠٩. عقلة، د. محمد، مشكلة سوء إختيار الأزواج، أسبابها وعلاجها، في ضوء التصور الإسلامي، ط ١، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م، دار الفرقان، عمان، الأردن.
٢١٠. الغانمي، يلغيث بن أحمد بن عبد الله، منهج التربية الاجتماعية في القرآن الكريم، د. ط، ت، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في كلية التربية، بجامعة أم القرى، مكة المكرمة .
٢١١. الغزالي، حجة الإسلام الإمام أبي حامد، آداب الألفة والأخوة والصحة والمعايشة مع أصناف الخلق، ط ١- ١٩٩٦م. دار عمار -الأردن- عمان.
٢١٢. فرحان، د. إسحق أحمد، التربية الإسلامية، أهدافها وسماتها، وتحديات العصر الحاضر لها، ط ١، ١٣٨٨هـ، ١٩٦٨م، جمعية عمال المطابع التعاونية، من منشورات وزارة الأوقاف الأردنية.
٢١٣. د. الكيلاني وآخرون، د. إبراهيم زيد الكيلاني، و د. همام سعيد، و د. صالح ذياب هندي، دراسات في الفكر العربي الإسلامي، ط ١، ١٤٢١هـ، ١٩٩٨م. دار الشرق الأوسط، ماركا، عمان.
٢١٤. المبيض، محمد سعيد، الآداب الاجتماعية في الإسلام، ط ١، ١٩٨٢م. د. ن.
٢١٥. المحاسبي، أبي حارث، رسالة المسترشدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ط ٤، د. ت.
٢١٦. محمد فاروق النهان، مبادئ الثقافة الإسلامية، ١٤٠٣. دار البحوث العلمية، الكويت .
٢١٧. محمود، علي عبد الحليم، التربية الاجتماعية الإسلامية، ط ١، ١٤٢٢هـ ١٤٢٥هـ دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة، مصر.
٢١٨. المرصفي، محمد علي، من المبادئ التربوية في الإسلام، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، د. ط، ت.
٢١٩. المشوخي، مجتمعنا المعاصر، د. ط، ت.
٢٢٠. مصطفى، علي خليل، القيم الإسلامية والتربية، مكتبة إبراهيم حلبي، المدينة المنورة، ١٤٠٨هـ، د. ط، ت.
٢٢١. المنجد، محمد صالح، سلسلة أعمال القلوب، ط ١، ٢٠٠٥م، ١٤٢٦هـ. دار الفجر للتراث، القاهرة.
٢٢٢. مهلهل، جاسم، الأهداف الرئيسية للدعاة إلى الله: إصدار لجنة البحوث في مكتبة دار الدعوة بإشراف أحمد القطان، دار الدعوة، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ ١٩٨٩هـ -
٢٢٣. المودودي، أبي الأعلى، منهج الحياة الإسلامية ترجمة د. أحمد عبد الرحمن، ط ١، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦ م. دار التوزيع.
٢٢٤. نصار، أسعد، إصلاح الأمة في ضوء الكتاب والسنة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية - المجلد ٢٣ - العدد الأول - ٢٠٠٧،
٢٢٥. النقشبندي، أمين الشيخ علاء الدين: ما هو التصوف ط ١٩٨٨م. الدار العربية ببغداد.

٢٢٦. هندي، د. صالح ذياب دراسات في الثقافة الإسلامية، ط١٩٩٣م. دار الفكر. وزارة التربية والتعليم، منح الإسلام، للصف الأول الثانوي، ط١٩٧٢م. في المملكة الأردنية الهاشمية، عمان.
٢٢٧. الواعظ: الشيخ نجم الدين، الاعتصام، ط١٩٧٥، مطبعة الأمة ببغداد .
٢٢٨. الوكيل، د. محمد السيد، قواعد البناء في المجتمع الإسلامي، ط١، ١٤٠٧، ٥١٠٨٩، دار الوفاء للطباعة والنشر.
٢٢٩. يالجن، مقداد، محمد علي، التربية الأخلاقية الإسلامية، ط١٣٩٧ - ٥ ١٩٧٧ م. كتبة الخانجي، القاهرة
٢٣٠. يالجن، مقداد، محمد علي، جوانب التربية الإسلامية الأساسية، ط ١٤٠٦ هـ، د.ن.

٦- كتب الأخلاق والرفائق:

٢٣١. ابن حزم، مداواة النفوس، ط ١٤٠٧ هـ، مكتبة دار الصحابة، مصر، طنطا .
٢٣٢. ابن حزم، الأندلسي، الأخلاق والسير، تحقيق ندى توميوس، للجنة الدولية لترجمة الروائع، بيروت، ١٩٦١م.
٢٣٣. ابن حميد وآخرون، موسوعة نضرة النعيم في أخلاق الرسول الكريم، مجموعة من المختصين، ط ٢، ٢٠٠٠م. دار الوسيلة، جدة،
٢٣٤. ابن الجوزي، زاد المهاجر، د. ط، ت، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٣٥. ابن الجوزي، مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، د. ط، ت، بيروت، دار الكتاب العربي.
٢٣٦. ابن قيم شمس الدين محمد بن أبي بكر الجوزية، إعلام الموقعين، ط ١٤١٨ - ٥ ١٩٩٧ م. دار الفكر، بيروت، لبنان .
٢٣٧. ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، د. ط، ت
٢٣٨. ابن قيم الجوزية، الفوائد، د. ط، ت، دار العلوم الحديثية، بيروت، لبنان.
٢٣٩. ابن عثيمين، محمد بن صالح، مكارم الأخلاق، مكتبة الرشد بالرياض، السعودية، د. ط، ت.
٢٤٠. ابن قيم الجوزية، زاد المعاد في هدى خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وعبد القادر الأرنؤوط، ط ١٥، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٤١. ابن القيم، أبو عبد الله، محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، ٥٧٥١، مدارج السالكين، تحقيق محمد حامد الفقي، ١٩٧٣م. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
٢٤٢. ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق، تحقيق قسطنطين زريق، الجامعة الأمريكية، ط ١٩٩٦م. بيروت.
٢٤٣. الأسمر، د. أحمد رجب، مكارم الأخلاق في الإسلام نظريا وتطبيقا، دار الفرقان، ط ٢٠٠٨، ١، إبراهيم، أحمد، الفضائل الخلقية في الإسلام، ط ١٩٨٢ م الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر.
٢٤٤. الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب، ط ١٩٨٠، ٥١٤٠٠، دار الكتب العلمية، بيروت.
٢٤٥. أمين، أحمد، الأخلاق، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، ط ١٩٦٩، ١.
٢٤٦. بدوي، عبد الرحمن، الأخلاق النظرية، د. ط، ت.
٢٤٧. البوطي، د. محمد سعيد رمضان، من اسرار المنهج الرباني، عرض لطائفة من أهم الأحكام الشرعية، مقرونة ببيان أهم آثارها الاجتماعية، (من فروع المعاملات) في تربية الأولاد
٢٤٨. الجاحظ: تهذيب الأخلاق، دار الصحابة للتراث، القاهرة، د. ط، ت.
٢٤٩. الجليلاني، الشيخ عبد القادر، ٥٥٦١، الغنية، مكتبة الشرق الجديد، بغداد، د. ط، ت.
٢٥٠. الحداد، عبد العزيز، أخلاق النبي ﷺ في القرآن والسنة: دار الغرب الإسلامي. بيروت
٢٥١. حوى، سعيد، المستخلص في تركية الأنفس، دار عمار، بيروت، لبنان، د. ط، ت.
٢٥٢. دراز، دستور الأخلاق في القرآن، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن الكريم، تحقيق وتعليق، عبد الصابور شاهين، مؤسسة الرسالة، دار البحوث العلمية، ط ١٤٠٢، ٥٤، ١٩٨٢م.

٢٥٣. الرحيلي، أ.د. عبد الله بن ضيف الله، الأخلاق الفاضلة، قواعد ومنطلقات لاكتسابها، ط٢، ٥١٤٢٩، ٢٠٠٨م، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.
٢٥٤. رسلان: صلاح الدين بسبوي، الأخلاق والسياسة عند ابن حزم، مكتبة نهضة الشرق، د.ط.ت.
٢٥٥. د. زقزوق، مقدمة في علم الأخلاق، ط١٩٨٤م. الدار الإسلامية للطباعة والنشر.
٢٥٦. سعد الدين، د. إيمان عبد المؤمن، أخلاق المسلم، (النظرية والتطبيق) ط١٤٢٤، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض.
٢٥٧. سراج الدين، عبد الله، التقرب إلى الله، فضله، طريقه، مراتبه، ط٢، ٥١٤١٧، ١٩٩٧م. مكتبة دار الفلاح، دمشق.
٢٥٨. الشرباصي، أحمد، موسوعة أخلاق القرآن، ط٣، د.ت، دار الرائد العربي، بيروت.
٢٥٩. الشيرازي، ناصر مكارم، الأخلاق الإسلامية، د.ط.ت.
٢٦٠. الطبرسي، مكارم الأخلاق في الإسلام، ط٥، ١٤٠٣ هـ. منشورات الاعلمي، بيروت.
٢٦١. العثيمين، محمد بن صالح مكارم الأخلاق، مكتبة الرشد بالرياض، السعودية د.ط.ت.
٢٦٢. الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد، ٥٥٠٥ هـ، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت، لبنان. د.ط.ت.
٢٦٣. الغزالي، حجة الإسلام الإمام أبي حامد الغزالي، ٥٥٠٥ هـ، آداب الألفة والأحوه والصحية والمعاشره مع أصناف الخلق، ط١-١٩.
٢٦٤. الغزالي، الشيخ محمد، خلق المسلم، ط٨، ٥١٤٠٨، ١٩٨٧م.
٢٦٥. المحاميد، أحمد نصيب، الحب بين العبد والرب، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩١م. نسخه عن دار الفكر - دمشق، سورية.
٢٦٦. غريب، الشيخ محمود، سلم أخلاق النبوة، ط٢، ٥١٤١٩، ١٩٩٨م، دار القلم للتراث، القاهرة، ٩٦م، دار عمار - الأردن.
٢٦٧. المحاسبي، حارث بن أسد، آداب النفوس، تحقيق: عبد القادر عطا، دار الجليل، بيروت.
٢٦٨. مراد، د. مصطفى، خلق المؤمن، ط٢، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، دار الفجر للتراث، القاهرة.
٢٦٩. المصلح، خالد بن عبد الله، العلاقة بين العبادات والأخلاق، د.ط.ت.
٢٧٠. المنجد، محمد صالح، سلسلة أعمال القلوب، ط٢٠٠٥، ٥١٤٢٦ هـ، دار الفجر للتراث، القاهرة.
٢٧١. موسى، محمد يوسف، فلسفة الأخلاق في الإسلام، وصلاتها بالفلسفة الإغريقية، ط١٩٤٢م. مطبعة الأزهر.
٢٧٢. الميداني، عبد الرحمن حسن حنيفة، الأخلاق الإسلامية وأسسها، ط١، ١٩٧٩، ١٣٩٩م. دار القلم، دمشق.
٢٧٣. النقشبندی، الشيخ علاء الدين أمين، ما هو التصوف، ط١٩٨٨م، الدار العربية ببغداد.

٧- المعاجم:

٢٧٤. الأصفهاني، أبي القاسم الحسين بن محمد، ٥٥٠٢ هـ، المفردات في غريب القرآن، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت.
٢٧٥. ابن فارس، أحمد، ٣٩٥ هـ، معجم مقاييس اللغة، ط١٤٢٢هـ، بيروت، لبنان. دار إحياء التراث العربي
٢٧٦. ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين، محمد بن مكرم، الإفریقی المصري، ط١٣٨٨، ١٩٦٨ هـ، لسان العرب دار صادر، بيروت.
٢٧٧. أنيس، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، ط٤، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، مكتبة الشروق الدولية، مصر.
٢٧٨. البستاني، محييط المحييط، المعلم بطرس، ط١، ١٩٨٧م. مكتبة لبنان، بيروت.
٢٧٩. الجرجاني، علي بن محمد بن علي الحسيني الحنفي، ٥٨١٦ هـ، التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط١٤٠٥ هـ. دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.
٢٨٠. الجوهري، إسماعيل بن حماد، الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، القاهرة، ١٩٨٢م، نقلا عن دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ١٩٩٩م.
٢٨١. الحفي، د. عبد المنعم، معجم مصطلحات الصوفية، ط١٩٨٠، ١٩٨٠م. دار المسيرة، بيروت، لبنان.

٢٨٢. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، ٥٧٢١هـ، مختار الصحاح، تحقيق محمود خاطر، ط١، ١٩٩٥م. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان.
٢٨٣. الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب ٨١٧ هـ، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقسوس، ط٦، ١٤١٩ هـ مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٨٤. الفيومي، أحمد بن محمد الرافي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، ط١، ١٩٢١م. المطبعة الأميرية بالقاهرة.
٢٨٥. قيس، أحمد، المعجم الفيصل، ط١، ١٩٨٥م. مطابع الجهاد، دمشق.
٢٨٦. الكفوي، أبو البقاء، الكليات، معجم المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، ط١، ١٩٩٣م. مؤسسة الرسالة، بيروت.
٢٨٧. مسعود، جبران، الرائد، ط١، ١٩٦٤م. دار العلم للملايين.

٨- الدوريات:

٢٨٨. أبو أنس، صلة الرحم وآثارها، مجلة التربية الإسلامية، ط١٩٩٤م، ع١١، س٣٢.
٢٨٩. البناء، محمد، الإحسان إلى الرقيق، مجلة لواء الإسلام، ط١٩٤٩م، ع١١، س٢.
٢٩٠. خلاف، عبد الوهاب، رضا الوالدين، مجلة التربية الإسلامية، ع٧، س٣.
٢٩١. القاضي، الأستاذ علي، عناصر العلاقات الإنسانية في المجتمع الإنساني، مجلة التربية الإسلامية، ع٥٥، س١٩٩٥، ٣٣م.

٩- مواقع الإنترنت:

٢٩٢. حسنة، عمر عبيد، مقال لعلكم تتقون www.islamicfinder.org, all rights reserved
Compright@٢٠٠٧,
٢٩٣. الزيد، إكرام "تأملات تربوية في قصة الخضر مع موسى عليهما السلام
<http://www.saaid.net/aldawah/٢١٣.htm>"
٢٩٤. مكانسي، د. محمد قدرى، موقع صيد الفوائد، <http://www.saaid.net/aldawah/٢١٣.htm>.
٢٩٥. موقع إسلام نون، <http://www.islamnoon.com/>

